

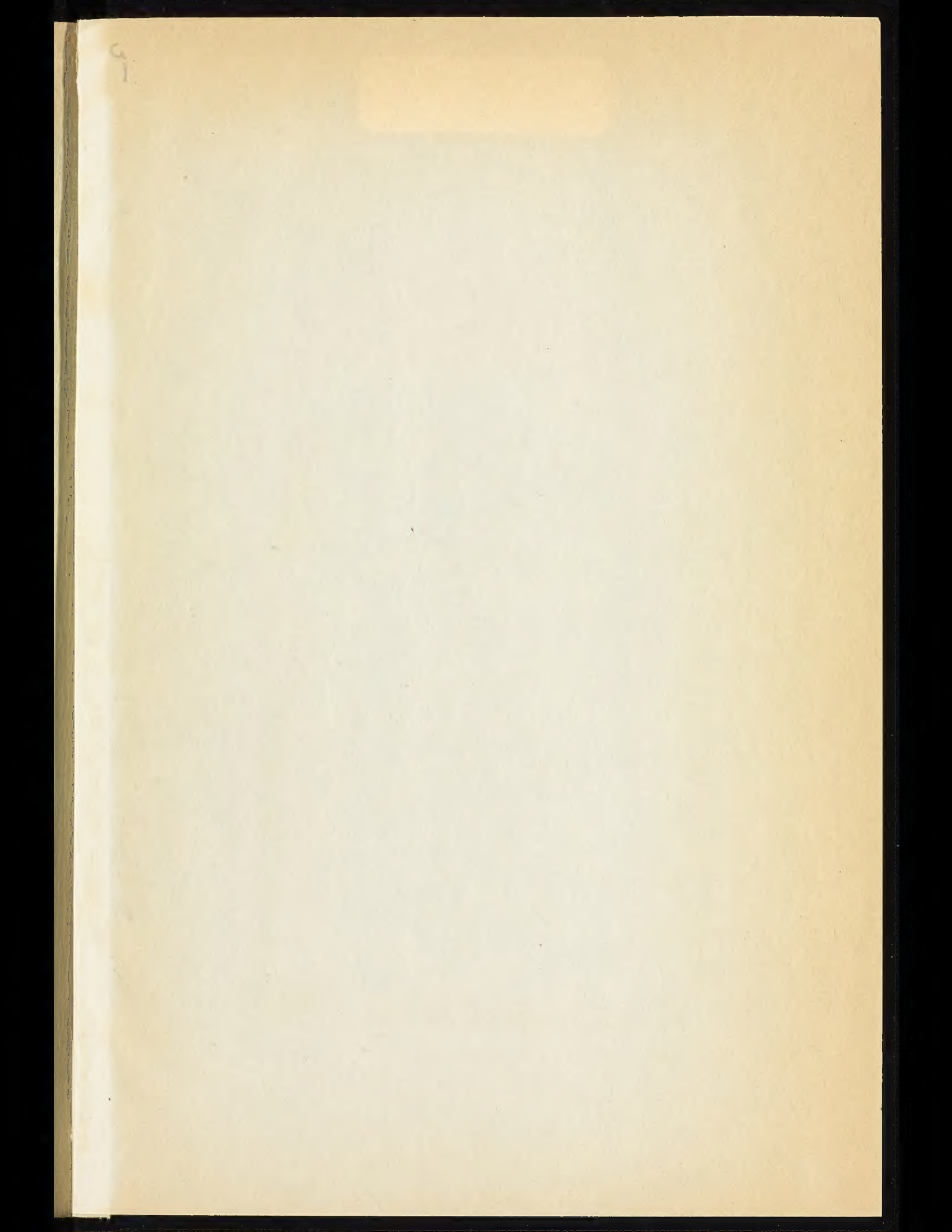
DATE	ISSUED TO
JUN 27 '69	BINDERY

2264.1103.552
'Abd al-Hamid
al-Alusi mufassiran

DATE	ISSUED TO
JUN 27 '69	BINDERY

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE





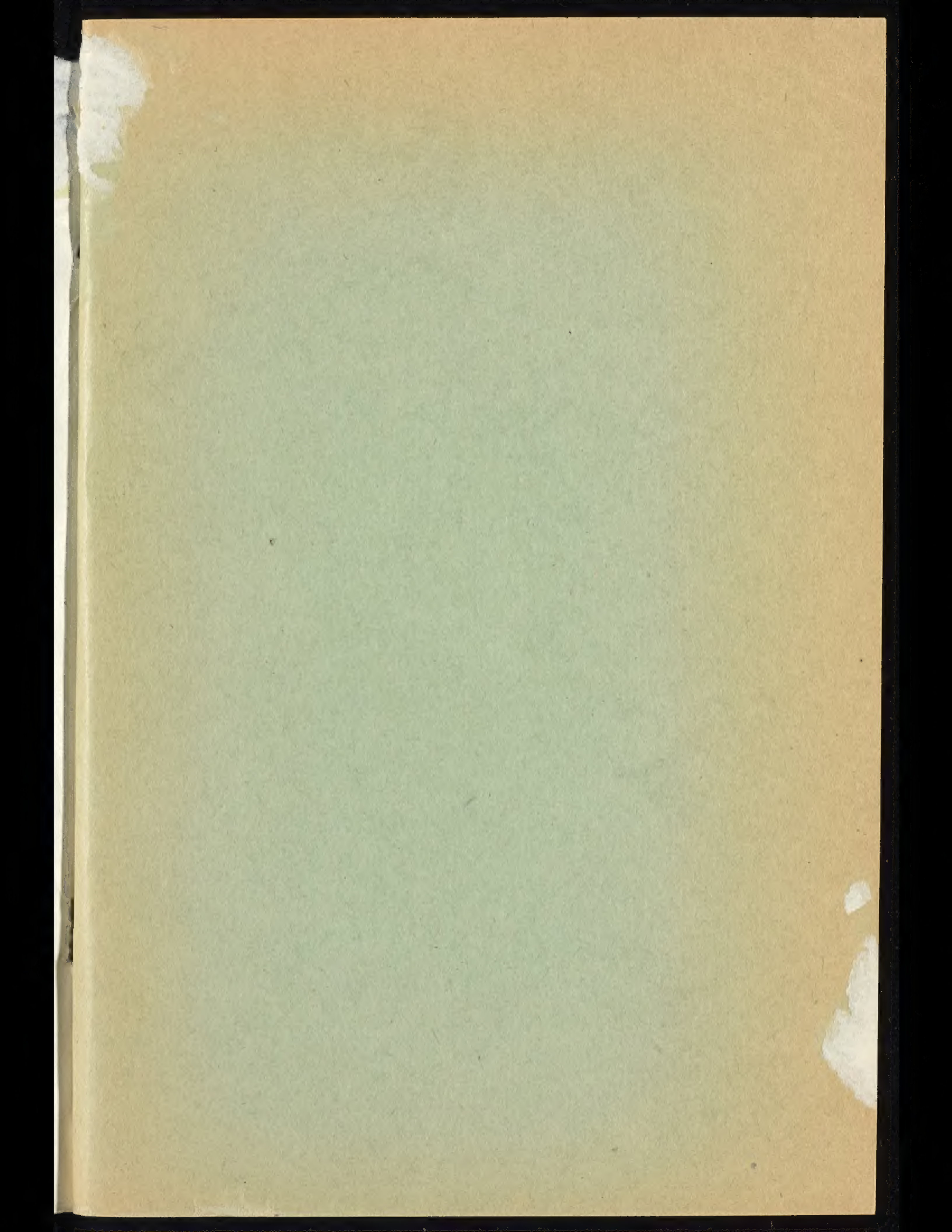
22

محسن عبد الحميد

الآلوسي مفسراً

ساعدت جامعة بغداد على نشره

مطبعة المعارف ـ بغـداد
١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م



محسن عبد الحميد

الآلوسي مفسراً

ساعدت جامعة بغداد على نشره

مطبعة المعارف ـ بغداد
١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م

قدمت هذه الرسالة الى قسم اللغة العربية بكلية الآداب فى جامعة القاهرة ، ونوقشت صباح يوم ٣١–٨ – ١٩٦٧ ، ونالت درجة الماجستير فى الآداب (التفسير) بمرتبة (جيد جداً) ٠

الطبعة الأولى



المقدمة

كنت في حياتي الدراسية شغوفا بدراسة القرآن الكريم ، اراجع بين فترة واخـــرى تفسير سور أو آيات معينة في التفاسير المشهورة • وكنت المح فيها اشراقة روحية ، ومتعة عقلية ، اذ أن هـذه الكتب دوائر معارف خصبة ، تفتح امام المتأمل آفاقا واسعة من اسرار اللغة العربيـة ، ومقومات الحضارة الاسلامية ، وتبصره بتاريخ الامم والاديان ، وتربى فيـه روح الجـدل المنطقي والمناقشة العلمية الهادئة ، وتصقل في نفسه ملـكة تذوق الجمال والتأثر بروعة الاسلوب المعجز •

وانطلاقا من هذه الرغبة الطموح ، عرضت فى اول لقـاء بيني وبين الاستاذ الدكتور يوسف خليف (الآلوسى مفسرا) ليكون موضوع رسالتي فى الماجستير • وسررت كثيرا عندما رحب بالفكرة وعندها علمت أن الموضوع نال رضا الاساتذة الأجلاء فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، لما لمثل هذه الدراسات من طرافة في البحث ، واحياء للتراث ، واتصال بالكتاب المعجز الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه •

أما لماذا اخترت هذا الموضوع بالذات ؟ فالجواب لاهميته البالغة من نواح عدة : اولاها ان معرفة تاريخ تطور التفسير تساعدنا كثيرا على معرفة مدى فهم المسلمين لكتابهم الكريم ، والاطلاع على المستويات العقلية المتنوعة فى هذا الفهم المتصل بحياتهم الحضارية التي امتزجت امتزاجا عميقا بهذا الكتاب الخالد . والباحث الفرد قد لا يستطيع ان يراقب بدقة سير هذا التطور ، اذ يحتاج اذا ما أراد ذلك ان يقرأ التفاسير المصنفة فى مختلف المذاهب والعصور . وهذه العملية شاقة قد لا يكفي عمر باحث أن يقوم بها . ومن هنا كان لزاما على كل باحث فى تاريخ التفسير أن يخص تفسيرا أو تفسيرين بدراسة متفحصة ، حتى اذا ما أراد باحث آخر ان يكتب تاريخا عاما للتفسير وجد امامه دراسات منفردة دقيقة عن كل تفسير ، فيسهل عليه عند ذلك ان يبنى احكامه على اساس من الدقة والموضوعية والعمق . وثانيتها انني كنت اتساءل فى نفسي ، أيمكن ان يقفز التفسير قفزة فجائية من الاساليب القديمة الى هذا الاسلوب الحديث الذى نلمسه بين ايدينا اليوم ، والذى زرعت بذوره مدرسة الامام محمد عبدة ؟ ألا يمكن ان تكون هنالك مرحلة وسطى بين الاسلوبين ، ومنهج وسط بين المنهجين . وقد حاولت فى دراستي هذه أن أحدد مكانة هذا التفسير كي اسهم بدوري فى تسهيل فهم التطور التفسيري ، واختصار الطريق للباحثين فيه . وثالثتها أني لم أزل أعتقد ان محاولة أى تفسير أصيل فى اى عصر من العصور للقرآن الكريم انما تمثل استجابة حية لحاجة المسلمين الحضارية التي تريد دوما ان تستنبط الاسس الجديدة لبناء حياتهم المناسبة للمستوى العقلي الذى وصلوه ، فمحاولتي لدراسة هذا التفسير انما هي محاولة للوصول الى هذا الهدف وهو معرفة ما اذا كان هذا التفسير استجابة لحاجة طبيعية أم كان ترفا عقليا محضا لعالم تعمق فى التفسير وأراد أن يثبت قدرته العلمية على ذلك . ورابعتها أن تفسير الآلوسى لم يزل غير معروف فى كثير من الاوساط والاقطار . فأردت بدراستي هذه

أن أقدم هذا التفسير الجيد الى العالم الاسلامي علهم يعيدون النظر فى امره ، فينكبون عليه ويدرسونه ، ويستخرجون منه ما يفيدهم فى مجالات العلم والمعرفة والدراسات القرآنية •

وقادني منهجي فى البحث الى دراسة تفسير روح المعاني للآلوسي دراسة كاملة من أوله الى آخره • واذا ما عرفت أن تفسير الآلوسي يكاد يكون أضخم تفسير ، واذا ما عرفت انه ليس سهل القراءة ، لأنه كتب للخواص لا للعوام ، عرفت انني صرفت فى قراءته جهدا ليس بالقليل • وكان عليّ أن ألاحظ كثيرا من الموضوعات وأدون مئات الملاحظات ، وانتبه الى ما يقوله فى أماكن عدة فى موضوع واحد ، لأساير تطور عقليته التفسيرية ، وكن علي أن اصبر فى مواجهة مصطلحات علمية دقيقة فى العلوم العقلية والنقلية المنثورة هنا وهناك من هذا التفسير • وكان علي ايضا أن أنتقل مع الآلوسي فى آفاق معلوماته الواسعة ، واشد نفسي اليه وهو يخوض فى مناقشات مسائل كثيرة • ومع كل ذلك فلا أزعم انني هضمت كل شيء فى هذا التفسير ، ولا أدعي انني أحطت به وبمسائله ، ولكنني أستطيع أن أقول أن ما كان عليّ واجبا حاولت أداءه ، وبذلت ما فى وسعي فى تطبيق خطتي التي رسمتها لنفسي ، وحملت فكرى على فهم ما أريد فهمه ، وجنبته عن فهم مسائل قليلة عقيمة ، تعبر عنها عبارات مغلقة متكلفة لا تتصل بموضوعي من قريب ولا من بعيد كتبت لزمان غير زماننا وفى ظروف تختلف عن ظروفنا ، واكثر هذه النماذج الباهتة نقولات ينقلها الآلوسي من بعض كتب القوم من المتأخرين فى معرض مجادلات بيزنطية لا جدوى من ورائها ، ولا داعي لمعرفتها وعرضها على انسان هذا القرن •

لقد كنت أحب ان أقع على دراسات علمية عن هذا التفسير لأستفيد منها فى توجيه بحثي ، وتلمس طريقي ، ولكنني لم أحصل على مثل تلك الدراسات التي كنت انشدها عدا الفصل القصير العام الذى كتبه الاستاذ

محمد حسين الذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) •

ان الموضوع جديد ولم يكتب حوله الا النزر اليسير ، ولذلك فقد كان علي أن أسير وحدي متوكلا على الله وعلى قراءة التفسير •

وقبل أن أدخل فى فصول الكتاب درست بصورة سريعة مناهج المفسرين القدماء والمحدثين ، حتى يستطيع القارىء أن يحدد مكانة الآلوسى بين المفسرين ، ويتبين منهجه بين هذه المناهج الكثيرة المتنوعة •

ولم يكن لى بد ـ وأنا أدرس الآلوسي ـ أن ادرسه من حيث هو كل • فلقد بدأت اولا بالقاء نظرة عامة على عصره ، وتحديد سماته السياسية ، وملامحه العقلية ، فمعرفة العصر الذى يعيش فيه العالم أو الاديب تنير امامنا السبيل لفهم اخلاقه وشخصيته واتجاه ثقافته • وتطور عقليته • ثم قسمت بحثي الى بابين جعلت أولهما لدراسة الآلوسي : عصره وحياته ، وجعلت الثانى لدراسة تفسيره المشهور « روح المعاني » • وفى الفصل الاول من الباب الاول عالجت بيئة الآلوسي الخاصة متكلما عن أسرته ومولده ونشأته ورحلته ووفاته ، ثم اساتذته وشيوخه • فالحديث عن هذه الامور المهمة متمم للحديث السابق من جهة ، وضروري لمعرفة تربيته الخاصة ، والجوانب الخفية والظاهرة من حياته السياسية والعقلية والاجتماعية • ولم يكن لي أن أترك الحديث عن حياته دون سبراغوار شخصيته الاجتماعية ، والولوج الى الجوانب الواسعة فى تصوير ذكائه وعقليته •

أما الفصل الثاني من الباب المذكور فقد خصصته للتحدث عن تراث الآلوسي الادبي والعلمي كتابا كتابا كي يستطيع القارىء ان يلم بجوانب ثقافته ، وتعدد مناحيها ، لانها ستساعده فى فهم شخصيته العلمية فى تفسيره ، وتطلعه على جذور آرائه وافكاره ومواقفه •

وفى الفصل الاول من الباب الثاني درست الصورة العامة لتفسير الآلوسي من حيث تاريخ كتابته له وانتهاؤه منه ، ونسخه المطبوعة والمخطوطة ، ووصفه ، مبينا الاسس العامة له حتى يكون نبراسا ينير امام القارىء سبل الفهم فيه •

اما فى الفصل الثاني فقد درست مصادر تفسيره حتى يتبين تأثره بمن قبله ، وعرضت منهجه فى تفسير الآيات ، وهو يشكل فى حد ذاته جانبا مهما من جوانب دراسة هذا التفسير اذ الالمام بمنهجه هذا سيقودنا الى معرفة اتجاهه الحقيقي فى كيفية تناول الآيات وفهمها •

واما فى الفصل الثالث فقد درست موقف الآلوسي من موضوعات التفسير فدرست موقفه من حروف الهجاء فى أوائل السور ، وموقفه من فواصل الآيات ، وموقفه من المتشابه والنسخ والاعجاز والقراءات ، وموقفه من الاسرائيليات ، وموقفه من المسائل الاعتقادية والفقهية ، وموقفه من التصوف ، وموقفه من الآيات الكونية ، وموقفه من الملل والنحل ، كي تظهر بوضوح موافقاته ومخالفاته للمفسرين الذين سبقوه • فمن خلال هذه الدراسة ظهرت لي الشخصية الحقيقية للآلوسي المفسر والعالم وقيمة تفسيره من الناحية العلمية ، وكان لابد لي وانا أدرس تلكم المواقف أن اقدم نماذج من آرائه التي انفرد بها فى فهم الآيات القرآنية ، كي تقوم دليلا واضحا على اصالته فى تفسيره وعدم اعتماده الكامل على غيره •

وفى الفصل الرابع درست امورا مهمة لا يمكن أن يكون البحث كاملا بدونها ، فلقد بينت آراء العلماء المعاصرين للآلوسي والذين جاؤوا من بعده فى تفسيره ، وهي ترحيب عميق به ، وتمجيد ساطع له ، وقبول حسن • ثم بينت منزلته بين كتب التفسير ، وحددت مكانته معتمدا على الدراسات السابقة • ثم عرجت على تأثيره فيمن جاء بعده من المفسرين وأخيرا وضعته

فى الميزان وبينت رأيي فيما له وما عليه ، مستخلصا قيمته الحقيقية ، ومميزاته العامة ، والثغرات الموجودة فيه .

ان الموضوعات المتنوعة التي عالجتها وعرضتها عن هذا التفسير ، يقود بعضها الى البعض الآخر ، ويشترك جميعها فى اعطائنا فكرة صادقة عن الآلوسي وتفسيره وتراثه ، مبنية على دراسة موضوعية خالية من الهوى والتعصب .

ان هذا البحث هو أول محاولة علمية جادة ـ على ما أعلم ـ لدراسة تفسير الآلوسي ، وباعتباره هذا فانه سوف لن يخلو من ثغرات أرجو ان يوفق الله غيري من الباحثين الى سدها ، الذين قد يرون فيه ما لم أر ، ويفهمون ما لم أفهم ، فالكمال لله وحده . وما على الانسان الا ان يبذل جهده ويدقق فى المسائل للوصول الى بعض الحقائق . وظني انني استطعت أن أصل الى حقائق معينة لم اسبق اليها .

وكل ما أرجوه ان أكون قد وفقت فى تقديم هذا المفسر الجليل الى محبي التفسير من الباحثين والدارسين ، وان أكون قد نجحت فى اضافة صفحة جديدة الى علم تاريخ التفسير .

وليس لي فى ختام هذه المقدمة الا أن أتقدم بشكري الفائق الى الاستاذ المشرف الدكتور يوسف خليف لما لمسته منه من تشجيع ولطف ، ولما استفدت منه من ارشاد وتوجيه . فجزاه الله عن الدين والعلم خيرا . وأشكر اساتذة قسم اللغة العربية بكلية الآداب فى جامعة القاهرة على موافقتهم على هذا البحث .

كما واقدم وافر شكري الى الاستاذين الجليلين الدكتور شوقي ضيف والدكتور حسين نصار لقبولهما الاشتراك فى مناقشتي ، وتقديمهما لي ملاحظات قيمة جزاهما الله خيرا . انه سميع مجيب ؟

محسن عبدالحميد

تمهيد

مناهج التفسير عند القدماء والمحدثين :

نزل القرآن الكريم كتاب هداية شاملة للبشرية باللغة العربية ، فى مجتمع بسيط ، غير معقد حضاريا ، فكان من البديهي أن يتفاوت الناس فى عصر واحد فى فهمه ، نتيجة لاختلاف ظروف حياتهم العقلية والاجتماعية . وكان من الطبيعي ايضا ان يختلف العلماء فى تفسيره حسب مستوى عصرهم الثقافي ، لان القرآن الكريم كتاب الله الخالد الكامل ، وليس بمقدور العقول أن تحيط به احاطة تامة فى عصر واحد . فكلما تقدمت الحياة ازداد الانسان علما بهذا الكتاب الكريم وفهما لمسائله ومواعظه ، وتشريعاته وسننه . وبناءا على ذلك تعددت مناهج التفسير وتباينت سبل الفهم فيها على مدى العصور من زمن النبي الكريم الى يومنا هذا .

ان العرب الذين نزل القرآن الكريم بلغتهم كانوا يفهمون منه ما يفهمون مسترشدين بما فى لغتهم من أساليب الاداء ، وأحكام التعبير ، وكانوا يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم في الامور التي يقفون عندها ، ولا يعرفون معناها . فكان يوضح لهم الكلمات ، ويشرح لهم المعنى . أخرج أحمد والترمذي والحاكم وصححاه عن ابى سعيد الخدري عن النبي صلى الله

عليه وسلم فى قوله تعالى (وكذلك جعلناكم امة وسطا) قال عدلا[١] •
وأخرج أحمد وغيره عن أبى رزين الاسدي قال : قال رجل يا رسول الله أرأيت قول الله الطلاق مرتان ، فاين الثالثة ؟ قال : التسريح باحسان الثالثة[٢] وأخرج أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) شق ذلك على الناس ، فقالوا : يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه ، قال : انه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح « ان الشرك لظلم عظيم » انما هو الشرك[٣] •

واذا راجعنا كتب الحديث المشهورة الموثوقة كصحيح البخاري وصحيح مسلم نجد انها تحوي أبوابا كاملة من الاحاديث التي تفسر القرآن الكريم ، وقد عرض السيوطي فى كتابه (الاتقان) صفحات عديدة منها تفسر مختلف جوانب الآيات الكريمة[٤] •

وقام بهذا الامر بعده صلى الله عليه وسلم الصحابة الكرام • واشتهر منهم علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وابى بن كعب[٥] •

روى معمر عن وهب بن عبدالله عن ابى الطفيل قال : شهدت عليا يخطب وهو يقول سلوني فو الله لا تسألون عن شيء الا أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله ، فو الله ما من آية الا وانا أعلم ابليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل • وأخرج ابن جرير وغيره عن ابن مسعود انه قل والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وانا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت[٦] •

---

(١) السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن ٢/١٩١ •
(٢) المصدر السابق ٢/١٩٢ •
(٣) المصدر السابق ٢/ ١٩٣ •
(٤) المصدر السابق ٢/١٩١ ـ ٢٠٥ •
(٥) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ١/ ٣ • احمد امين ـ ضحى الاسلام ٢/١٣٢ •
(٦) الاتقان ٢/١٨٧ •

واما ابى بن كعب فلقد اتخذه الرسول صلى الله عليه وسلم كاتبا للوحي ، وكان على مبلغ عظيم من العلم باسباب النزول ومواضعه ومقدم القرآن ومؤخره ، وناسخه ومنسوخه[٧] • واما ابن عباس فقد قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل) ولذلك فانه سمى بترجمان القرآن وبالبحر لكثرة علمه ، وشهد له الصحابة بالتقدم فى هذا المضمار[٨] •

وبمرور الزمن تكونت مدارس تفسيرية ؛ كمدرسة مكة التي قامت على أساس علم عبدالله بن عباس والتي ضمت أمثال سعيد بن جبير (٤٥-٩٥ هـ) ومجاهد بن جبر (٢١-١٠٤ هـ) وعكرمة البربري (٢٥-١٠٥ هـ) وطاوس بن كيسان اليماني (٣٣-١٠٦ هـ) وعطاء بن ابي رباح (٢٧-١١٤ هـ) • ومدرسة المدينة التي قامت على أساس علم ابى بن كعب (ت ٢١ هـ) والتي ضمت أمثال ابى العالية رفيع بن مهران الرباحي (ت ٩٠ هـ) ومحمد بن كعب القرظي (٤٠-١١٨ هـ) وزيد بن أسلم (ت ١٣٦ هـ) • ومدرسة الكوفة التي قامت على أساس علم عبدالله بن مسعود (ت٣٢هـ) والتي ضمت علقمة بن قيس (ت ٦٢هـ)ومسروق بن الاجدع (ت ٦٣ هـ) والاسود بن يزيد (ت ٧٥ هـ) ومرة الحمداني (ت ٧٦ هـ) وعامر الشعبي (٢٠-١٠٩ هـ) والحسن البصري (٢٢-١١٠) وقتاده السدوسي (ت ١١٧ هـ)[٩] •

---

(٧) التفسير والمفسرون ١/٩٢ •

(٨) تفسير ابن كثير ١/٤٢٣ • الاتقان ٢/١٨٧ • التفسير والمفسرون ١/٦٥ •

(٩) ابن تيمية ـ مقدمة فى اصول التفسير ٢٣ • الاتقان ١/١٨٧ وما بعدها • مناهل العرفان فى علوم القرآن ٤٨٠ ـ ٤٩٠ • التفسير والمفسرون ١/١٠١ ـ ١٢٧ • ضحى الاسلام ٢/١٣٩ ـ ١٤٠ •

وكان رجال هذه المدارس جميعها يعتمدون على :

آ ـ القرآن الكريم : فهو يفسر بعضه بعضا ؛ فما أطلق فى مكان قيد فى مكان آخر وما أوجز فى سورة فصل في سورة أخرى، وما عمم في آية خصص فى آية ثانية .

ب ـ السنة النبوية : فلقد كانوا مطلعين عليها ، حافظين لها ، لانهم صاحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وسمعوه يقرأ القرآن الكريم ويفسره ، وشاهدوا معه الوقائع ، وعاشوا معه الحياة التي فيها نزل .

ج ـ اجتهادهم : مستندين على معرفتهم باسباب النزول ، وسعة ادراكهم ، وعلو كعبهم فى الفصاحة ، واطلاعهم الدقيق على أسرار اللغة العربية وعادات المجتمع العربي ، مما كان يكشف لهم النقاب عن أسرار كتاب الله ، ويمكنهم من الفهم الصحيح لآياته .

د ـ ما نقلوه عن أهل الكتاب مما لا يرجع الى الاحكام مستندين على اباحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتحدث عن بني اسرائيل ، والتي شكلت فيما بعد القصص والاخبار فدخلت الى تفسير القرآن الكريم والتي سميت بالاسرائيليات[١٠] .

وقد أصبح هذا التراث النقلي فى التفسير وما لحقه من أقوال تابعي التابعين مصدرا خصبا لظهور الملامح النهائية الواضحة فيما نسميه ـ (المنهج المأثور فى التفسير) الذي وعاه وجمعه فى تفسير واحد كبير ، ابن جرير الطبري ، فى تفسيره الذى سماه (جامع البيان فى تفسير القرآن) والذى

---

(١٠) ابن كثير ١/٣،٤ • جولدزيهر : مذاهب التفسير الاسلامى ٧٥ ـ ١٠٦ • مناهـل العرفان ٤٨٠ ـ ٤٨٢ دائرة المعارف الاسلامية م ٥ ع ٩ ص ٣٥٢ ، التفسير والمفسرون ١/٣٧ ، ٤٥ ، ٥٧ ، ٦١ • أحمد خليل: نشأة التفسير فى الكتب المقدسة والقرآن ٣٤ ـ ٣٩ •

عرض فيه أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم مع ذكر اسانيدها ـ دون تعقيب غالبا بتصحيح أو تضعيف ـ وترجيح بعضها على بعض ترجيحا يعتمد على النظر العقلي واستنباط بعض الاحكام ، وذكر وجوه الاعراب والقراءات وعرض الروايات والاخبار الاسرائيلية مع مخاصمة قوية للذين يفسرون القرآن بالرأي المجرد ، والدعوة الى الاعتماد على علم الصحابة والتابعين ، وهذا التفسير هو دائرة معارف غزيرة الثروة من التفسير المأثور لا بل هو جماع التفسير بالمأثور ومنتهى ذروته(١١) .

ويدخل ضمن المنهج المأثور تفسير (بحر العلوم) للسمرقندي (ت ٣٧٣ هـ) و (الكشف والبيان من تفسير القرآن) لابى اسحق أحمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧ هـ) و (معالم التنزيل) لمحى السنة البغوى (ت ٥١٠ هـ) و (المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز) لابن عطيه الاندلسي (ت ٥٤٦ هـ) و (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) و (الجواهر الحسان فى تفسير القرآن) للثعالبي الجزائري (ت ٨٧٥ هـ) و (أسباب النزول) للواحدي (ت ٤٦٨ هـ) و (الناسخ والمنسوخ) لابى جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) و (الدر المنثور فى التفسير المأثور) للسيوطي (ت ٩١١ هـ)(١٢) .

وبجانب التفسير بالمأثور اهتم المفسرون منذ عصر الصحابة الكرام (بالتفسير اللغوي) فالتمسوه فى شعر العرب الذي قال عنه عمر رضي الله عنه (يا أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم فى جاهليتكم فان فيه تفسير

---

(١١) مذاهب التفسير الاسلامى ١٠٦ ـ ١٢٠ . مناهل العرفان ٤٩٧ . التفسير والمفسرون ١/٢١٠ ـ ٢١٢ صبحى الصالح : مباحث فى علم القرآن ٢٩١ .

(١٢) مناهل العرفان ٤٩٧ . التفسير والمفسرون ١/٢٠٤ .

كتابكم)[١٣] • ولقد أكثر ابن عباس من ذلك بناء على اطلاعه الواسع على لغة العرب واشعارهم حتى عده بعض الباحثين مبدعا للطريقة اللغوية فى تفسير القرآن الكريم[١٤] • وتبعه المفسرون من مدرسة المأثور فى هذه الناحية كثيرا أو قليلا على ما بينهم من اختلاف فى الاتجاه حتى وصل الامر الى ابن جرير الذي لم يكن اهتمامه بها أقل من اهتمامه بالتفسير المأثور[١٥] •

ان اللغويين فى العصور التالية قاموا بحملة واسعة فى جمع المفردات ، وتنسيق الاشعار وجمعها وتدوينها ، كما ان اللهجات المختلفة وجدت منهم عناية كبيرة وذلك لدراسة ما يتعلق بالقراءات فى القرآن الكريم[١٦] •

لقد ظهرت مؤلفات مستقلة فى هذا الاتجاه يجمعها عنوان (معاني القرآن) للرؤاسي (ت ١٨٧ هـ) والكسائي (ت ١٨٩ هـ) والفراء (١٤٤-٢٠٧هـ) ويونس بن حبيب (ت١٨٢هـ) وقطرب(ت٢٠٦هـ) والزجاج (٢٤١-٣١١ هـ) وخلف النحوي (ت ٢٢٩ هـ) وكذلك (مفردات القرآن) للراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) و (مجاز القرآن) لابى عبيدة (١١٠-٢٠٩ هـ)[١٧] •

ولقد عنى المعتزلة بالدراسات اللغوية فى توجيه تأويلاتهم لآيات القرآن الكريم وكان هذا المنهج هاديا لجميع مفسري المعتزلة وابرزهم فى هذا الميدان الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ)[١٨] •

---

(١٣) الشاطبى ـ الموافقات ٢/٨٨ •
(١٤) التفسير والمفسرون ١/٧٥ •
(١٥) مذاهب التفسير الاسلامى ١١٥ •
(١٦) ضحى الاسلام ١/٣٢٨ ، ٢/٢٥٠ وما بعدها • مصطفى الجوينى : منهج الزمخشرى فى التفسير ١٣ •
(١٧) معجم الادباء ١٨/١٢٥ • ضحى الاسلام ٢/١٤٦ • منهج الزمخشرى ٢٨٢ •
(١٨) مقدمة ابن خلدون ٩٩٨ • مذاهب التفسير الاسلامى ٤٠-١٥٢ منهج الزمخشرى ١٦٣ •

ونستطيع أن نعد ضمن هذا المنهج الدراسات النحوية المتنوعة فى تفسير كلمات القرآن واعرابها منها كتاب (اعراب القرآن) المنسوب الى الزجاج وكتاب (اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم) لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) وتفسير ابى حيان (ت ٧٤٥ هـ) الذي صب اهتمامه الاعظم على الجانب النحوي والاعرابي فى القرآن الكريم[١٩] .

وتمثل كتب القراءات المختلفة التي تهتم باللغات التي نزل بها القرآن الكريم جانبا مهما من جوانب المنهج اللغوى ومن أهمها (القراءات السبع) لابن مجاهد (ت ٣٧٤ هـ) و (القراءات) لابي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥هـ) و (التيسير فى القراءات السبع) لابى عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) و (النشر فى القراءات العشر) لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)[٢٠] .

وهناك المنهج البياني الذى يدخل ضمن دائرة المنهج اللغوي والذى يتمثل فى تلكم الدراسات البيانية التي قامت من أقدم العصور الى اليوم حول تبرير التركيب القراني وبيان مواطن جمال آيه ، ودراسة الحس اللغوي في كلماته . ومن هذه الدراسات دراسات الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في (نظم القرآن) وكتابا (اسرار البلاغة) و (دلائل الاعجاز) لعبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ودراسات الزمخشري القيمة لبيان اعجاز القرآن فى تفسيره ، والتي تمثل تراث المعتزلة فى هذا الباب وغيرها[٢٠] .

لم يبق تفسير الكتاب الكريم فى نطاق المنقول من المأثور واللغة وانما

---

(١٩) التفسير والمفسرون ٣١٨/١ . قاسم القيسى : تاريخ التفسير ٨٦ .

(٢٠) تاريخ التفسير ٩٢ ـ ٩٥ .

(٢١) منهج الزمخشرى ٦٦ ـ ٢١٥ . تاريخ التفسير ٩٩ ـ ١٠٠ .

دخل فيه اتجاه آخر هو ما نسميه (التفسير بالرأي) وذلك بعد أن واجهت الحضارة الاسلامية عند توسع رقعتها حضارات عدة ، وامتزجت بها امتزاجا قويا ، فانطلقت العقلية الاسلامية تجوب فى آفاق المعارف الانسانية ، فاتضحت معالم الفرق المختلفة والمذاهب المتنوعة من فقهية وكلامية وباطنية وصوفية ، فانعكست فى فهم المسلمين لكتابهم ، وبدأ اخضاع التفسير للالوان الذاتية ، حتى اجتمعت فى ميدان التفسير مواد كثيرة ، غلب الجانب العقلى منها النقلي[٢٢] • ولم يكن نتاج هذا المنهج العقلي كله محموداً ، مقبولا لدى العلماء ، مطابقا لمقاصد القرآن الكريم فى الهداية ، فقد خرج قوم من المفسرين بالآيات القرآنية الى ما لا يقبله العقل القويم ، والصحيح المنقول من الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين لهم ، والمنطق اللغوي فى أساليب العرب فى الأداء حقيقة ومجازاً[٢٣] •

ونتيجة لذلك وضع العلماء شروطا لقبول التفاسير العقلية ، نقلها السيوطي عن الزركشي وهي :

أ ـ النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع التحرز عن الضعيف والموضوع •

ب ـ الأخذ بقول الصحابى فقد قيل انه فى حكم المرفوع مطلقا وخصه بعضهم باسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأى فيه •

ج ـ الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات الى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب •

---

(٢٢) ضحى الاسلام ٢/١٤٦ـ١٤٩ • دائرة المعارف الاسلامية م ٥ عدد ١٠ ص ٣٦٢ ـ ٣٦٤ • التفسير والمفسرون ١/١٤٦ •

(٢٣) مناهل العرفان ٥١٧ • التفسير والمفسرون ٢٧٥ ـ ٢٨١ • مباحث فى علوم القرآن ٢٩١ •

د ـ الأخذ بما يقتضيه الكلام ، ويدل عليه قانون الشرع ، وهـــذا النوع الرابع هو الذى دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فى قوله (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل)[٢٤] .

وقد تلقى العلماء عددا من التفاسير التي سيطر عليها المنهج العقـلي بالقبـول فمنهـا تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي (ت ٦٠٦ هـ) و (انوار التنزيل) للقاضي البيضاوي (ت ٦٩١ هـ) و (غرائب القرآن) للنيسابوري (ت ٧٢٨ هـ) و (ارشاد العقل السليم) لابى السعود العمادى (ت ٩٨٢هـ) و (لباب التأويل) للخازن (ت ٧٤١ هـ) وتفسير (الجلالين) للجلال المحلى (ت ٨٦٤هـ) والجلال السيوطي[٢٥] (ت ٩١١) .

أما التفاسير التي لم تحظ بالقبول لدى علماء اهل السنة والجماعة ، فهي تلك التي يخضع فيها المفسرون آيات القرآن الكريم لتأييد اهوائهـم وبدعهم ، واسناد مللهم ونحلهم . فالمعتـــزلة أخضعوا آيات القرآن الكريم لمبادئهم فى العدل والتوحيد وحرية الارادة والوعد والوعيد وانكار الرؤية وغيرها ، وتعسفوا ايما تعسف فى تأويلها وتوجيهها .

وتقوم مدرسة المعتزلة فى التفسير على ثلاث قواعد : أولاها اتباعهم للمنهج اللغوي الدقيق القائم على أساس التحري عن المدلولات التي توافق مذهبهم وتبرر تأويلهم . وثانيتها قيام منهجهم على أساس افتراض التعبير المجازي وثالثتها ايمانهم بالعقل كمصدر للمعارف الانسانية ، وأظهر تفسير يمثل نتاج هذه المدرسة هو الكشاف للزمخشري[٢٦] .

---

(٢٤) الاتقان ٢/١٧ . مباحث فى علوم القرآن ٢٩٢ .

(٢٥) مناهل العرفان ٥٣٤ـ٥٣٧ . التفسير والمفسرون ١/٢٩٠ وما بعدها . مباحث فى علوم القرآن ٢٩٠ .

(٢٦) مناهل العرفان ٥٣٨ـ٥٤٢ . التفسير والمفسرون ٣٧٢ ومـا بعدها . مذاهب التفسير الاسلامى ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ـ منهج الزمخشرى ٩٣ ، ١٦٣ ، ٢١٥ .

والمتصوفة والباطنية وأهل الاشارة يشتركون جميعا في مناهجهم التفسيرية في مخالفة ظاهر القرآن الكريم مع ما بينهم من اختلافات • فالصوفية حكموا نظرياتهم في الحلول والوحدة في تفسير الآيات فأبعدتهم عن النسق القرآني وجعلت كلامهم غامضا واحيانا اسطوريا • والباطنيون يرفضون ظاهر القرآن ، ويفترضون أشياء يسمونها بالباطن من نسج خيالهم • والاشاريون يؤولون الآيات على غير ظاهرها مع ايمانهم بأن الظاهر هو المراد(٢٧) •

ان أهم التفاسير التي تمثل الاشاريين والصوفية هي تفسير التستري (ت ٢٨٣ هـ) وحقائق التفسير للسلمي (ت ٤١٢ هـ) وعرائس البيان لأبي محمد الشيرازي (ت ٦٠٦ هـ)(٢٨) • واما التفاسير الباطنية فمنتشرة في كتب فرقها كالاسماعيلية والقرامطة والبابية والبهائية(٢٩) •

أما الشيعة ـ على اختلاف فرقهم ـ فانهم غالوا في حب آل البيت ، وتطرفوا في تأويل الآيات القرآنية على اصول مذهبهم دون الاعتماد على القواعد المتزنة المقررة عند علماء أهل السنة في التفسير • ومن أهم الكتب التي تمثل طريقتهم في التفسير (مجمع البيان) للطبرسي (ت ٥٣٨ هـ) و (الصافي في تفسير القرآن الكريم) لملا محسن الكاشي الذي ألفه سنة (١٠٧٥ هـ)(٣٠) •

وأما الخوارج فلقد نظروا الى ظاهر النصوص جدا ، ولم يتعمقوا في فهم معاني القرآن الكريم ولم يلتمسوا الحكم والاسرار وراءها • وانما

---

(٢٧) مناهل العرفان ٥٤٢ـ٥٥٠ • مذاهب التفسير الاسلامي ٢٠٤ وما بعدها • التفسير والمفسرون ٣/٧١ • مباحث في علوم القرآن ٢٩٥ـ٢٩٧

(٢٨) مناهل العرفان ٥٥٠ • مذاهب التفسير ٢٩٢ وما بعدها • التفسير والمفسرون ٣/٤٦ـ٨٢ •

(٢٩) مناهل العرفان ٥٤٣ـ٥٤٤ • التفسير والمفسرون ٢/٢٤٠ وما بعدها •

(٣٠) التفسير والمفسرون ٢/٩٩ ، ١٤٥ •

صدروا من آرائهم ونظرياتهم واخضعوا القرآن الكريم لها ، وركبوا فى ذلك الصعب والذلول • ومن تفاسير الخوارج الباقية تفسير هود بن محكم الهواري من أهل القرن الثالث الهجري ، وتفسير هميان الزاد الى دار المعاد للشيخ محمد بن يوسف اطفيش من أهل هذا القرن(٣١) •

ولم يقتصر الامر على تلك الالوان المختلفة فى ميدان التفسير وانما ظهر لون آخر كنتيجة طبيعية لنمو الفقه الاسلامي وتعدد المذاهب الفقهية فى العصور التي تلت عصر الفقهاء الاولين من التابعين وتابعيهم والذي اوجد لنا تفاسير فقهية متعددة حاول المفسرون الفقهاء فيها ان يستنبطوا الحلول الشرعية من القرآن الكريم لتلكم المسائل التي استحدثت فى الحياة الاسلامية المتطورة وظهر ما نسميه (المنهج الفقهي فى التفسير) •

حاول الفقهاء على ضوء هذا المنهج دعم مذاهبهم • وبذلك أخضعوا القرآن الكريم الى قواعدها وآراء فقهائها ، ولم يطلبوا الحق لذاته فى كل حين(٣٢) • فمن التفاسير الفقهية لاهل السنة المعنونة بـ (أحكام القرآن) تفسير الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠ هـ) والكيا الهراسي الشافعي (ت ٥٠٤ هـ) وابن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ) (والجامع للاحكام) لابى عبدالله القرطبي المالكي (ت ٦٧١ هـ) • ومن التفاسير الفقهية الشيعية (كنز العرفان فى فقه القرآن) لمقداد السيوري من أهل القرن الثامن و (الثمرات اليانعة والاحكام الواضحة القاطعة) ليوسف الزيدي من علماء القرن التاسع الهجري(٣٣) •

وبانتهاء عصر الترجمة من الحضارات التي كنت تحيط بالبلاد الاسلامية • وبنفوذ نتاجها الى التفكير الاسلامي ظهر (المنهج العلمي) فى

---

(٣١) مذاهب التفسير ٢٨٧ • التفسير والمفسرون ٢/٣٠٥–٣١٨ •
(٣٢) التفسير والمفسرون ٣/٩٨–١٠١ •
(٣٣) المصدر السابق ٣/١٠١–١٠٣ •

تفسير القرآن الكريم ، وهو القول بان القرآن الكريم يشمل العلوم جميعا ، وتفسير آياته في ضوء اصطلاحاتها . واول من بسط القول في ذلك الامام الغزالي في كتابيه (احياء علوم الدين) و (جواهر القرآن)[٣٤] . واستمرت هذه النزعة في التفسير وأصبحت فيما يبدو وجها في تعليل اعجاز القرآن وبيان صلاحيته للحياة [٣٥] . ولعل تفسير الرازي في القديم أبرز من يمثل هذا الاتجاه مع كتب مستقلة اخرى كثيرة[٣٦] .

أما في العصر الحديث فقد حاول كثيرون اثبات أن القرآن الكريم لا يخالف العلم ولا يتعارض مع حقائقه[٣٧] . لا بل أنهم حاولوا اثبات ان جميع النظريات العلمية التي جاء بها العلماء في العصر الحديث في علوم الكيمياء والفيزياء والطب والفلك والحياة موجودة في القرآن الكريم طبقا لقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء)[٣٨] وأضخم تفسير يمثل هذا الاتجاه في العصر الحديث هو التفسير الذى الفه الشيخ طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٤٠ م) والذى فسر فيه آيات القرآن الكريم بالنتائج التي وصل اليها العلماء ، والذى أراد فيه أن يلفت نظر المسلمين الى العلوم الكونية ، كي يستفيدوا منها في بناء حضارتهم الجديدة ، ويتفوقوا على الافرنج في الزراعة والطب والمعادن والحساب والهندسة والفلك وغيرها من العلوم والصناعات[٣٩] .

---

(٣٤) دائرة المعارف الاسلامية م ٥ ع ٩ ص ٣٥٧ . التفسير والمفسرون ٣/١٤٠ـ١٤٢ .
(٣٥) دائرة المعارف الاسلامية م ٥ ع ٩ ص ٣٥٧ .
(٣٦) المصدر السابق م ٥ ع ٩ ص ٣٥٩ .
(٣٧) مذاهب التفسير الاسلامي ٣٧٦ـ٣٧٧ .
(٣٨) التفسير والمفسرون ٣/١٦٣ـ١٧٠ .
(٣٩) تفسير طنطاوي جوهري ١/المقدمة . التفسير والمفسرون ٣/١٧٢ـ١٧٥ .

ولقد استنكر الناس قديما وحديثا هذا الاتجاه واعتبروه دخيلا على القرآن الكريم ، فهو لم يأت لكي ينشر بين الناس القوانين العلمية والمعادلات الجبرية أو الارقام الحسابية ولم يأت لكي يقدم كشفا لخصائص المواد وحقائقها، وانما هو كتاب هداية يلفت نظر الانسان الى مختلف مظاهر هذا الوجود[٤٠].

وهنالك منهج آخر يتفرع من المنهج العلمي وهو يكمن فى محاولة التوفيق بين معاني القرآن الكريم والفلسفات التي دخلت الى المجتمع الاسلامي فى عصوره الاولى ، ولعل محاولات ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) فى هذا المجال تعتبر ابرزها[٤١] .

أما فى العصر الاخير فقد ظهر منهج آخر نتيجة للاوضاع القاسية التي تعرض لها العالم الاسلامي فى العصور الحديثة من احتلال عسكري ، وغزو فكري ، وانحطاط عام فى المجتمع الاسلامي بقيادة الشيخ محمد عبده الذى بدأ بتفسير القرآن الكريم فى الازهر مستندا على الاسس التالية :

آ ـ تقوم هذه المدرسة على عدم الاكثار من العلوم والمصطلحات والتفصيل فيهما ، وتنظر الى القرآن الكريم من حيث هو كتاب يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة[٤٢] .

ب ـ العودة الى الكتاب والسنة وعدم اخضاع القرآن الكريم للمذاهب الفقهية والآراء الكلامية[٤٣] .

جـ ـ بيان حكمة التشريع فى العقائد والاحكام على الوجه الذى يجذب الارواح ويسوقها الى العمل والهداية ، والتجديد الكامل لفقه الاسلام

---

(٤٠) دائرة المعارف الاسلامية م ٥ ع ١٠ ص ٣٦١ ٠ التفسير والمفسرون ٣/١٥١ ٠

(٤١) التفسير والمفسرون ٣/٩٠ـ٩٧ ٠

(٤٢) تفسير جزء عم ص ٢ ٠ تفسير المنار ١/٧ـ١٩ ٠ التفسير والمفسرون ٣/٢١٥ ٠

(٤٣) التفسير والمفسرون ٣/٢١٤ ٠

واستنباط الاحكام الأكثر انسجاما مع روح العصر[٤٤] • واثبات أن الاسلام دين عالمي صالح لجميع الشعوب والازمان وملابسات الحضارة[٤٥] •

د ـ الاستفادة من العلم الحديث في تفسير القرآن الكريم[٤٦] •

هـ ـ الدفاع عن الاسلام امام الغزو الفكري الذى تعرض له ، ودفع المطاعن المختلفة عنه[٤٧] •

و ـ انكار الروايات الاسرائيلية وعدم الاعتماد على الاحاديث الضعيفة والموضوعة[٤٨] ، ومن أشهر الذين فسروا فى اطار هذا اللون الحديث من التفسير تلميذ الشيخ محمد عبده السيد محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار ، وتلميذه الشيخ أحمد مصطفى المراغى صاحب تفسير المراغى ، وتلميذه الشيخ عبدالقادر المغربي الدمشقي صاحب تفسير جزء تبارك •

وانطلق الاستاذ سيد قطب من مدرسة الامام محمد عبده ومنهجها فى تفسير القرآن الكريم ، فرسم ملامح واضحة لمنهجه الذى تفرد به ، والذى يستند على الاسس الآتية :ـ

١ ـ الاهتمام الشديد باستكشاف الاسلوب القرآني فى التعبير والتصوير مستفيدا من دراسات المدرسة البيانية ، ومستندا على ذوقه الادبي ، ومتأثرا بمقاييس النقد الادبي الحديث • ويحلق الاستاذ بقارىء تفسيره تحليقات رائعة فى سماء الاعجاز القرآني مقدما لوحات وصورا ومشاهد وشخوصا يجد الانسان معها التطور الكبير الذى ادخله على مثل

---

(٤٤) المنار ٢٥/١ • التفسير والمفسرون ٢١٥/٣ • مذاهب التفسير ٣٥٢ـ٣٧١ •

(٤٥) المنار ٣٩/٨ •

(٤٦) مذاهب التفسير ٣٨٠ـ٣٨٥ •

(٤٧) المصدر السابق ٣٨٧ـ٣٩٠ •

(٤٨) التفسير والمفسرون ٢١٤/٣ • دائرة المعارف الاسلامية م ٥ ع ١٠ ص ٣٦٤ •

هذه الدراسات •

٢ ـ أراد الاستاذ سيد قطب أن يتخذ من تفسير القرآن الكريم منطلقا لبنـاء حضارة اسلامية جديدة ، تحتفظ بشخصيتها المستقلة محاربا ببيانـه الرائع في سبيل ذلك الافكار الجاهلية المعادية للاسلام ونظرته عن الكون والحياة والمجتمع والانسان •

٣ ـ استقطاب النشىء الجديد حول هذه المعاني ، ومحاولة بناء أساس فكري متين لتجمع حركي منظم ، للقيام بانقلاب جذري في الافكار والعقائد والاخلاق والسلوك ، تمهيدا لتمكين الاسلام وشريعته في قيـادة المجتمع الاسلامي •

وظهر في العصر الحديث منهج سمي بالمنهج الادبي حمل لواءه الاستاذ أمين الخولي عندما كتب تعليقـا طويلا على مادة التفسير في دائرة المعـارف الاسلامية ، حاول فيه أن يرسم لنا ملامح هذا المنهج الادبي الذى دعا اليه وهي :

آ ـ التفسير في نظره هو النظر في القرآن الكريم من حيث هو كتاب العربية الاكبر وأثرها الأدبي العظيم ، وهو الدراسة الادبية الصحيحة المنهج الكاملة المناحي المتسقة التوزيع[٤٩] •

ب ـ تفسير القرآن موضوعا موضوعا لا تفسيره على ترتيبه في المصحف الكريم[٥٠] •

جـ ـ دراسة ما حول النص القرآني من تحقيق للنص وضبطه وبيان تاريخ حياته ومن تعريف للبيئة التي ظهر فيها[٥١] •

---

(٤٩) دائرة المعارف الاسلامية م ٥ عدد ١٠ ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ •
(٥٠) المصدر السابق م ٥ ع ١٠ ص ٣٦٨ •
(٥١) المصدر السابق م ٥ ع ١٠ ص ٣٦٩ •

د ـ فهم القرآن الكريم فى حدود الالفاظ العربية التي كانت تستعمل فى وقت نزوله بعيدا عن الاصطلاحات الحضارية لتلك الكلمات ، والنظرة الادبية الفنية التي تتمثل الجمال القولي فى الاسلوب القرآني وتستبين معالم هذا الجمال[٥٢] .

هـ ـ التفسير على أساس وطيد من الفن القولي بالنفس الانسانية وبالاجتماع[٥٣] الانساني ويستدرك أمين الخولي منهجه هذا بأن أسلافنا من العلماء والمفسرين شعروا بجملته وقاموا ببعضه[٥٤] .

استطيع مستنيرا بما سبق ـ أن أقرر أن حركة التفسير مرت بالادوار الآتية :ـ

١ ـ التفسير فى ظل الثقافة الاسلامية الخالصة ، كما فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ التفسير فى ظل الثقافة الاسلامية المطعمة الى حد ما بالروايات الاسرائيلية التي دخلت الى التفكير الاسلامي من قبل مسلمي أهل الكتاب كما فى عهد الصحابة الكرام والتابعين لهم .

٣ ـ التفسير فى ظل المصطلحات والعلوم الحادثة فى الملة والتي دخلت الى المجتمع الاسلامي نتيجة لاختلاط الحضارات وامتزاج الثقافات كما فى العصر العباسي والعصور التالية له .

٤ ـ التفسير فى ظل النهضة الاسلامية الفكرية الحديثة كما فى مدرسة الشيخ محمد عبده .

---

(٥٢) المصدر السابق م ٥ ع ١٠ ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ .
(٥٣) المصدر السابق م ٥ ع ١٠ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ .
(٥٤) المصدر السابق م ٥ ع ١٠ ص ٣٧٤ .

٥ ـ التفسير فى ظل الحركة الاسلامية الحديثة كما يمثله الاستاذ سيد قطب •

مع ملاحظة أن الثقافة الاسلامية كانت العنصر المشترك بين جميع الادوار التي مر بها تفسير القرآن الكريم ، أقصد التفسير الذى مثل استجابة حية لحاجة المسلمين الحضارية التي تريد دوما استنباط الاسس الجديدة لبناء حياتهم المناسبة للمستوى العقلي والحضاري الذى وصلوه •

هذه صورة قلمية سريعة للمذاهب التفسيرية التي وجهت اعمال المفسرين عبر التاريخ تضيء امامنا الطريق فى التعرف على المنهج الذى اتبعه الآلوسي ، وتحديد مكانته بينها ، فلنبدأ بهذه الدراسة التي أرجو أن توصلنا الى نتائج علمية محترمة[٥٥] •

---

(٥٥) تحديد منهج سيد قطب اضيف الى الكتاب عند الطبع •



البَابُ الأوّل

الفصل الاول

عصره وحياته

(١) عصره من النواحي السياسية والعقلية والأدبية ٠

(٢) حيــاته ٠

(٣) أساتذته وشيوخه ٠

(٤) ثقافته واتجاهاتها ٠

(٥) شخصيته الاجتماعية والعقلية ٠

(٦) مكانته العلمية فى عصره ٠

(١) عصر الآلوسي من النواحي السياسية والعقلية والادبية :

الناحية السياسية :ـ توالت على العراق النكبات ، وتتابعت عليـــه الكوارث بعد سقوط بغـداد بأيدي هولاكو وجنده (٦٥٦ هـ) ، فتعاورته منذ ذلك الحين أيادي المغول والفرس والصفويين الى ان دخـل فى حكم الاتراك العثمانيين عام (٩٤١ هـ ـ ١٥٣٤ م)[١] ، فقسموه تقسيما جديدا الى ايالة بغـــداد وايالة البصرة وايالة الموصـل وايالة شهرزور وايالـــة الاحساء[٢] • وعينت الدولة سليمان باشا الذى كان واليا على ديار بكر اول وال على العراق عام (٩٤٣ هـ)[٣] •

ولكن السلطـة الحقيقية لم تبق بيـد العثمانيين طويلا ، وانما دخلت تدريجا الى ايدى المماليك[٤] • وكان على الدولة اذا أرادت عزل وزير من الوزراء ان تمهد لذلك ، وتسير الجيوش ، وتلجـأ الى طـريق المشاورات والمناورات • لأن عزل الوزير كان يؤدي غالبا الى سفك الدماء ، واضطراب الاحوال ، واعدام اتباعه • وتشريد وملاحقة مناصريه[٥] •

لم يكن الوزراء جميعهم من ذوي الدراية والعدل ، فلقد كانت المظالم تظهر على ايديهم وايدي اتباعهـم ، وكانت امـوال الناس تصادر احيانا فى سبيل تأمين رواتب الجند ، وامضاء أمور الدولة[٦] • وعنـد عـزل وال ومجيء آخر مكانه ، ينزل هذا العقاب على جماعة سلفه ، ومناصريه فى حكمه •

---

(١) عباس العزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين ١٤/٤ ، ١٩ •
(٢) المصدر السابق ٣٧/٤ •
(٤) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ٣٣ •
(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ٣٣١/٦ •
(٥) المصدر السابق ٣٠١/٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨ •
(٦) اربعة قرون ٢٥٨ •

وأما علاقة العراق بالدولة الايرانية وامارة آل سعود في الجنوب فلم تكن علاقات قائمة على أساس المودة وحسن الجوار[7] . وكان هوى الشيعة ومركزهم كربلاء مع ايران ، وكانوا يتمردون دوما على وزراء بغداد ، ويسببون للادارة فيها أزمات ومشاكل كثيرة ، واما علاقة الدولة بامارة آل سعود فلم تكن طيبة نظرا لانتشار الدعوة الوهابية السلفية التي كانت تخالف المذهب الرسمي للدولة العثمانية في تشجيع التصوف والتمسك بالحنفية[9] .

ولم يكن أمن العراق في القرن الثالث عشر الهجري مستقراً ، اذ كثر الخارجون على الدولة من العشائر وغيرهم ، وكانت ثوراتهم مستمرة ، وخاصة في منطقة الفرات الاوسط ، وكان المتمردون في الحواضر يلتجئون الى العشائر[10] . ولم تكن البلاد خالية من عصابات اللصوص التي كانت تنشر القلق ، وتعبث بأموال الناس[11] . ولم تكن الثورات مقتصرة على العشائر ، فلقد ثار أهل مدينة كربلاء – وهم من الشيعة – على الوالي نجيب باشا (١٢٥٨ هـ – ١٨٤٢ م) مستغلين ضعف الحكومة ، فأرسل هذا الوالي جنده اليها فاحتلها ، وقتل نتيجة لذلك خلق كثير[12] .

أما النفوذ الاجنبي فقد بدأ يتغلغل في هذه الفترة المضطربة من تاريخ العراق ، وخاصة ، النفوذ البريطاني ، اذ كان في بغداد مقيم لهم ، وكان يحدث احيانا الصدام بينه وبين الوزير ، كما حدث بين الوزير القوي داود

---

(٧) تاريخ العراق ٦/٣٣٥ – ٣٣٧ .
(٨) سليمان فائق : تاريخ بغداد ٤٢ – ٤٦ .
(٩) تاريخ العراق ٦/١٦٠ ، ١٦٨ ، ٢٨٧ ، ٣٣٦ .
(١٠) تاريخ بغداد ٨٢ – ٩٠ . أربعة قرون ٢٥٩ . تاريخ العراق ٦/٢٥٢ .
(١١) اربعة قرون ٢٧١ .
(١٢) تاريخ العراق ٧/٦٤ – ٦٨ .

باشا (١٢٣٢ - ١٢٤٧هـ) (١٨١٦-١٨٣١م) وبين كلاديوس رج ، حيث ضيق عليه الوزير حتى اضطره الى الخروج من بغداد ، وكان سبب ذلك أن هذا المقيم قام بسفرة الى منطقة كردستان في شمالي العراق ، وكان يريد من ورائها اثارة القلاقل وتأليب الناس هناك على الدولة[١٣] .

ويمكن أن نلخص الوضع السياسي في العراق بهذه الشهادة الخطيرة التي أثبتها سليمان فائق[١٤] أحد رجالات الفترة الاخيرة من ايام الدولة العثمانية في كتابه (تاريخ بغداد)

« انني أنا سليمان فائق الشخص العاجز الذى فتح عينه وترعرع في بغداد ، قد رافقت هذه التقلبات وتمرست بما يدنيني منها منذ طفولتي ، وأطلعت على العادات والاخلاق وتصرفات المسؤولين في العراق ، أشهد أني رأيت رأي العين ما فعلته الدولة ، وما اوقعته من اضرار في البلاد بسبب حركة التنقلات المستمرة ، والتبدلات السريعة بين رجالها المسؤولين منذ عهد المماليك حتى الآن ، وقد تبين لي أن القطر العراقي مال طابعه نحو النحوس منذ أمد غير قصير ولذلك فان اعمال الذين تولوا الحكم فيه مهما كانت على جانب من الحكمة والاستقامة والخدمة الخالصة ، فانها تنعكس لدى المقامات العليا ، وتبدو لهم على خلاف حقيقتها ، وهذا من جملة اسباب حصول البلبلة والفوضى ، وخلاصة القول ان العراق لم يتحسن وضعه ، ولم يتول أمره من يأخذ بيده منذ انقراض العباسيين ، وبعدما كان من الاقطار المحسودة على خيراتها قد أصبح في انحطاط مستمر ، واستطيع أن أقول

---

(١٣) أربعة قرون ٢٨١ : تاريخ العراق ٢٦٧/٦ ، ٢٦٨ . دون المقيم المذكور هذه الرحلة في مجلدين باسم (رحلة رج) ٢٦٦/٦ ، ٢٦٧ .

(١٤) مؤرخ كبير ، وكاتب اديب ، له عدة مؤلفات . اثنى عليه ابو الشتاء في رحلاته . تقلد عدة وظائف مهمة توفى سنة ١٣١٤ هـ . تاريخ العراق ١٢٧/٨ .

بمرارة وأسف وحزن بالغ ان الموجات العدائية التي طغت عليه ، والظلم والاستبداد الذى حل فى ربوعه ، كل اولئك قد غيره وغير اخـــلاق اهله وبدلها من الحسن الى السيء ، وجعلته فى بداوة وجهل وفقر ، ومايزال سائراً نحو الانحدار والتقهقر ، ولقد بذلت الدولة العثمانية الكثير من الجهود والاموال ، وسفكت الكثير من دماء ابنائها فى سبيل اعمار البلاد منـــذ أن استولت عليها ، ولكن تلك الجهود قد ذهبت ادراج الرياح) [١٥] .

لقد حكم العراق وزراء كثيرون ، ولكن نظراً لأننا نريد فهم الحيـاة السياسية التي عاصرها الآلوسى فلن نشير الا الى الوزراء الذين عاصرهم ، حتى نتعرف عليهم عند ذكر علاقاته بهم .

داود باشا :ـ من أعاظـم الوزراء ولد فى تفليس[١٦] (١١٨٨ هـ ـ ١٧٧٤ م)[١٧] دخل بغـداد مملوكاً ، فاعتنق الاسلام ، وتداولته الايدي حتى دخل تحت تملك سليمان باشا الكبير[١٨] ، وسرعان ما ظهرت مواهبه الادبية والعلمية والعسكرية ، فترقى فى المناصب الى ان وجه اليه الوزارة فى بغـداد سنة (١٢٣٢هـ ـ ١٨١٦م)[١٩] . وكان داود باشـا متدينـا ، مشجعا للتقدم العلمي ، أسست على عهده عدة مدارس ومطبعة[٢٠] ، واهتم بجيشه ، فهيأ له المعلمين الاجانب والاسلحة الحديثـة ، وكان رجلا قـويا

---

(١٥) تاريخ بغداد ١٧٠ ـ ١٧٢ .

(١٦) من بلاد تركستان ، وهى الآن عاصـمة الجمهورية الكرجيـة السوفيتية . المنجد فى الادب والعلوم ١١١ .

(١٧) فى كتاب (اربعة قرون) انه ولد سنة (١١٨١ هـ ـ ١٧٨٠ م) ٢٥٧ .

(١٨) وجه اليه ايالة بغداد يوم الخميس ١٥ شوال سنة (١١٩٣ هـ) تاريخ العراق ٦/٨٦ .

(١٩) اربعة قرون ٢٥٧ . تاريخ العراق ٦/٢٣٦ ، ٣٢٩ .

(٢٠) اربعة قرون ٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ .

استقل بشؤون العراق ، وكان هذا سبب نقمة السلطان عليه[٢١] . وكان داود باشا فاضلا ومن أكابر العلماء ، متضلعا في الشريعة والقانون ، عارفاً باللغات العربية والتركية والفارسية ، ناظما وناثرا . ولم يكن له قرين من الوزراء في العفة والحياء على الرغم من اتهام بعض المؤرخين له بالقسوة والظلم[٢٢] .

عزل عن الوزارة سنة (١٢٤٧هـ - ١٨٣١م) وسير الى القسطنطينية بأمر من السلطان محمود الثاني[٢٣] .

علي رضا باشا اللاز :ــ دخل بغداد وزيراً في ١٧ ربيع الآخر سنة (١٢٤٧هـ - ١٨٣١م) كان بعيدا عن التعصب ، وقد ابدى خلال اشتغاله في العراق شيئا من حرية الفكر ، وكان يتلاءم مع دعاة التقدم من الاجانب[٢٤] . رماه بعض المؤرخين بالظلم والقسوة في معاملة الناس ، وذكروا ان رجاله كانوا من الظلمة[٢٥] .

عزل عن الوزارة سنة (١٢٥٨ هـ - ١٨٤٢ م) .

محمد نجيب باشا :ــ ولي الوزارة في بغداد في ربيع الاول سنة (١٢٥٨ هـ - ١٨٤٢ م)[٢٦] اختلف فيه المؤرخون فمنهم من قال : (كان ذا عدالة ومتانة وشجاعة ، يأخذ بحق المظلوم ، ولا تأخذه في الله لومة لائم) ومنهم من قال : (كان قد بلغ الظلم في ايامه حداً فائقا وكان متمسكا بالطريقة القادرية الصوفية تمسكا قويا صده عن النظر في أمور الدولة)[٢٧] .

---

(٢١) المصدر السابق ٢٧٠ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ .
(٢٢) المصدر السابق ٢٩٥ . تاريخ العراق ٦/٣٣٠ ، ٣٣١ .
(٢٣) تاريخ العراق ٦/٣٣١ .
(٢٤) اربعة قرون ٣٠٤ .
(٢٥) تاريخ العراق ٧/١٤ ، ٤٩ ، ٥٣ .
(٢٦) المصدر السابق ٧/٥٨ .
(٢٧) المصدر السابق ٧/٦٤ ، ٨٣ .

عزل هذا الوالي في رجب (١٢٦٥ هـ - ١٨٤٩ م)[٢٨] .

وتوالى بعده ولاة كانوا يتبدلون بسرعة ، ومن الذين عاصرهم الآلوسى وكان على علاقات حسنة مع بعضهم (عبدي باشا) الذى ولى الوازرة سنة (١٢٦٥ هـ - ١٨٤٩ م) وعزل سنة (١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م) ومحمد وجيه باشا الذى عين وعزل سنة (١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م) ومحمد رشيد باشا الكوزلكي الذى ولى الوزارة سنة (١٢٦٨ هـ - ١٨٥٢ م) وعزل فى نفس السنة ونامق باشا الكبير الذى ولى الوزارة سنة (١٢٦٨ هـ - ١٨٥٢ م) وعزل (١٢٦٩ هـ - ١٨٥٣ م)[٢٩] .

الناحية العقلية والادبية :- ظهرت فى العراق فى القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) بوادر نهضة علمية أدبية خطيرة ، كتلك التي شهدها القرن الرابع للهجرة فى بلاط سيف الدولة بحلب ، وكتلك التي شهدها عصر ملوك الطوائف فى الاندلس على اختلاف فى بعض الفروع والتفاصيل . فقد نبغ فى العراق اذ ذاك عدد كبير من أعاظم الفقهاء والمحدثين والمفسرين والشعراء والادباء[٣٠] .

ان الثقافة العربية الاسلامية لم تنقرض بانقراض الدولة العباسية ، وانما ظلت هناك مراكز ثقافية مهمة حاملة هذا المشعل فى مدارس بغداد والموصل وكربلاء وسامراء وشهرزور (كردستان العراق)[٣١] وهذا يرجع الى تشجيع

---

(٢٨) المصدر السابق ٧/٨٤ .
(٢٩) المصدر السابق ٧/٦٣ - ١٠٦ .
(٣٠) البصير (محمد مهدى) (الدكتور) نهضة العراق الادبية ٩ . انظر ايضا يوسف عز الدين (الدكتور) الشعر العراقى اهدافه وخصائصه فى القرن التاسع عشر ١٦ .

(٣١) قال ياقوت الحموى (بالفتح ثم السكون وراء مفتوحة بعد زاي و واو ساكنة وراء ، وهى كورة واسعة فى الجبال بين اربل وهمذان ،

الولاة العثمانيين أمثال المماليك ومنهم داود باشا ، وامراء الاسرة البابانيـة الشهيرة في لواء السليمانية ، فلقد أسس هؤلاء مدارس جديدة بالاضافـة الى المدارس القديمة ، فانتشرت نتيجة لذلك الثقافة العلمية والادبية(٣٢) .

وكان الوزراء الذين جاؤوا بعد المماليك يقومون برعـاية العلـم ، وتأسيس المدارس ، وعمارة المساجد ، وكانوا يشجعون العلـم والعلمـاء والأدب والأدباء(٣٣) ، وكانوا يهابون العلماء ويخافون أن يصدر منهم مـا يعكـر أمـر السياسـة ، أي أن العلمـــاء كانت لهم كرامتهـم وكلمتهم المسموعة(٣٤) .

ونتيجة لهذه البذور الطيبة في نهضة العراق الثقافية ظهرت بيوتات علمية وأدبية كثيرة في بغداد وغيرها ، اشتهر منهم علماء وادباء وشعراء منهم آل السويدي وآل الراوي وآل الواعـظ وآل الشـواف وآل المـدرس ، وآل العمري وآل الآلوسي وآل الزهاوي وغيرهم(٣٥) .

وكان نظام التعليم يفرض على الطالب ان يدرس فى الكتاب أولا ، وكانت هذه الكتاتيب منتشرة لتحفيظ الاولاد الصغار مبادىء القرآن الكريم ، يشرف عليها مدرس للقرآن يسمى ملا (تحريفا لكلمة مولى)(٣٦) . ثم

واهل هذه النواحى كلهم اكراد ، وقـد خرج من هـذه الناحية من الاجلة والكبراء والائمة والعلماء وأعيان القضاة والفقهاء ما يفوق الحصر) معجـم البلدان ٥/٣١٤ .

(٣٢) القزلجى (محمد) التعريف بمساجد السليمانية ٢٣ ـ ٣٠ . نهضة العراق الادبية ١٠ ـ ١٣ . تاريخ العراق ٦/٣٣٣ . الخال (محمد) البيتوشى ٢٠ . الخال (محمد) معروف النودهى البرزنجى ١٢ .

(٣٣) تاريخ العراق ٦/٢٤٧ ، ٣٣٠ .

(٣٤) المصدر السابق ٦/٢٤٤ ، ٢٩٢ ، ٣٣٤ .

(٣٥) التعريف بمساجـد السليمانية ٣٨ ـ ٣٩ . تاريخ العـراق ٦/٣٣٣ ، ٣٣٤ .

(٣٦) الهلالى (عبد الرزاق) تاريخ التعليم فى العراق ٨٠ ـ ٨٢ .

ينتقل الطالب بعد ذلك الى المدارس الملحقة بالمساجد ، وهذه المدارس هي التي قادت الحركة العلمية والادبية ، وكانت تخرج افواجا من طلبة العلم ، وتثقفهم بالثقافة العقلية والنقلية[٣٧] .

أما أشهر المدارس فى بغداد التي رفعت مشاعل هذه الحركة المباركة فهي مدرسة الامام الأعظم ، والمدرسة السليمانية ، والمدرسة المرادية ، والمدرسة العلية ، والمدرسة الداودية ، ومدرسة جامع علي افندى ، ومدرسة جامع الوزير ، ومدرسة مسجد آل شكرى افندى ، ومدرسة مسجد الآصفية ، والمدرسة الطبقجلية ، والمدرسة العمرية ، والمدرسة السويدية ، ومدرسة جامع القمرية ، ومدرسة جامع القبلانية ، والمدرسة المرجانية ، ومدرسة جامع حسين باشا ، ومدرسة جامع الفضل ومدرسة جامع العادلية الكبير ، ومدرسة جامع الاحسائي ، ومدرسة جامع الحاج أمين الباجهجي ، ومدرسة الحاج نعمان الباجهجي ، ومدرسة جامع السيد سلطان علي ، ومدرسة جامع النعمانية ، ومدرسة جامع الخاصكي ، ومدرسة جامع الخلفاء ، ومدرسة جامع الرواس ، ومدرسة جامع الشيخ سراج الدين ومدرسة جامع الخاتون ، والمدرسة القادرية ، ومدرسة جامع خضر بك ، ومدرسة مسجد الشيخ الانصارى ومدرسة جامع حمام المالح ، ومدرسة مسجد السيف[٣٨] .

وكانت هنالك مدارس اخرى منتشرة فى جميع نواحى العراق كالموصل وكركوك والسليمانية والبصرة وسامراء والنجف وكربلاء[٣٩] .

---

(٣٧) المصدر السابق ٨٣ ـ ٩٢ .

(٣٨) الآلوسى (محمود شكرى) مساجد بغداد ٨٢ ـ ١٣٤ . تاريخ التعليم فى العراق ٧٠ ـ ٧٩ .

(٣٩) تاريخ التعليم فى العراق ٨٣ ـ ٩٢ . الشيخ معروف النودهى ١٤ .

وأما العلوم التى كانت تدرس فى هذه المدارس فهى العلوم النقلية التى كانت تشمل اللغة وفروعها والتفسير والحديث والفقه والاصول ، والعلوم العقلية التى كانت تشمل المنطق والفلسفة والكلام وعلم الهيئة. وكانت مناهج الدراسة هذه هى نفسها التى كانت تدرس فى العصور الاسلامية الاولى[٤٠] .

وأما المكتبات العامة والخاصة ، فلقد كانت منتشرة فى كل مكان ، في المدارس الملحقة بالمساجد وفي بيوت العلماء ، وكان لكل مكتبة محافظ كتب[٤١] . ومن اشهر هذه المكتبات ، مكتبة مدرسة سليمان باشا ، التى كانت تحتوي على (٢٠٠٠) مجلد ، وكان فيها ثلاثون نسخة من صحيح البخاري في أربعة مجلدات ، ومكتبة عناية الله آغا التى كانت تحتوى على (٢٤٦٣) مجلدا ، وكانت كتبها مراجع مهمة[٤٢].

واما الاجازات ، فكانت تعطى للطلاب الذين يكملون المرحلة الدراسية، وتهيؤهم عند ذلك كي يقوموا بالتدريس والخطابة والوعظ ، فكان يجتمع لشهود تلك الاجازات علماء البلدة واعيانها[٤٣] .

وكانت الاجازات هذه تكتب بيد الشيخ يعترف فيها بتدريسه علوما معينة للطالب المجاز على اساس الرواية التى اخذها عن اسلافه من العلماء[٤٤].

---

(٤٠) تاريخ التعليم فى العراق ٩٦ ـ ٩٨ .

(٤١) الآلوسى (ابو الثناء) غرائب الاغتراب ٢١ .

(٤٢) داود سلوم (الدكتور) تطور الفكرة والاسلوب فى الادب العراقى ٢٩ .

(٤٣) غرائب الاغتراب ٢٠ العزاوى (عباس) ذكرى ابى الثناء الآلوسى ١٦ .

(٤٤) غرائب الاغتراب ٢٧٦ ـ ٣١٢ .

واما الدراسات الادبية فلم تكن ضمن مناهج الدراسة المدرسية عدا النحو والصرف والبلاغة وانما كانت تعتمد على الذوق الشخصي ، والتتبع الانفرادى ، ولذلك فان هذه الدراسات تأخرت بعض الشيء عن الدراسات العلمية الاسلامية واللغوية[٤٥] • ومع ذلك فأن هذا العصر شهد نهضة ادبية كان روادها مجموعة من الكتاب والشعراء الذين قادوا الحركة الادبية ، واستطاعوا ان يرفعوا من المستوى الذى انخفض اليه الشعر العربي بعد سقوط بغداد ومن اشهر الشعراء الذين نجد اسماءهم لامعة فى سماء هذا العصر عبدالباقي العمرى (١٢٠٤هـ - ١٢٧٨هـ ، ١٧٨٩م - ١٨٦١م) وعبدالغفار الاخرس (١٢٢١ - ١٢٩٠هـ ، ١٨٠٦ - ١٨٧٣م) والشيخ صالح التميمي (١١٩٠ - ١٢٦٠هـ ، ١٧٧٧ - ١٨٤٣م) والشيخ عبدالغني جميل (١١٩٤ - ١٢٧٩هـ ، ١٧٨١ - ١٨٦٢م) والشيخ محسن الخضري (١٢٣٥ - ١٣٠٢هـ ، ١٨١٩ - ١٨٨٣م) وآخرون غيرهم ممن نشر شعرهم فى مجموعات ودواوين تداولتها ايدى الناس[٤٦] •

وكانت اغراض الشعر تنحصر فى مدح الخليفة ورجالات الدولة ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومدح آل بيت النبوة ، والتصوف والسياسة والقومية ، والشكوى والمطالبة وفى الأمور الاجتماعية المتنوعة كالغزل ووصف الخمرة والموضوعات الفردية والعامة[٤٧] •

---

(٤٥) تطور الفكرة والاسلوب ٣٣ - ٣٦ • تاريخ التعليم فى العراق ٣٨ - ٩٢ •

(٤٦) نهضة العراق الادبية ١٦ - ١٣١ • تطور الفكرة والاسلوب ٤٨، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ •

(٤٧) الشعر العراقى اهدافه وخصائصه فى القرن التاسع عشر ٣١ ، ٧٩ ، ٩٢ ، ١١٣ ، ١٢٩ ، ١٦١ ، ١٧٨ •

وبجانب هؤلاء الشعراء ظهر كتاب ومؤرخون كتبوا كتبا فى تصوير حياة عصرهم ولعل أعظم كاتب ظهر في هذا العصر هو صاحب الترجمة أبو الثناء الآلوسى الذى سنفرد فصلا كاملا فى هذا الكتاب لدراسة تراثه واسلوبه الأدبي والعلمي(٤٨) .

---

(٤٨) تطور الفكرة والاسلوب ٦٩ ـ ٧٦ .

حيـاة الآلوسي

أسرته:ــ تنتمي أسرة الآلوسى الى « آلوس » وهي بليدة تقوم على جزيرة صغيرة فى نهر الفرات ، قرب عانه تابعة لناحية الحديثة فى لـواء الدليم[١] .

وهي آلوس بوزن صبور وآلوسة بالمد ذكرهما الزبيدى فى تـاج العروس ، كما وردت فى نزهة المشتاق « آلس » بمد الهمـزة وضـم اللام[٢] . وينسب اليها من القدماء محمد بن حصن بن خالد القيسي ابـو عبدالله البغدادى الآلوسى الطرسى والمؤيد الآلوسى الشاعر المتوفى سـنة ٥٥٧هـ[٣] .

وهناك رواية نقلها جرجي زيدان تقول ان اجداد الآلوسى فروا مـن وجه هولاكو التترى عندما دهم بغداد وفتك باهلها ، ومنذ نحو ثلثمائة سنة رجع أبناؤه الىبغداد ولبثوا فيها حتىالآن[٤] . ولكنالاستاذ الأثرى يرد هذا الزعم على اساس ان هذا الخبر لم يرد فى اهم مصدرين[٥] وهما حديقـة الورود لعبدالفتاح الشواف ، والمسك الاذفر لمحمود شكري الآلوسى[٦] .

---

(١) البستانى (فؤاد) دائرة المعارف ١/٣٤٤ .

(٢) الاثرى (محمد بهجت) محمود شكرى الآلوسى ٢١ .

(٣) الاثرى (محمد بهجت) أعلام العراق ٧ .

(٤) مشاهير الشرق والغرب فى القرن التاسع عشر ٢/١٦١ .

(٥) هما اهم مصدرين لان الأول الفه تلميذه عبدالفتاح الشواف اودع فيه تفاصيل حياة الآلوسى ، وقرأ الآلوسى ما كتب فاقره عليه ، ولما مـات الشواف اتم الكتاب ابن الآلوسى نعمان خير الدين . والثانى الفه حفيـده محمود شكرى الآلوسى ضمنه ما فى الأول مختصرا واضاف اليه هو ما كان يعرفه عن جده .

(٦) محمود شكرى الآلوسى ٢٧ .

وأضيف أن هذه الرواية لم ترد فى مصدر مهم آخر وهو (شجرة الانوار) الذى الفه ابو الثناء الآلوسى فى نسبه يوم كان فى القسطنطينية[٧] . ولقد ناقشت هذه المسألة مع بعض افراد البيت الآلوسى فى بغداد فانكروا ذلك وقالوا لا نعلم هذا فى الكتب المعتبرة التى تتحدث عن تاريخ اسرتنا . ويرى الاستاذ الأثرى أن لهذه الاسرة نشأتين ببغداد ، نشأة قديمة كانت فى القرن الحادىعشر حين ارتحل فى آواخره من كان ساكنا ببغداد الى الحديثة وآلوس وهى مجهولة عندنا لا نعرف من امرها شيئا ، ونشأة حديثة فى الثلث الاخير من القرن الثانى عشر الهجرى وذلك حين جاء محمود بن درويش الخطيب الآلوسى الى بغداد فاتخذها وطنا ، وتوفى فيها فى اوائل القرن الثالثعشر[٨] .

وفى شجرة الانوار أن جد الآلوسين البغداديين الشيخ عبدالقادر الطيار سكن ألوس ومعظم اهلها من ذريته اليوم [٩] .

أما والد أبي الثناء محمود فهوالسيد عبدالله أفندي ، ينتهي نسبه من جهة ابيه الى الحسين بن علي ، ومن جهة امه الى الحسن بن على . وكان مدرسا في جامع أبى حنيفة ببغداد أربعين سنة ، وكان يذهب ماشيا اليه احتراما لابي حنيفة ، وكن مع ذلك يدرس فى مدرسة الموليخانة ، ودرس اربع سنوات فى مدرسة الشهيد علي باشا رئيسا للمدرسين[١٠] وصفه ابنه ابو الثناء بقوله (وكان عليه الرحمة ترشح بالصلاح جلدته ، وتشرح الصدور رؤيته ، ما رأته عيون الاسحار الا قائما ، وما ابصرته مواسم الابرار الا صائما ، وما ابتسم ثغر فجر تحت اذيال دجاه الا وجده يبكي خشية بين يدى

---

(٧) غرائب الاغتراب ١٠٦ .
(٨) محمود شكرى الآلوسى ٢٩ .
(٩) ص١٢ مخطوطة فى مكتبة الآثار ببغداد تحت رقم (١١٠٣) .
(١٠) غرائب الاغتراب ٢١ ، ٢٢ . اريج الند والعود ٢٠ .

مولاه)[11] . ولقد حج قبل أن يتزوج ثلاث مرات ، وذهب الى مصر لزيارة شقيقه السيد حسن ، فوجده يوم دخل قد مات . توفى بالطاعون فى بغداد سنة (١٢٤٦هـ ـ ١٨٣٠م)[12] ودفن فى مقبرة الشيخ معروف الكرخي ، وكان عمره قد بلغ ثمانين سنة[13] . واما أمه فاطمة ، فكانت امرأة صالحة ، توفيت وهو صغير يقرأ القرآن الكريم ، وكن ابو الثناء احب اولادها اليها ، وهى بنت العالم المعروف الشيخ حسين بن الشيخ على العشارى صاحب المؤلفات الجليلة ، والتعليقات اللطيفة الذى توفى سنة (١٢٠٠هـ ـ ١٧٨٥م) وكان للآلوسى من الأخوة عبدالرحمن الذى أخذ العلم عن اخيه ، وكان عالما بالمنقول وتوفى سنة (١٢٨٤هـ ـ ١٨٦٧م) وعبدالحميد وقد فقد بصره وعمره سنة ، فانضم الى التصوف ، وكان عالما شاعرا ، درس على أخيه ابي الثناء وعلى غيره ، وتوفى سنة (١٣٢٤هـ ـ ١٩٠٦م)[15] .

مولده ونشأته :ـ

فى هذه الأسرة العريقة الصالحة المتدينة العالمة ولد ابو الثناء شهاب الدين محمود قبيل ظهر الجمعة رابع عشر من شعبان وذلك سنة سبع عشرة بعد المائتين والالف من هجرة النبى الكريم صلى الله عليه وسلم (١٨٠٢م) فى جانب الكرخ من بغداد[16] .

---

(١١) غرائب الاغتراب ٢١ .

(١٢) المصدر السابق ٢٢ . المسك الاذفر ٤ .

(١٣) شجرة الانوار ١٣ .

(١٤) حديقة الورود ٢/٤ مخطوطة فى مكتبة الاستاذ المرحوم هاشم الآلوسى ببغداد .

(١٥) المسك الاذفر ٣٠ ـ ٤٠ .

(١٦) غرائب الاغتراب ٥ . حديقة الورود ٦/١ . اريج الند والعود ٢ .

وبدأ الآلوسى منذ صغره بحفظ القرآن الكريم ، وما أن بلغ الخامسة من عمره حتى ظهرت عليه علامات الذكاء فبدأ بحفظ المتون فى الكتاب قبل أن يختم القرآن الكريم[(١٧)] • ثم لم يزل يقرأ عند والده حتى استوفى الغرض ـ كما يقول ـ من علم العربية ، وحصل طرفا جليلا من فقهي الحنفية والشافعية ، واحاط خبراً ببعض الرسائل المنطقية ، وكتب الحديث ، وكان ذلك قبل ان يبلغ العاشرة من عمره[(١٨)] •

وبلغ شغف الآلوسى فى تحصيل العلم حدا كبيرا ، فأخذ ينتقل بين كبار علماء عصره يأخذ منهم ويدرس على ايديهم[(١٩)] • ولما انقضت ثلاث عشرة سنة من عمره استقر عند شيخه الأجل (علاء الدين افندى الموصلى)• ولم يزل يقرأ عنده حتى تخرج عليه ، وتأدب بأدبه[(٢٠)] واحاط بتفسير القرآن الكريم قبل ان يبلغ العشرين[(٢١)] • ولما بلغ عمره احدى وعشرين سنة اجازه في يوم مشهود ، اجتمع فيه علماء بغداد ، وكان ذلك في المدرسة الخاتونية قريبا من الحضرة الكيلانية[(٢٢)] • وكان رئيس التجار الحاج نعمان الباجهجي حاضرا ، فاعجب به غاية العجب ، فاقترح عليه ان يكون مدرسا فى مدرسته ، فاستجاب له ، ونصب مدرسا فى هذه المدرسة[(٢٣)] • ولم يبق الآلوسى بها كثيرا ، اذ تأججت عليه نيران قلوب اعدائه الحاسدين فاضطر أن يخرج منها • ثم لما عمر الحاج أمين الباجهجي فى محلة رأس القرية مدرسة وجامعا ، نصب هنالك على رغم الحاسدين خطيبا وواعظا

---

(١٧) غرائب الاغتراب ٥ • حديقة الورود ١/٧ •
(١٨) غرائب الاغتراب ٦ • حديقة الورود ١/٩ •
(١٩) غرائب الاغتراب ٧ ، ٨ حديقة الورد ١/١١ ، ١٢ •
(٢٠) غرائب الاغتراب ٨ ، ٩ ، ٢٠ • حديقة الورود ١/١٦ ، ١٧ •
(٢١) روح المعانى ١/٣ •
(٢٢) غرائب الاغتراب ٢٠ • حديقة الورود ١/١٦ ، ١٧ •
(٢٣) حديقة الورود ١/٢٠ • اعلام العراق ٢٢ •

من قبل داود باشا الذى لم يسمع اقاويل اعدائه فيه[٢٤] .

وقام الآلوسى بالاضافة الى هذه المدرسة بالتدريس فى مسجد المرحوم الحاج الملا عبدالفتاح ، ودرس فى مسجد القمرية والسيدة نفيسة وجامع المرجانية[٢٥] . وبلغت دروسه فى اليوم اربعة وعشرين درسا وكان أيام اشتغاله بالتفسير والافتاء يدرس فى اليوم نحو ثلاثة عشر درسا[٢٦].

وبعد وفاة والده (١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م) انتقل من الكرخ وسكن فى جوار مسجد الشيخ عبدالقادر الجيلي[٢٧] وظهر صيت الآلوسى بين الناس ، وانتشرت هنا وهناك اخبار ذكائه وعلمه وفضله ، فجلبت عليه حسد الحاسدين ، ولما جاءت حادثة الطاعون (١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م) واستسلم الوزير داود باشا ، ودخل الوزير على رضا باشا بغداد ، استغل حساد الآلوسى الوضع القائم فى الايقاع به ، فابلغوا الوزير الجديد أن الآلوسى من اعوان داود باشا ، فاضطر للاختفاء . وهو يروى قصة اختفاءه هذا فيقول (واختفى هذا العبد الحقير ، زمن فتح بغداد ، بعد المحاصرة سنة سبع واربعين بعد الالف والمائتين خوفا من العامة وبعض الخاصة ، لأمور نسبت الي ، وافتراها بعض المنافقين علي فى سرداب عند بعض الاحبة ثلاثة ايام[٢٨] .

ولما جاء عبدالغني أفندي الجميل (١١٩٤-١٢٧٨هـ ، ١٧٨٠-١٨٦١م) الى بغداد ، ونصب مفتيا للحنفية فيها ، لجأ اليه الآلوسى ، وحل فى داره ، فسعى هذا عند الوزير حتى عفا عنه ، وعين امينا للفتوى ، ووجه اليه التدريس بالمدرسة القادرية[٢٩] . ولما عزل الجميل من منصب الافتاء حقد

---

(٢٤) غرائب الاغتراب ٢٠ حديقة الورد ١/٢٢ .
(٢٥) حديقة الورود ١/٢٠ - ٢٢ .
(٢٦) المسك الأزفر ٨ .
(٢٧) غرائب الاغتراب ٢٢ ، ٢٣ . اعلام العراق ٢٣ .
(٢٨) روح المعاني ١٠/٩٧ .
(٢٩) حديقة الورود ١/٢٢ - ٢٤ .

الوزير على الآلوسى مرة اخرى ، الا أن بعض اتباع الطريقة النقشبندية تدخلوا فى الأمر ، فعفا عنه الوزير ، وأمره بالجلوس فى التكية الخالدية[٣٠] • ثم وشى به مرة اخرى عند الوزير من قبل محمود افندى النقيب ، فحبسه فى محلة الشيخ عبدالقادر سنة ونصفا[٣١] •

وفى رمضان سنة (١٢٥٠هـ ١٨٣٢م) دعاه النقيب للوعظ فى الحضرة الكيلانية ، فاجابه مكرها واتفق أن حضر الوزير على رضا وعظه ، فدهش من فصاحة الآلوسى ، وغزارة علمه ، فأمره أن يذهب اليه فى العيد ، فذهب اليه فى قصره فاكرمه ، وأعاد اليه وظائفه التى اخذها منه وتوطدت الصداقة بينهما ، فكان يذهب اليه فى الاسبوع مرتين ، وعينه فى عيد الاضحى خطيبا للاعظمية ، ويقول الآلوسى انه كان المخاطب الوحيد له فى مجلسه من بين العلماء والاعيان •

وفى هذه الأثناء شرح الآلوسى البرهان فى اطاعة السلطان ، فقدمه اليه ، فاجازه بوقف جامع المرجان ، وكان لا يعطى الا لاعلم علماء بغداد ، وجاءته رتبة التدريس من قبل السلطان ، ثم عينه الوزير في منصب خطير جدا وهو (مفتي الحنفية فى بغداد) وكان وعده بذلك يوم سمع وعظه[٣٢] وبتعيين الآلوسى مفتيا فى بغداد ، هطلت من سماء الشعر والبيان اعذب الالحان ، من قبل الشعراء الذين اشادوا بالوزير ، ومجدوا الآلوسى ورفعوه ، وتغنوا بعلمه وفضله وادبه ، واستبشروا خيرا لمستقبل العلم والافتاء فى بغداد ، ومن تلك القصائد قصيدة الشاعر قاسم افندى الموصلى التى يقول فى مطلعها :

---

(٣٠) المصدر السابق ١/٢٥ •

(٣١) المصدر السابق ١/٢٦ •

(٣٢) غرائب الاغتراب ٢٣ ، ٢٤ • حديقة الورود ١/٢٦ ـ ٣٠ •

هل العيش الا للمفاخر تشييد ... وللمجد تأثيل وللفضل تمهيد

وقصيدة الشاعر صالح التميمي التي يقول في مستهلها :

مكارم ووزير العصر يسديها ... اذا انزل الدار دار العلم بانيها

وابيات الشاعر عبدالغفار الاخرس التى يقول فى اولها :

يا قدوة العلماء يامن علمه ... بحر ومنهل فضله مورود

وفى هذه الاثناء اشترى له دارا ، فهنأه بها الشعراء الذين كانوا يستغلون كل مناسبة من تجديد دار او ختان اولاد ، فيقولون فى تهنئته ومدحه[٣٣] .

ولما نقل على رضا باشا سنة (١٢٥٨هـ ـ ١٨٤٠م) وجاء بعده الوزير (محمد نجيب باشا) تغير على الآلوسى فعزله من منصبه فى الافتاء[٣٤] وكان سبب عزله أن كتابا ورد عليه من شيخ الاسلام فى الاستانة يدعوه فيه لحضور حفلة ختان ابن السلطان عبدالمجيد (١٢٣٩هـ ـ ١٢٧٨هـ ـ ١٨٢١ ـ ١٨٦١م) فاعتذر الآلوسي عن الحضور ، فكتب كتاب اعتذار الى الشيخ وأعطاه الى الوزير . ليرسله مع الكتب الرسمية ، فالحقه الوزير بكتاب اتهم فيه الآلوسى بولائه للقنصل الفرنسى فى بغداد وهذا ما صرح به شيخ الاسلام فيما بعد لاحد اصدقاء الالوسى المخلصين ، فابلغه عندما كان فى الآستانة[٣٥] . وكان هذا الوزير هو الذى اشار على

---

(٣٣) حديقة الورود ١/٦٦ ـ ٨٠ .

(٣٤) ذكر الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور مفتى الديار التونسية فى كتابه (التفسير ورجاله) أن الآلوسى استقال من منصب الافتاء . وهذا خطأ واضح جاء من قلة المصادر عن الآلوسى فى تونس . انظر ص ١٤٧ .

(٣٥) غرائب الاغتراب ٢٤ ، ٢٥ . شهى النغم . ورقة ٧ مخطوطة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد تحت رقم ٥٩٣٣ .

الآلوسى بعدم السفر ، وتقديم الاعتذار ، ومع ذلك فقد فرح الآلوسى لعزله كثيراً ، لان الافتاء قد ضيق عليه اوقاته ، وحال بينه وبين اتمام تفسيره (روح المعاني) فكان أن خلا لتفسيره ، وتوجه الى اتمامه[٣٦] . ولم يكتف الوزير بعزله ، بل رفع عنه وقف جامع مرجان ، فعاش الآلوسى عيشة فقر وضنك حتى انه كاد ـ على حد تعبيره ـ أن يأكل الحصير الذى تفرش بـه المساجد[٣٧] ، ولذلك لم ير بداً من الارتحال الى اسطنبول ، لعرض مظلمته على المسؤولين[٣٨] .

رحلته الى القسطنطينية :ـ

يقول الآلوسى فى تبرير رحلته (فلم أر بدا من الارتحال خشية ان تغتالني غائلة العيال ، وقلت في نفسى لابد من السفر ، وان كان قطعة من السقر ، لاعرض حالي وعريض ما أنا فيه من البلية ، على مراحم الدولة العثمانية ، أبدها وايدها رب البرية ، واتفق على أن تم تأليف روح المعانى، فقلت نعمت الوسيلة هذه الاسفار للسفر الى تلك المعاني)[٣٩] .

بدأ الآلوسى رحلته الطويلة هذه غرة جمادى من سنة سبع وستين بعد الالف والمائتين[٤٠] (١٨٥٠م) بمرافقة الوزير المشير عبدالكريم الملقب من قبل السلطان عبدالمجيد بالنادر ، وكان مشير جند العراق والحجاز وهو يقول عنه (وبالجملة هو نادر المثال من الجال ، ما أحسن صحبته وأجل) ورافقه كذلك جماعة من ذوى المناصب العالية[٤١] . وصل

---

(٣٦) غرائب الاغتراب ٢٤ ، ٢٥ .
(٣٧) المصدر السابق ٢٥ .
(٣٨) غرائب الاغتراب ٢٥ .
(٣٩) المصدر السابق ٢٥ .
(٤٠) المصدر السابق ٢ ، ٣ .
(٤١) المصدر السابق ٣٩ ـ ٤٧ .

الآلوسى الى الموصل[٤٢] ، فنزل فى بيت محمود افندى العمرى الذى وصفه بانه فيلسوف الفكر ، وسرعان ما اجتمع حوله علماء الموصل مرحبين وعلى رأسهم شيخه عبدالله افندى العمرى ، وفى هذا المجلس سئل عما يقولـه الشيعة فى قوله تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله) فاحضر لهم تفسـيره (روح المعانى) فقرأ ما ادهشهم حتى قالوا ما وجدنا هذا فى غير هـذا الكتاب[٤٣] . وبعد يومين خرج من الموصل ووصل الى جزيرة ابن عمر، فاجتمع الناس عليه مستبشرين ، وأمطروه بوابل من الاسئلة وخاصـة فى التصوف ، فأفاض عليهم بأجوبته التى تدل على علمه الواسع الغزير[٤٤] .

ثم سار من الجزيرة حتى وصل الى (آمد السوداء) بعد يومين ، وسئل هنا ايضا من قبل مدرسيها المشهورين بين اهاليها عن بعض اقوال البيضاوى وغيره من المفسرين ، فكان يجيب عنها « جواب عالم خبير كالبحر غزير » على حد قوله ، وأقام فى هذه المدينة نيفا وعشرين يوما معززا مكرما[٤٥] .

وجاءته دعوة من الوزير محمد حمدى باشا يدعـوه اليه فـى (ارضروم)[٤٦] وكانت قد عقدت بينهما الصداقة حينما كان الوزير فـى

---

(٤٢) قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان (بالفتح وكسر الصاد ، المدينةالمشهورةالعظيمة احدىقواعدبلادالاسلام، قليلةالنظيركبرا وعظما وكثرا خلق وسعة رقعة ، فهى محط الركبان ، ومنها يقصد الى جميع البلـدان ، وهى مدينة قديمة الأس على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي نينـوى ٨/١٩٥ .

(٤٣) غرائب الاغتراب ٥٠ ، ٥١ .

(٤٤) انظر المصدر السابق ٦٦ ــ ٩٢ . وجزيرة ابن عمر بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة ايام يحيط بها دجلة الا من ناحية واحدة) البغـدادى (صفى) مراصد الاطلاع ١١/٣٣٣ .

(٤٥) غرائب الاغتراب ٩٥ . واما (آمد السوداء) فمدينة من ديار بكر ، وهى على غربى دجلة كثيرة الشجر والزرع . المصدر السابق ٩٢ .

(٤٦) ارضروم : ولاية عثمانية فى آسيا تحتوى على اعظم قسم مـن

بغداد فى معية (علي رضا باشا) فأستقبل هنالك استقبالا عظيما ، وأخذ عنه كثير من فضلائها ، فاجاز غير واحد من العلماء فى مجالس مشهورة وبقى فى هذه المدينة نحو خمسة وعشرين يوما ، ثم رافقه الوزير المذكور الى محل ولايته ببلدة (سيواس)[٤٧] واجتمع الآلوسى هنالك بطائفة من العلماء الفضلاء ، وبقى خمسة ايام[٤٨] . ثم خرج من عند الوزير بعد أن اثقل ركائبه ببره حتى وصل الى مدينة (توقات)ولم يمكث فيها الا ليلة واحدة لما رأى من أهلها من دناءة الخلق ، وكثرة السقط ، وقلة العلم[٤٩] .

وتوجه الآلوسى بعد ذلك الى مدينة (سامسون)[٥٠] . ومنها ركب البحر الاسود متوجها الى الاستانة وقاسى من اهوال البحر ما قاسى . فوصل اليها بعد اربعة ايام ، فنزل فى بيت « حمدى باشا » ثم قابل شيخ الاسلام السيد (أحمد عارف حكمت) فقدم اليه التفسير فأوصاه بمقابلة الصدر الاعظم (رشيد باشا) فقابله ، واعجب بوقار عقله ، وحسن اخلاقه ، ثم انزله فى دار الضيافة ، واتصل بكثير من اصدقائه المخلصين ، فدافعوا عنه فصدر الامر بمكافأته ورد نصف اوقاف المرجان اليه[٥١] .

ارمينيا العثمانية تحدها شمالا طرابزون وشرقا املاك روسيا وبلاد فارس وجنوبا كردستان وغربا بيراس منجم العمران فى المستدرك على معجم البلدان ١/٢١٦ .

(٤٧) سيواس : بكسر السين وسكون المثناة التحتية وفتح الواو وبعدها الف وسين مهملة (غرائب الاغتراب) ١٠٠ .

(٤٨) غرائب الاغتراب ٩٦ ــ ١٠٠ .

(٤٩) المصدر السابق ١٠٢ وفى نفس الصفحة (توقات) بضم المثناة من فوق وسكون الواو وفتح القاف ثم الف وتاء مثناة الأولى بلدة صغيرة فى الروم من الخامس فى لحف جبل من تراب أحمر .

(٥٠) وهى بالسين المهملة ثم الف وميم وسين ثانية وواو ونون مدينة من السادس من سواحل الروم . غرائب الاغتراب ١٠٤ .

(٥١) غرائب الاغتراب ١٢٧ ــ ١٣٢ .

وممن التقى بهم من كبار رجال الدولة (محمد علي باشا) صهر السلطان محمود خان ، ومشير جند المسلمين والوزير المشير (احمد فتحي باشا) الصهر الأول للسلطان محمود ، وكان معجبا به ايما اعجاب ، يمدحه بين الخواص والعوام فى اسطنبول حتى نال شهرة كبيرة(٥٢) ، والمشير (محمد باشا سرعسكر) الذى ابلغه عن احوال العراق فى زمانه ما جعله يضرب راحا على راح ، والمشير (رفعت باشا) رئيس مجالس الاحكام ، و (عالي باشا) مشير الخارجية ، والمشير (علي علي باشا) والمستشار (فؤاد أفندي) وآخرون غيرهم(٥٣) . وقد أجاز فى العلم (رضا أفندي) أحد أعضاء مجلس الاحكام(٥٤) . وقابل من العلماء (عارف افندي) قاضي عسكر روم ايلي و (احمد شكري أفندي) و (توحيد افندي) القاضي السابق فى مكة المكرمة و (شهرلي سيد حافظ أفندي) و (ذا الجناحين يحيى افندي) وغيرهم(٥٥) .

لقى الآلوسى حفاوة بالغة فى كل مكان ، حتى خيل اليه أنه ليس هو الذى كان بغداد ..

وقد سجل هذا فى الكتاب الذي ارسله الى صديقه الشاعر عبدالباقي العمري بقوله (فكر مرتو عني ، وكم وكم راوعني ، ولا أكاد أسمع فى المدارس والمغاني سوى قال الآلوسى فى روح المعاني ..)(٥٦) . ومن أجله هذه المكانة العلمية الرفيعة اقترحوا عليه البقاء فى اسطنبول والحوا عليه فى ذلك ، وأرداوا أن يعرضوا المسألة على السلطان عبدالمجيد ، الا انه رجاهم ألا يفعلوا ، وكان يخشى كثيرا من مواجهة السلطان خوفا من ان يطلب اليه

---

(٥٢) المصدر السابق ١٣٥ .
(٥٣) غرائب الاغتراب ١٣٦ ـ ١٣٩ .
(٥٤) المصدر السابق ١٤٦ .
(٥٥) المصدر السابق ١٦٠ ـ ١٧٥ .
(٥٦) المصدر السابق ٢٢٥ .

الى بغداد[٥٧] .

البقاء، وهذا هو السبب الذي جعله يتنصل من مواجهته ويسرع فى الرجوع

القى الآلوسي نظرة الوداع على ربوع اسطنبول ثم ذهب الى الصدر الاعظم فودعه ، وزار شيخ الاسلام فاهداه ساعة واحسن توديعه[٥٨] .

ثم ركب الى (سامسون) والتقى فى السفينة بالمشير سليم باشا والى (شهرزور) ومصطفى ظريف باشا والى (أرض روم) ثم مر فى طريقه بالمدن التي مر بها فى رحلته وباخرى غيرها ، فاجتمع كاثرة الاولى بعلمائها ، وكان موضع ترحاب الجميع[٥٩] .

وصل الآلوسي الى بغداد يوم الخميس ١٥ من ربيع الاول سنة (١٢٦٩ هـ - ١٨٥٢ م) فتقاطر عليه العلماء والادباء ، يرحبون بمقدمه ، وتبارى الشعراء فى انشاد القصائد فى مدحه والترحيب به . يقول الآلوسي (وأسرعت سحرة شعراء بابل باسرهم الى تقديم حبال نظمهم وعصي نثرهم فقدموا ما لو رأته العصا الموسوية ، لجعلت تهتز به عجبا كأنها جان ، ولو شاهدته الرهبان العيسوية ، لاوشكت ان تقول وحرمة الانجيل هذا قبس من معجزة القرآن) .

ومن هذه القصائد الرائعة قصيدة الشاعر عبدالباقي العمري التي يقول فيهـا :

أعيـدت الى الزوراء روح معانيهـا　　فـكادت ببشـراها تفـوه مغانيهـا
وردت اليهـا الشمس مشرقة الضيا　　ومن حكمة الاشـراق نالت امانيهـا

---

(٥٧) المصدر السابق ٤٣٨ - ٤٤٠ . وبهذا يظهر خطأ الشيخ محمد الفاضل بن عاشور عندما ذكر فى كتابه (التفسير ورجاله) أن الالـوسى اجتمع بالسلطان عبدالمجيد . انظر ص ١٤٨ .

(٥٨) المصدر السابق ٤٤٠ .

(٥٩) نشوة المدام فى العود الى مدينة السلام ٦ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٤٨ ، ٩٨ .

وقاسمت الكرخ الرصافة بالهنا ودجلة قد سالت بصفو تهانيها
وقد شملت أرض العراق مسرّة فعمت اقاصيها وخصّت أدانيها
وأسحارها عن رقة السحر قد روت كما قد روت عنها لحاظ غوانيها
وفي الروضة الغنّاء غنّت حمائم فاطربنا ترجيع لحن أغانيها
بأوب شهاب الدين محمود سيره مروقة تحكي الطلا في برانيها
بتشريف مولانا الأجل أبي الثنا المفسر من أم الكتاب مثانيها
كسا حمرة التوريد وجنة عصره وأحسن أنواع الملاحة قانيها
فكم من يد فيها لروحي راحة بمقدمه كف الزمان حبانيها
لي الله من ساعات غيبته التي دقائقها أيام حشر ثوانيها
فكاهته منها العقول كم اجتنت ثمارا بأيدي الفكر طابت مجانيها
فتى فاق بالفتوى على ابن كمالها كما بالقوافي الغر فقت ابن هانيها(٦٠)
بروح المعاني فضله ملأ الملا فما الكون الا من صغار أوانيها
وفازت بلاد الروم منه بحضرة عطارد يخشى في العلى أن يدانيها
وأحيَ عميم الفضل في عرصاتها وشاد باحياء العلوم مبانيها
وعاد ولا عود الهزبر لغابة برفعة شأن أرغمت أنف شانيها(٦١)

ومنها قصيدة طويلة للشاعر عبدالغفار الاخرس يقول فيها :

يمينا برب النجم والنجم اذ يسري ومن انزل الآيات من محكم الذكر
لقد اشرقت بغداد منذ أتيتها كما تشرق الظلماء من طلعة البدر

---

(٦٠) ابن كمال : العلامة شمس الدين احمد بن سليمان المتوفى سنة ٩٤٠هـ له تصنانيف لغوية ٠ العزاوى (تاريخ الادب العربى فى العراق) ٨٥/١ ٠

اما ابن هانيء : فهو الشاعر الاندلسى المشهور (٣٢٠ ـ ٣٦٢هـ) اشعر شعراء المغاربة على الاطلاق ٠ الزركلى : قاموس الاعلام ٣٥٤/٧ ٠
(٦١) الترياق الفاروقى ـ ديوان عبدالباقى العمرى ٣٥٨ ٠

فراحت كما راحت خميلة روضـة سقتها الغوادي المستهل من القطر
وما سـرها شيء كمقـدمك الـذي يبدل منها صورة العسر باليسر(٦٢)،

وكانت لرحلة الآلوسى نتائج خطيرة بالنسبة اليه ، وبالنسبة الى العلم والأدب • أما بالنسبة اليه فقد كانت رحلته فرصة لتجديد المحبة مع معارفه من الوزراء والقضاة والمفتين الذين شهدهم فى بغداد ، ومع أصدقاء والده ومعارفه • وكان هؤلاء جميعا يتنافسون فى استضافته ، ويتقاطرون للسلام عليه • وكان التقاء الآلوسي برجال آخرين من العلماء واولى الفضل من الوزراء فرصة كبيرة للتعرف اليهم ، والاتصال بهم ، فعرف هؤلاء فضله العميم ، وعلمه الغزير ، وذكاءه الخارق ، فأخذوا يتحدثون عنه فى كل مكان مما أدى الى اشتهار أمره ، وانتشار تفسيره بين الناس •

ثم ان الآلوسى اطلع على حقيقة أوضاع الأمة الاسلامية ، واخـلاق رجالها ، ووضع علمائها ، وشؤون مدارسـها وجوانب قوتهـا وضعفها ، والمشاكل التي كانت تعانيها ، مما نراها مبسوطة فى كتبه فى الرحلات •

أما العلم والادب فقد ظفرا منه بثلاثة كتب فى هذه الرحلة الممتعة هي غرائب الاغتراب ، ونشوة الشمول ، ونشوة المدام • وسنتعرف على هـذه الكتب وقيمتها الادبية عند الكلام عن تراث الآلوسي •

وفاتـه :ـ

وفى أثناء رجوع الآلوسي من اسطنبول الى بغداد ، أمطر فى منطقة الزاب بين أربيل وكركوك ، وهما مدينتان بين الموصل وبغداد ، حتى ابتلت ثيابه ، فاعترته الحمى ، وشفى منها ، ولكنها كانت تعاوده بين الحين والحين حتى انحل جسمه ، واشتد المرض حتى صام رمضان على هذه الحالة ، فلم

---

(٦٢) الطراز الانفس ـ ديوان عبدالغفار الاخرس ١٨٩ •

يقدر على القيام والقعود ، والركوع والسجود ، فحضرته الوفاة يوم الجمعة بعد أن صلى بايماء الظهر ، وكان اسم الله على لسانه يلهج به،ولم يتلعثم حتى صباح السبت ، فعرجت روحه في الخامس والعشرين من ذى القعدة من سبعين ومائتين والف ، وتولى غسله أجل تلامذته العالم محمد أمين أفندي الشهير بالواعظ ، وكان يوم موته عظيما اشترك في جنازته خلق كبير ، فصلت عليه جماعة عظيمة من الحنفية ، ثم صلت الشافعية . وفى أغلب المدن الاسلامية صلوا عليه صلاة الغيبة . وقد اختلف الاطباء فى دائه ، فمنهم من قال انه فالج ومنهم من قال ازداد الدم فحترق ، ومنهم من قال هو استرخاء فى العصب(٦٣) .

وأخذ الشعراء يبكونه أحر بكاء ، وينشدون فى رثائه القصائد الكثيرة ، منها قصائد لصديقه الشاعر عبدالباقي العمري التي يقول فى احداها :

قبـر الشـهاب ابى الثنـا   محمـود زخار العـوارف
كنـز الـدقائق والحقـا   ئق والـرقائق واللطـائف
بـل كعبـة مـن حولهـا   أبـداً حجيج الفضـل طائف
روح المعـاني يـوم مـا   ت بكت بادمعهـا الـذوارف
وعليـه شـقت جيبهـا   بيـد الأسى ورق المصـاحف
فلتبـكه الاقـلام ولتنـدب فضـائله الصحـائف
لا زال يسـقي قبـره   غيث بوبـل اللطف واكف
وبجنـة الفـردوس يكسـى مـن رضـا أسنى مطارف
ويـدم ملتحفـا بهـا   من سندس ابهـى ملاحف
تبـا لأيـدي المـوت كـم   قبضت جهـابذة غطـارف(٦٤)

---

(٦٣) حديقة الورود ٢/٢٦٣ . أريج الند والعود ٥ . المسك الاذفر ٢٠ .

(٦٤) الترياق الفاروقى ٣٩١ .

ومنها ما قاله الشاعر عبدالغفار الاخرس :

الله يعلم والأنام شهود ... ان الذي فقد الورى لفريد
كان الامام به الائمة تقتدى ... فله الهدى ولغيره التقليد
ظلا على الاسلام كان وجوده ... حتى تقلص ظله الممدود
فلفقده فى كل قلب لوعة ... ولذكره فى حمده ترديد
فزوال ذاك الطود بعد ثباته ... ينبيك أن الراسيات تبيد
هيهات يرفع للمدارس بعده ... علم ويورق بالمكارم عود
سمط الفضائل والفواضل كلها ... نثرت عليه من الدموع عقود
أسد من الآساد يصرعه الردى ... ومن الرجال بهائم واسود
عجب لمن ضاق الفضاء بعلمه ... أنى حوته من القبور لحود[65].

ومنها قصيدة للشاعر حسين الطباطبائي آل بحر العلوم يقول فيها :

وزادني شجنا ناع نعى قمرا ... بالفضل مشتهرا يا ليته خرسا
فاي بدر غدا بالرغم منخسفا ... وأي نجم هوى فى الترب منطمسا
وأي طود ثوى فى رمسه فلقد ... أمسى لعمري بلطف الله مترسا
احيا مدارس علم بعدما اندرست ... وعندما مات مات العلم واندرسا[66]

وترك الآلوسي من بعده خمسة أولاد :

١ ـ عبدالله بهاءالدين : ولد سنة (١٢٤٨ هـ ـ ١٨٣٢ م) قرأ العلوم العقلية والنقلية على والده وعلى علماء بغداد بعد وفاته ، اشتغل مدرسا فى بغداد ، والف كتابا فى علم النحو سماه (الواضح) وشرح كتاب التعريف فى الاصلين والتصرف لابن حجر الهيثمي ، وله متنان فى علم المنطق والبيان.

---

(٦٥) الطراز الانفس ٩٣ .

(٦٦) أريج الند والعود ٦ .

وكان ورعا تقيا ، مات فجر يوم الثلاثاء ٣ شعبان سنة (١٢٩١ هـ ــ ١٨٧٤ م) ودفن بجوار الجنيد البغدادي ٠

٢ ــ عبدالباقي سعدالدين : ولد يوم الجمعة صفر ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) درس على والده وعلى غيره من العلماء ، كان عالما والف عدة كتب ، تقلد مناصب قضائية مهمة ، توفي سنة (١٢٩٨هـ ــ ١٨٧٤م) ٠

٣ ــ نعمان خيرالدين:ولد يوم الجمعة ١٢ محرم الحرام سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٦ م) ٠ أخذ العلم عن والده ، ومن اجلة تلامذته ، برع في العلوم وسافر الى اسطنبول واجتمع بالعلماء والكبراء وانعم عليه السلطان ، له كتب ومؤلفات قيمة عديدة ، توفي سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) ٠

٤ ــ محمد عاكف : ولد سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) درس على اخوته ، وله بعض المؤلفات توفي سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣) ٠

٥ ــ أحمد شاكر : ولد سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) ومات سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م)[٦٧] ٠

أساتذته وشيوخه :ــ

أما اساتذته وشيوخه فهم[٦٨] ٠

١ ــ الملا حسين الجبوري : درس عليه القرآن الكريم دراسة جيدة ، وكان رجلا تقيا صالحا ، وكان مقيما في مسجد سوق حمادة ٠

---

(٦٧) المصدر السابق ٧ ــ ١٠ ٠ المسك الاذفر ٣٨ ــ ٥٨ ٠ ذكرى ابي الثناء ٩٤ ــ ٩٥ ٠

(٦٨) كان في نية الآلوسي أن يؤلف كتابا مفصلا عن اساتذته وشيوخه ٠ غرائب الاغتراب ٢٠ ، بل كان يفكر في تأليف كتاب في ترجمة رجال العراق في القرن الثالث عشر كما يصرح في كتابه الى شيخ الاسلام عارف حكمت ٠ حديقة الورود ٢/٢١٨ ٠

٢ ـ والده السيد عبدالله أفندي : درس عليه علم العربية وفقهي الشافعية والحنفية ، وكتبا في الحديث ، ورسائل في المنطق ، ومن الكتب التي درسها عليه الاجرومية والفية بن مالك ، وحفظهما ، وغاية الاختصار في فقه الشافعي ، والمنظومة الرحبية في علم الفرائض •

٣ ـ السيد علي بن السيد احمد : كان ابن عمه ، قرأ عليه شرح القوشجي للرسالة الوضعية العضدية ، فوقف على مضمراتها واشاراتها الخفية كما قرأ عليه حواشيها[٦٩] •

٤ ـ عبدالعزيز أفندي شواف زادة (المتوفى سنة ١٢٤٦ هـ ـ ١٨٣٠ م) قرأ عليه حاشية الفاضل مير أبو الفتح على الرسالة الوضعية العضدية مع حواشي اخرى لها ، وهذه الرسالة هي في علم الوضع • وكذلك قرأ عليه آداب المسعودي وعبداللطيف في علم آداب المناظرة ، وشرح السراجية في الفرائض للسيد الشريف الجرجاني ، وكتبا ورسائل اخرى • وكان شيخه هذا علامة فاضلا مشهورا بعلم العربية حتى سمي بسيبويه الثاني وكان متواضعا يجري مع الحق ، يقول عنه الآلوسي (ما رأيته غلط في جواب) والذي لا يعرفه يسكت عنه[٧٠] •

٥ ـ السيد محمد امين بن السد علي الحلي : المتوفى سنة ١٢٤٦هـ (١٨٣٠ م) قرأ عليه شرح الوضعية لمولانا عصام في علم الوضع ، وكان فصيحا مولعا بنقل الغريب ، قل عنه الآلوسي لا يبالي أيخطيء أم يصيب ، وقد كثر لغطه فكثر غلطه مع أنه أذكى من اياس[٧١] • والظاهر من هذا الكلام أن هذا الشيخ كان متهورا لم يصبر على اتقان العلوم ، ولم يستعمل

---

(٦٩) غرائب الاغتراب ٥ ، ٦ •
(٧٠) المصدر السابق ٧ •
(٧١) المصدر السابق ٨•

ذكاءه فى هذا المجال بدليل أن الآلوسي ذكر أنه درس على شيخه علاءالدين الموصلي ولم يصبر على أخلاقه ، ففاتته بذلك الاستفادة منه[٧٢] .

٦ ـ علاءالدين علي أفندي الموصلي : من أسرة علم فى الموصل ، كان أول مدرس فى مدرسة عاتكة خاتون الكيلانية فى بغداد ، له مؤلفات كثيرة[٧٣]. قال الآلوسي (ولم أزل أقرأ عنده ، واستنشق شيحه ورنده الى أن تخرجت به ، وتأدبت بأدبه)[٧٤] وكان استاذه هذا قاسي الطبع ، لا يتحمل منه الطلبة ، وكان تلامذته قليلين لذلك ، غير أن الآلوسي الذى عرف كيف يستغل هذا الكنز صبر على أخلاقه . وتأدب معه غاية الأدب ، وكان شيخه هذا شاعرا مجيدا ، روى له الآلوسي قصائد فى الفخر والشكوى والتصوف[٧٥] ، ولقد حبس الآلوسى نفسه على شيخه هذا أربع عشرة سنة ، واكمل المادة عليه ، فاجازه بما تجوز له روايته ، وصحت لديه درايته ، أي انه اجازه فى العلوم النقلية والعقلية[٧٦] .

ولقد رأيت فى نهاية كتاب (شرح القاضي فى المحكمة) و (حاشية اللاري) ما يلي بخط الآلوسي (قد قرأته القراءة اللطيفة ، واستوعبت مباحثه

---

(٧٢) المصدر السابق ٨ .

(٧٣) تاريخ الأدب العربى فى العراق ٤٨/٢ .

(٧٤) يروى الآلوسى انه كان قد بلغ شغفه بالعلم اوجه ، فسأل شيخه يوما سؤالا من شرح الرسالة الوضعية للمولى عصام فلم يجبه ، ولم ينم كما يقول فى تلك الليلة . لانه لم يحصل على الجواب ، ثم ان شيخه ابلغه الجواب فى اليوم الثانى ، فاستحسنه واعجب به ايما اعجاب ، ثم علم أن شيخه قد ذهب الى العلامة علاء الدين الموصلى ، فسأله وأخذ عنه الجواب المذكور ، ومن يومه توجه الآلوسى الى شيخه علاء الدين . حديقة الورود ١١/١ ـ ١٤ .

(٧٥) غرائب الاغتراب ٩ ـ ١٥ .

(٧٦) مقامات ابن الآلوسى ٢٤ ـ ٢٥ .

الشريفة لدى كلمة العين ، ومصلح الشين ، ذى الاشارات العلية ، والتلويحات الشهابية ، مواقف المنقول ومقاصد المعقول شيخي واستاذي ، وسيدي وملاذي ، علاء الملة والدين ، وامام الاسلام والمسلمين علي أفندي بن يوسف أفندي الموصلي الحنفي المدرس ، ولله تعالى الحمد والفضل ، وكان هذا فى سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م)[٧٧] .

٧ ـ ضياءالدين الشيخ خالد النقشبندي : كان شيخ طريقة النقشبندية الصوفية ، عالما كبيرا ، حريصا على سلوك أهل السنة والجماعة ، قرأ عليه الآلوسي مسألة الصفات ، وأخذ عنه التصوف ، فأمره بالاشتغال بالعلم ، وضمن له ان لا يحرم من بركة الطريقة . قال عنه الآلوسي (هو صاحب الاحوال الباهرة ، والكرامات الظاهرة ، والانفاس الطاهرة ، الذي تواتر حديث جلالته ، واجمع المنصفون على ولايته)[٧٨] توفى فى دمشق الشام سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) وجزع لموته المسلمون فى كل مكان[٧٩] .

٨ ـ الشيخ علي السويدي : كان سلفى العقيدة ، عالما بالسنة يقول عنه الآلوسي (ما رأيت أكثر منه حفظا ، ولا أعذب منه لفظا ، ولا أحسن منه وعظا ، ولا أفصح منه لسانا ، ولا أوضح منه بيانا ، ولا أكمل منه وقارا) قرأ عليه (شرح النخبة) للمحدث ابن حجر العسقلاني . يقول (وقد أوقفني على جميع اجازاته واجازني كاولاده بجميع مروياته) توفى فى دمشق سنة ١٢٣٧ هـ (١٨٢١)[٨٠] .

---

(٧٧) الكتابان مجموعان فى مخطوطة واحدة تحت رقم ٦٤٥٠ فى مكتبة الاوقاف العامة ببغداد .

(٧٨) غرائب الاغتراب ١٧ .

(٧٩) المصدر السابق ١٨ .

(٨٠) غرائب الاغتراب ١٥ ـ ١٧ .

٩ ــ الشيخ يحيى المزوري العمادى[٨١] . كان اماما علامة فاضلا معروفا بين أهل زمانه ، معولا عليه فى مذهب الامام الشافعي . قال الآلوسي (اجازني بما تجوز له روايته ، وصحت لديه درايته)[٨٢] . وهي علوم التفسير والحديث والفقه والعلوم الآلية . وجميع العلوم العقلية والنقلية وقراءة القرآن والصلاة والاذكار والاوراد كما تلقاها من اساتذته[٨٣] .

١٠ ــ عبدالله افندى العمرى : أخذ منه قراءة ابى عمرو وقراءة ابن كثير ، وقراءة نافع ، توفى سنة ١٢٩٧هـ (١٨٦٤م)[٨٤] .

١١ ــ الشيخ المحدث عبدالرحمن الكزبرى : أجازه إجازة طويلة من الشام باسانيد كاملة للعلوم التى تلقاها ، العقلية منها والنقلية ، توفى سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٦)[٨٥] .

١٢ ــ الشيخ عبداللطيف بن عبدالله المفتى : أجازه فى العلوم العقلية والنقلية ، مع ذكر اسانيده فى جميع هاتيك العلوم الى كبار علماء الاسلام ، توفى سنة ١٢٦٠هـ (١٨٤٤م) فى بيروت[٨٦] .

١٣ ــ شيخ الاسلام العلامة احمد عارف حكمت (١٢٠٠ ــ ١٢٧٥هـ) (١٧٨٥ ــ ١٨٥٨م) ارتقى المشيخة فى عاصمة الخلافة سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٦م) ، والتقى به الآلوسى فى اسطنبول وضمتهما جلسات علمية كثيرة، طلب منه الآلوسى أن يجيزه فاجازه بما عنده باسانيد كاملة ثم طلب هذا من الآلوسى أن يجيزه بما عنده فاجازه[٨٧] .

---

(٨١) محمد امين زكى ــ مشاهير الكرد والكردستان ٢/٢٢٢ .
(٨٢) غرائب الاغتراب ١٨ ، ١٩ .
(٨٣) حديقة الورود ١/٢٠٥ .
(٨٤) نشوة الشمول ٥٧ .
(٨٥) غرائب الاغتراب ١٩ . حديقة الورود ١/٢٠٥ ــ ٢١٩ . قاموس الاعلام ٤/١١٠ .
(٨٦) حديقة الورود ١/٢٢٠ ــ ٢٣٥ . قاموس الاعلام ٤/١٨٣ .
(٨٧) غرائب الاغتراب ٢٧٦ ــ ٢٩٧ . قاموس الاعلام ١/١٣٨ .

ثقافته واتجاهاتها :ـ

كانت ثقافة الآلوسى ذات اتجاهات عدة ، هضمها درسا وبحثا وتمحيصا على ايدى اساتذة مهرة ، وشيوخ اجلاء ، كانوا ـ كما رأيت ـ معروفين بعمق ثقافتهم ، وطول الباع فى فنهم ، وكان يعرف كيف يختار هؤلاء ، ثم يتصل بهم ، ويأخذ عنهم بوعى وادراك مركزين ، وكانت ثقافته هذه عبارة عن العلوم النقلية من اللغة وفروعها والتفسير والحديث والفقه والاصول ، والعلوم العقلية من المنطق والفلسفة والهيئة والكلام لقد درس الآلوسى عند شيوخه الكتب المتداولة المعتبرة عندهم ، أو ما نسميها اليوم بالكتب المدرسية ، والتى كانت تدرس فى اكثر مدارس البلاد الاسلامية وخاصة فى العراق ، ثم التفت الى كتب اخرى كثيرة مؤلفة فى هذه الموضوعات فاشبعها قراءة وفهما ، والذى يطلع على اجازاته التى اعطاها لتلامذته وكثير من العلماء ، يتبين له صدق هذا الكلام •

ان الذى نقرؤه فى تلك الاجازات يدل على انه لم يبق على كتاب من تلك الكتب الكثيرة المهمة لم يقرأه ، ولم يجز بروايته من قبل كبار علماء عصره[٨٨] ، كما يشهد على ذلك تفسيره الضخم وتراثه الغزير[٨٩] •

ولم تقف ثقافة الآلوسى عند حدود العلوم التى كانت تدرس فى المدارس ، والمعارف التى كانت متداولة فى بلاد الاسلام فى عصره ، وانما تجاوزتها الى ما استجد من العلوم فى عصره ، وخاصة فى اوربا على الرغم من ضعف العلاقات الثقافية والحضارية بين الشرق والغرب حينئذ ، والقارىء لتفسيره وكتبه يمر على كثير من المقررات والمفاهيم التى توصل اليها العلم الحديث والتى يعرضها الآلوسى معجبا بها احيانا وناقدا لها احيانا

---

(٨٨) غرائب الاغتراب ٢٧٦ ـ ٢٩٧ •

(٨٩) راجع فصل (تراثه) وفصل (مصادر ثقافته) •

اخرى[٩٠] .

وقد دفعته ثقافته الحديثة الى ان يفكر فى تأليف كتاب يقارن فيه بين علم الفلك (الهيئة) قديما وحديثا[٩١] . ولو لم يكن مطلعاً اطلاعا كافيا على نظريات الفلك الحديثة فى عصره لما فكر فى خوض مثـل هـذا البحث العلمي .

وهناك رافد آخر من روافد ثقافة الآلوسى يمثل اتجاهه الأدبى . فلقد كان الآلوسى شاعرا كما سيتبين لنا عند الحديث عن شعره ، وكان ناثرا اديبا كبيرا كما تدل عليه كتبه الادبية من مقامات ورحلات . ولم تكن الدراسات الأدبية وقراءة الدواوين الشعرية ضمن المنهج المقرر المتداول فى زمانه بين العلماء ، وانما كانت تستند أولا على المطالعات الشخصية ، والواضح من مجموع مؤلفاته أنه اتعب نفسه كثيرا فى مثل هذه الدراسات . وهو يأسف كثيراً لأنه فى بعض البلاد اثناء رحلته الى اسطنبول لم يجد كتباً ادبية يقرأ فيها ، فهو يقول (ولا وجدت عندهم كتبا أدبية ارتع فى حدائقها ، واستمع مادمت بين ظهرانيهم بصافيها ورائقها ، واسرح طرف الطرف فى طرفها ، واتلذذ بموائد مبسوطها ، وفواكه نتفها ، فبقى طائر قلبى فـى قفص الحـيرة حبيسا)[٩٢] .

ان اسلوبه الأدبي الرشيق ، واطلاعه الواسع على فقه اللغة العربية ، ومعرفته الجيدة بالأدب العربى واتجاهاته ، وتطوره عبر العصور لخير شاهد على ما نقول ، فهو كثير الاستشهاد بالشعر العربي ، غواص فى معـانيه ،

---

(٩٠) روح المعانى ١١٨/٨ . ٢٩/١٥ . ٢٣٩/٢٣ . ٢٣٩/٢٤ . الفيض الوارد ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٩١) روح المعانى ٢٣٩/٢٣ .

(٩٢) غرائب الاغتراب ٩٦ .

يستخرجها عندما يحتاج اليها ، بمناسبة كلامه على موضوع من الموضوعات . وهذه الاحكام التى نقررها هنا ستبقى عامة الى ان ندرس تراث الرجل فى الفصل التالي ، وعندها ستتحدد هذه الاحكام بالأدلة والشواهد من كتبه التى تمثل تراثه الأدبى .

أما ثقافة الصوفية فقد اتصل بها عن طريق دراسة كتب كبار رجالاتهم ، والتلمذة على شيخ فاضل من شيوخهم وهو (مولانا ضياء الدين خالد النقشبندى) المار ذكره .

ان اجوبة الآلوسى المدونة فى كتابه (غرائب الاغتراب)[٩٣] وما يتطرق اليه فى كثير من كتبه وخاصة تفسيره خير دليل على تعمقه فى التصوف نظريات ورموزا ، ورياضة وسلوكا[٩٤] .

وللآلوسى اطلاع واسع على التاريخ العام ، والتواريخ الخاصة بالعلوم ، كما يدل على ذلك شرحه للآيات من سورة آل عمران وغيرها ، وكذلك ابحاثه المتنوعة المنشورة هنا وهناك فى بعض كتبه[٩٥] .

وكان مطلعا ايضا على آخر ما وصل اليه علماء الجغرافية فى عصره ، ونجد ذلك واضحا فى كتبه[٩٦] .

أما دراسته للأديان والملل التى كانت قبل الاسلام فدراسة عميقة متبصره ، يظهر ذلك واضحا فى كل ما كتبه فى تفسير الآيات التى تتحدث عن أهل الكتاب ، فقد كان فى نيته تأليف كتاب يتضمن تحريرا اعتقادات النصارى فى الواجب تعالى وذكر شبههم العقلية والنقلية التى يستندون اليها

---

(٩٣) ص٧١ – ٩١ .

(٩٤) راجع موقفه من التصوف فى الفصل الثانى من الباب الثانى من هذا الكتاب .

(٩٥) روح المعانى ١٧٨/٣ الفيض الوارد ١٤٢ – ١٤٣ ، ٢٥٣ – ٢٥٨ .

(٩٦) الفيض الوارد ٢٠٧ – ٢١٤ .

ويعولون في التثليث عليها حسبما وقف عليه في كتبهم مع ردها علـى اكمل وجه[٩٧] .

وكان الآلوسي على معرفة حسنة باللغة الفارسية ، وهي معرفة هيأت له الاطلاع على ما كتب فيها من ادب ، وما دون فيها من رسائل مشهورة في التصوف ، وهو يستشهد احيانا في تفسيره بابيات فارسية في الموضوع الذي يعالجه .

وكان الآلوسي صاحب ثقافة اجتماعية واسعة ، اكتسبها من تجـــاربه الذاتية ، وعلاقاته الاجتماعية ، وتجواله اياما وشهورا بين المدن والقرى ، وهي ثقافة طبعته بطابع خاص ، ينعكس على ما كتب في أمور الناس فـــي مختلف ما كتب وخاصة في مقاماته ورحلاته .

وان الآراء الاجتماعية ، والنظرات السياسية ، واحكامه على الرجال التي دونها في هذه الكتب تشكل مادة للمؤرخ والعالم الاجتماعي عند دراسة الفترة التي عاش فيها من حياة العالم الاسلامي وسوف تتضح ثقافة الآلوسي واتجاهاتها امامنا عندما نتكلم عن تراثه .

شخصيته الاجتماعية والعقلية :

لم تكن شخصية الآلوسي شخصية عادية ، وانما كانت شـــخصية عبقرية ، فلقد كان ذكيا ذكاءاً حادا . استطاع أن يدقق ويحقق ، ويهضم المعارف الانسانية في عصره هضما عجيبا ، وظهرت عليه علامات النجابة منذ الصغر ، ولم يبلغ العشرين من عمره حتى كان قد تعمق في العلوم المختلفة ، واحاط بتفسير القرآن الكريم احاطة شاملة ، هيأه ليكون مـــن كبـــار المفسرين[٩٨] . وانه من الغريب حقا أن نرى شابا في العقد الثاني من عمره

---

(٩٧) روح المعاني ٢٧٧/٣٠ .
(٩٨) المصدر السابق ٣/١ .

يبرز بمثل هذه القوة ، ثم يتسلم مقاليد العلم والتدريس فى مدارس عدة كانت جامعات بعينها فى مجتمع كثر فيه رجال من الشيوخ ، ثم يرتفع فوقهم جميعا ، يشق الطريق وحده ، ويبنى لنفسه اعظم الامجاد والانتصارات العلمية ، ويفرض نفسه على أعلى الرتب الدينية والدنيوية ، فيعين مفتيا فى بغداد من قبل وزير سجنه من قبل وأراد قتله ، وكان يكرهه اشد الكراهية ، الا انه لما تبين له علمه الغزير ، وبيانه العذب ، ووقاره المهيب ، وايمانه القوى ، ووعظه المؤثر تراجع خاشعا امام جلال الموقف معترفا بذنبه ، واضعا الآلوسى فى مكانه الذى يجب أن يوضع فيه ، متخذا منه اخلص صديق ، وآنس جليس .

ان عبقرية الآلوسى ، وشخصيته القوية جلبت عليه الاحقاد والحسد ، فعندما يعين مدرسا فى مدرسة الحاج نعمان الپاچهچي وهو شاب فى مقتبل حياته ، تتأجج نيران قلوب اعدائه عليه ، فيضطر الى الخروج منها[٩٩] .

ويمر الآلوسى بتجربة قاسية بعد ذلك ، فلقد بدأ جمع من العلماء يدسون عليه بعض الاقوال للايقاع به ، فقد اجمع (عبدالله افندى) مفتى الشافعية ، و(محمد اسعد افندى) مفتى الحنفية ، ومحمد افندى الكركوكلي الشهير بابن النائب أمرهم فذهبوا الى الوزير داود باشا ، فشكوه اليه ، وقالوا انه يسب العلامة ابن حجر ، ولكن الوزير العالم ردهم ، وقال لهم ان ابن حجر من اكابر الشافعية والآلوسى شافعي المذهب ، فكيف يصح ان يسبه ؟ ولم يتركوه بعد ذلك ، وانما حاولوا النيل منه بين الناس[١٠٠] . يقول الآلوسى (ثم انه بلغنى ان القوم لم يتركوا أمرى ، وانهم لا يزالون يتناجون فيما يتوصلون بـه الى ضرى ، فخرجت اتشمم الخبر خشية ان يفاجيني

---

(٩٩) غرائب الاغتراب ٢٠ .

(١٠٠) مقامات ابن الآلوسى ٢٨ ـ ٣٠ .

الضرر ، فشممت من انفاس افواه الناس جيفة)[1] • ولما سقط داود باشا ، وجء على رضا باشا اللاز ، تنفس هؤلاء الصعداء ، وبدأوا يوغرون صدر الوزير عليه ، ويزينون له قتله بحجة انه من اعوان داود باشا ، فحاربه الوزير ، وأخذ منه وظائفه ، ثم سجنه كما مرّ بنا سابقا • ولما عرف الحقيقة احبه وقربه ، وعينه مفتيا فى بغداد وعمره لم يتجاوز الثانية والثلاثين ، فحقد هؤلاء عليه اكثر ، الا انهم اخفوا حقدهم ، ولم يستطيعوا أن يؤذوه طيلة بقاء الوزير علي رضا فى بغداد ، ولكنهم كانوا يلجؤون الى طرق اخرى للنيل من شخصيته امام الوزير، فقدكان يصادف أن ينفق جماعة على لغز علمي معين، فيدسوه على الوزير على رضا ليسأل الآلوسى عنه أمام الناس ، حتى اذا لم يستطع أن يجيب نزل قدره ، وشمت به الاعداء ، ولكنه كن حاضر الجواب دائماً[2] •

ان اعداء الآلوسى لم يضعوا اسلحتهم عن محاربته ، فعندما عزل الوزير علي رضا وجاء الوزير محمد نجيب باشا ، استغلوا الفرصة ، وزوروا على الآلوسى عند الوزير الجديد ، فحاربه هذا ـ كما مرّ بنا ـ محاربة شديدة ، وذلك بعزله من الافتاء ، واخذ اوقاف المرجان منه ، ثم انهم لم يتركوه حتى فى غيبته عن بغداد ، وذهابه الى اسطنبول تخلصا من ملاحقتهم ، وعرض مظلمته على المسؤولين هناك ، فقد كتب اليه الشاعر عبدالباقي العمري ان بعض علماء الاكراد يهوشون عليه ، وينالون من سمعته ، فتأثر الآلوسي أشد التأثر ، نلاحظ ذلك فى رده على هذا الكتاب حيث يقول (فليقل الاكراد ما شاءوا ، وسيظهر ان شاء الله تعالى قريبا كذب ما أشاعوا ، وليكن ذلك عند حضرتكم كطنين ذباب ، أو كأطيط سرير أو كصرير باب • ثم اني أعجب

---

(١) المصدر السابق ٣٣ ـ ٣٤ •

(٢) حديقة الورود ١/٥٣ ـ ٥٤ •

منهم ، واستغرب ما يروى عنهم ، فطالما اكرمت فقيرهم ، وجبرت بمومياء سعي كسيرهم ، وعلمت جاهلهم ، وعظمت فاضلهم ، ومسحت باردان الشفقة دموع باكيهم ، وازلت بأكمام الهمة غبار الأذى عن وجه شاكيهم ، وأنسيت غريبهم داره ، وسترت لذى شنار منهم شناره ، واشركت من قرأ علي من طلبتهم في الاوقت ، وبالغت في اكرام نزيلهم عندي في سائر الاوقات ، الى محاسن اعوزها الحد ، ومكارم لا تكاد تعد ، وأظن - ومعاذ الله أن أفتري عليهم - ان الذي أوجب اساءتهم الى احساني اليهم[3] .

والظاهر ان علماء اسطنبول بعد ان رأوا علم الآلوسي ، ومكانته العظيمة لدى المسؤولين والناس أجمعين ، حسدوه أيضا ، فبدأ بعضهم يزورون عليه اقوالا لم يقل بها ، وهو يشكو من ذلك حيث يقول (وقد صح عندي أن هذه الطبيعة الشيطانية شعار ودثار لبعض علماء القسطنطينية ، وانهم لم يزالوا يجمعون حجر الباطل ويرمون به بريا ، ويبغضون لادر درهم كل من يرد على بلدهم من الافاضل ولو كان نبيا)[5] .

ان حياة الآلوسي المضطربة ، من حسد واضطراب وسجن وفقر ، غيرت رأيه ، وطبعته بطابع السلبية في أواخر ايامه ، ففي وصية من وصاياه لابنائه نراه يدعوهم الى الحذر من الخلق ، ومداراة ذوي السلطان ، وعدم معارضة أحد من جلاس الوزير[5] . ولذلك كثرت شكواه من الناس والزمان على نحو ما نرى من هذه الزفرة التي يقول فيها (ورب كلمة لا تقل الا لدى الرب الحق يوم الحساب، فآه ثم آه .. ثم آه .. الى الف الف آه ... من زمن لا يستطيع فيه المحق أن يفتح فمه ، خوفا من خفض القدر

---

(٣) غرائب الاغتراب ٢٢٨ .
(٤) المصدر السابق ١٦٩ .
(٥) مقامات ابن الآلوسى ١٦ - ١٨ .

فاه)[6] .

وكل ما فعله الآلوسي تجاه من آذوه دعوات ارسلها في تفسيره (أسأل الله تعالى بحرمة حبيبه الاعظم « صلى الله عليه وسلم » أن يدفع ويرفع عنا مكر الماكرين ، وان يعاملهم في الدارين بعدله ، انه سبحانه وتعالى القوي المتين)[7] .

ورب قائل يقول هل كان الآلوسي شخصية حاسدة ، لا يحب للناس ما يحب لنفسه ؟ وأقول في جواب هذا السؤال انني لم أقع على شيء في حياته بعد دليلا على ذلك كما انني لم اقرأ شيئا في تفسيره ومؤلفاته يقنعني بمثل هذه الفكرة الا انني وقعت على رواية نقلها الشيخ محمد الخال في كتابه الذي الفه باللغة الكردية عن (العلامة محمد فيضي الزهاوي) معاصر الآلوسي ومفتي بغداد (ت ١٣٠٨ هـ) عن (حسن أفندي النائب) قال فيها ان الزهاوي كان في نيته أن يؤلف تفسيرا قبل شروع الآلوسي بتفسيره ، الا ان الآلوسي لم يكن مرتاحا في قلبه لذلك ، وأراد ان يفعل شيئا يحول بينه وبين هذا التفسير ، ولاجل الوصول الى هذا الهدف كان يحدث الوالي خفية كلما ذهب اليه عما كتبه الامام الرباني ، وخاصة عن مؤلف له باللغة الفارسية في التصوف مغلق وعميق وصعب جدا ، ويقول له لا أحد يستطيع ترجمته الا الزهاوي ولم يكن يعلم بما دبره له الآلوسي ، الى ان كلفه الوالي يوما وأخذ منه عهدا بترجمته الى اللغة العربية ، ولما بدأ الزهاوي به رآه بحرا لا ساحل له وشيئا دقيقا جدا وعميقا ولكن سبق السيف العذل ، فبدأ الترجمة الى ان انتهى منه[8] . هذه الرواية ان صحت تقدح في شخصية

---

(٦) نشوة الشمول ٨ .
(٧) روح المعاني ٢٠٨/٢٢
(٨) مفتي زهاوي ١٠٤ .

الآلوسي ، وتظهره بمظهر الذي يسعى وراء الشهرة ، والانفراد بالعمل وحده دون غيره ٠

لقد فكرت في هذه الرواية جيدا ، وثبت لي انها رواية موضوعة وغير صحيحة للاسباب التالية :

الاول : ان هذه الرواية مروية من قبل شخص واحد لم تسند الى احد من معاصري الرجلين ، ولو كانت صحيحة لا نتشرت لفظاعتها ، واستغلها خصوم الآلوسي ولدخلت الى مجال الكتابة والتدوين ٠

الثاني : ان حياة الآلوسي معروفة ومدونة في كتب عديدة ، وكان يتسم بالايمان القوي ، والخوف من الله ، والخلق الرصين ، الامر الذي يمنعه من ارتكاب جريمة علمية كهذه ٠

الثالث : ان الزهاوي لم يكن رجلا عاديا ، تنطلي عليه هذه الخدعة ، وانما كان علامة عظيما ، وفيلسوفا حكيما ، لا يمكن ان يقدم على ترجمة كتاب لا يعرف عنه شيئا ، ولم يخطط لنفسه شيئا من هذا القبيل من قبل ، فكيف يلزم نفسه فجأة بهذا العمل ؟ الا يمكن له أن يعتذر بطريقة ما أو يستمهل الوالي ان يطلع على الكتاب ليعلم هل يقوى على ترجمته ؟ وكم يستغرق من الوقت ؟ ثم كيف يعقل أن يترك تفسير كتاب الله من أجل عمل صغير كهذا ؟

الرابع : الرواية تقول ان الآلوسي وفق لزحزحة الزهاوي قبل البدء بتفسيره ، ثم بدأ تفسيره مطمئن على انه ليس هنالك من ينافسه ، وهذا يخالف حقيقة مدونة في تاريخ الرجلين وهي ان الزهاوي دخل بغداد حوالي سنة ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م)[٩] ٠ اذن فما دبره الآلوسي يجب ان يكون

---

(٩) مفتي زهاوي ٢٠ ٠

بعد هذا التاريخ ، مع اننا نعلم أن الآلوسي بدأ تفسيره فى بداية شعبان سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٤ م)[١٠] وانتهى من المجلد الخامس فى ٥ ذي الحجة سنة ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤م) كما ورد بخط يده فى نهاية المجلد المذكور فى النسخة الخطية المحفوظة فى خزانة المرحوم هاشم الآلوسي ببغداد •

ومن المعلوم أن شهرة تفسير الآلوسى قد انتشرت فى بلاد الاسلام كافة ، وانه كان يرسل كل مجلد الى السلطان محمود ومن بعده الى السلطان عبدالمجيد حال انتهائه منه ، فأي خوف يمكن ان يتوقع الآلوسي على تفسيره حتى يرتكب فى سبيل ذلك هذا العمل المخالف للدين والخلق الرصين • لقد مرّ بنا أن الآلوسي كان شخصية محسودة ، فلا يستبعد ان يدس عليه اعداؤه مثل هذه الروايات للنيل من سمعته •

وهناك صفة بارزة فى تحديد الملامح الاجتماعية للآلوسي وهي ايمانه القوى بالمثل العليا التى جاء بها الاسلام ، وتمسكه بها من الناحية العملية ، فعلى الرغم من انه كان من اسرة الرسول أباً واماً ، وانه كان من الممكن ان يستغل نسبه هذا فى الاستعلاء على الناس واستغلال البسطاء كما كان يفعل كثير من هؤلاء المنتسبين ، الا اننا نجده لا يفخر على أحد بنسبه ، ولا يستغله فى بناء مجده ، وهو يقول (ومع هذا كله فالتقوى التقوى ، فالاتكال على النسب وترك النفس وهواها من ضعف الرأى • وقلة العقل ، ويكفي فى هذا الفصل قوله تعالى لنوح عليه السلام فى ابنه كنعان (انه ليس من اهلك ، انه عمل غير صالح) وقوله عليه الصلاة والسلام (سلمان منا أهل البيت) فالحزم اللائق بالنسيب ان يتقى الله تعالى ، ويكتسب من الخصال الحميدة ما لو كانت فى غير نسيب لكفته ليكون قد زاد على الزبد شهدا ، وعلق على جيد الحسناء عقدا ، ولا يكتفى لمجرد الانتساب الى

---

(١٠) ذكرى ابى الثناء ٨٦ •

جدود سلفوا ليقال له نعم الجدود ، ولكن بئسما خلفوا • ولقد ابتلى كثير من الناس بذلك فترى احدهم يفتخر بعظم بال وهوى عرى كالابرة من كل كمال • وأكثر ما رأينا ذلك الافتخار البارد عند اولاد شايخ الزوايا الصوفية ، فانهم ارتكبوا كل رذيلة ، وتعروا عن كل فضيلة ، ومع ذلك استطالوا بآبائهم على فضلاء البرية ، واحتقروا أناسا فاقوهم حسبا ونسبا وشرفوهم اماً وأباً ، وهذا هو الضلال البعيد ، والحمق الذى ليس عليه مزيد[11] •

وكان الآلوسي شديد التمسك باخلاق السلف الصالح ، فلقد قرأ صغيراً أن ابن عباس رضي الله تعالى عنه كان يذهب الى ابى رضي الله تعالى عنه فى بيته لأخذ القرآن العظيم عنه ، فيقف عند الباب ، ولا يدق الباب عليه حتى يخرج فاستعظم ذلك ابي منه ، فقال له يوما هلا دققت الباب يا ابن عباس ؟ فقال : العالم فى قومه كالنبي فى أمته ، وقد قال الله تعالى فى حق نبيه صلى الله عليه وسلم (ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم) قال الآلوسى (وقد رأيت هذه القصة صغيرا فعملت بموجبها مع مشايخي والحمد لله تعالى[12] •

والآلوسى متواضع حقا ، لا يدعي علما ، بل هو فى كل مناسبة يبين انه ليس من فرسان ميادين التفسير ، وانه لم يقدم على التفسير الا تشبهاً بالمفسرين ، وهو يطلب من شيخ الاسلام فى احدى رسائله اليه ان يعفو عما وقع له فى التفسير من الاوهام ، ويأخذ بيده اذا كان عاثرا فى ذلك الميدان[13] وكثيراً ما نرى الآلوسى يصرح فى كتاباته انه احقر ابناء جنسه[14] •

(١١) روح المعانى ٢٦/١٦٦ ـ ١٦٧ •
(١٢) روح المعانى ٢٦/١٤٤ •
(١٣) شهى النغم ١٠٢ •
(١٤) غرائب الاغتراب ٤ •

وهو يعفو عن كل من اساء اليه[١٥] . وكان على جانب عظيم مـن الحلم معهم ، والصفح عنهم ، يلاقيهم بالبشر والاكـرام والتواضع والاحترام[١٦] . فمع أن الوالي نجيب باشا اساء اليه كثيراً ، وكان السبب في عزله ، واسترجاع اوقاف المرجان منه ، ومع انه لم يكن يرسل رسائله الى شيخ الاسلام ، فان الآلوسي يترحم عليه كلما جاء ذكره ، ولا يذكره الا بخير[١٧] .

وكان كريم الطبع يشرك تلامذته في ملبسه ومأكله ، ويفتح بيتـه لاستقبالهم ويؤويهم عنده[١٨] . ومن مظاهر كرمه انه كان يجود في كل عام بعباءة على الشاعر عبدالغفار الاخرس ، ولقد سجل الشاعر ذلك في شعره حيث يقول :

بقيت ابـا الثناء مدى الليـالي	على الداعي لكم خضل اليدين
يحـول بذاك ما بين الرزايـا	اذا هطلت يــداك بـه وبيني
تواعدني بك الآمـال وعــدا	رأيت نجـازه من غـير مين
تجود عـلى محبك كل عـام	بلبس عبـاءة وتقر عيني[١٩]

وكان رجلا محبوبا راعيا للحقوق ، وفيا ، شريف الطبـع ، كريم الخلق ، كثير الصبر ، يتبع الصدق في اقواله وافعاله ، يحب السنن ، كثير الصدقات والصلاة والاستغفار[٢٠] .

وشخصية الآلوسي لم تكن شخصية منعزلة ، وانما كان يشترك في

---

(١٥) مقامات ابن الآلوسي ٤٨ .
(١٦) المسك الآذفر ١١ .
(١٧) شهى النغم ١٠٣ .
(١٨) اريج الند والعود ٤ .
(١٩) الطراز الانفس ٤١٨ .
(٢٠) أريج الند والعود ٣ ، ٤ . المسك الاذفر ١٠ ـ ١٣ .

النشاط الاجتماعي ، في المجالس والنوادي ، وكان على علاقات حسنة وصداقة مخلصة مع كثير من الأدباء والشعراء والوزراء والقواد والكبار والصغار ، ومن قرأ كتاب (حديقة الورود) اطلع على مظاهر كثيرة تمثل تلك العلاقات(٢١) .

لقد كانت له مع الأدباء والشعراء مجالس في بيته وبيوتهم يسامرهم ، ويقضي الاوقات الجميلة معهم ، فكانوا يستقبلونه اعظم الاستقبال، ويقولون القصائد الكثيرة في مدحه وتهنئته ، فمن هؤلاء الشعراء عبدالباقي العمرى ، وعبد الغفار الأخرس وعبدالحميد الاطرقچي ، وصالح التميمي ومحمدأمين العمرى وغيرهم(٢٢) .

وكان بعض هؤلاء يدعوه احيانا الى مجلسه بالنظم ، اسمع الى الشاعر عبدالباقي العمرى يرسل اليه داعيا الى مجلسه بهذين البيتين :

زها بالزهاوى المبجل مجلسى	فهل لك فى التشريف نغتنم الزهوا
ونحن ببحث حار فيه عقولنا	فيحتاج من غير ارتياب الى الفتوى(٢٣)

ويصف الشاعر عبدالغفار الأخرس مجلس الآلوسى بقوله :

أي جمع هذا وأى اتفاق	وصحاب أماجد ورفاق
خالفوا داعى الشقاق وشقوا	بالتآم منهم عصيّ الشقاق
كل فرد منهم من الفضل كنز	ليس يخشى الاملاق فى الانفاق
أى ناد نادى الأجل (شهاب الدين)	بحر العلوم مفتى العراق
لو افيضت علومه فى البرايا	شمل العالمين بالاغراق
محرق حجة الضاد ولابد	ع فان الشهاب للاحراق

---

(٢١) ١/٢٥٠ ـ ٢٧٠ .
(٢٢) حديقة الورود ١/١٨٥ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ .
(٢٣) المصدر السابق ٢/١٠٩ .

مجلس ما انطوى على غير انس وخلا من تحاسد ونفاق[٢٤]

أما الوزراء والقواد ، فكنت علاقته معهم قائمة على اساس الاحترام العظيم لشخصيته العلمية ، وكان يراسلهم ويراسلونه ، ومن هؤلاء على رضا باشا ، ومحمد حمدى باشا ، وهذه الرسائل مدونة فى كتاب (حديقة الورود)[٢٥] .

وكان الآلوسى من اشد انصار الدولة العثمانية ، ومن اقوى الدعاة لها ، ايدها بلسانه ، ودافع عنها فى كتبه ورسائله ومواعظه ، وبرر وجودها بنصوص القرآن الكريم ، والاحاديث الشريفة ، واجماع كبار علماء المسلمين[٢٦] .

وهذا الموقف يرجع فى نظرى الى الاسباب التالية :

١ ـ كان الآلوسى مسلما متبعا للشريعة ، وهى تفرض ابتداءا وجود دولة تمثلها ، وتفرض على المسلمين طاعتها ما لم تكن قد خرجت عليه ، فتأييده للدولة العثمانية كان نابعا من هذا المبدأ .

٢ ـ كان الآلوسى يعيش فى العراق ، وكان العراق مطمح انظار الدولة الأيرانية التى كانت تريد سوقه الى التشيع ، وكان من البديهي أن تناصر الشيعة فى العراق الدولة الأيرانية خفية واعلانا ، ولم يكن هناك بد من علماء السنة ومنهم الآلوسى أن يقفوا موقف المؤيد للدولة العثمانية لتشديد امرها فى العراق ، وتوثيق حكمها فيه .

٣ ـ كان الآلوسى يشعر بان اعداء الاسلام والمسلمين من الدول الاوربية

---

(٢٤) الطراز الانفس .
(٢٥) المصدر السابق ٢٠٢/١ . ١٧/٢ .
(٢٦) التبيان شرح البرهان ٧٠ ـ ٧٥ مخطوطة فى مكتبة الاوقاف العامة ببغداد رقم ٥٦١٦ .

يريدون الانقضاض على الدولة العثمانية ، وكان الصراع عقيديا على اسس. أن الدولة العثمانية كانت الوصية على المسلمين في العالم ، فكان على الآلوسي وامثاله من العلماء أن يقووا صلة الرعية بالدولة ، ويركزوا حبها وتأييدها في نفوسهم كي تستطيع تجنيدهم في أي وقت لمحاربة الكفار •

ان تأليف الآلوسي لرسالة الجهاد وجمعه خمسة وثمانين حديثا من احاديث الجهاد والرباط في سبيل الله في آخر شرحه للبرهان دليل قوى على ما ذهبنا اليه •

وعلى الرغم من تأييده للدولة كيانا وعقيدة ، ينبه نظر الناس الى بعض الأدواء الاجتماعية التي كانت مستشرقة في زمانه ، فهو مثلا يتحدث عن أكل اموال الدولة من قبل موظفيها بهذا الاسلوب عندما انزل في دار الضيافة في اسطنبول (وفي اليوم الثاني عين لمصارفي في كل شهر ثلاثة الاف قرش صاغ ، فكان القيم يصرف علي اقل من ثلثها ويأكل الباقي ، وهكذا يفعل بما عين لسائر النزول)[٢٧] • وهو يستغل بعض الفرص في اسطنبول ليتحدث عن احوال العراق السيئة ،كما فعل مع (المشير محمد باشا سه‌رعسكر) مما جعله يضرب راحا على راح ، ولكن يقول (لعمرى ما اثمر صفق الراح راحة لأهل العراق ، بل اوقع في ايديهم ضحكة تتغنى بعجائبه الركبان في الآفاق ، وما ذاك الا لبعد خطتهم عن حمى دولتهم ، وقصور هممهم عن شكاية المهم ، واستيلاء وضيعهم على رفيعهم ، وشرارهم على خيارهم •• وليس لدائهم من دواء حتى ينزل المسيح من السماء)[٢٨] •

وهناك لفتات اجتماعية كثيرة في النقد والاصلاح عرضها الآلوسي في ثنايا كتبه ، نستطيع أن نكون عن طريقها فكرة واضحة عن الوضع الاجتماعي

---

(٢٧) غرائب الاغتراب ١٢٢ •
(٢٨) المصدر السابق ١٣٦ •

في ذلك الوقت في العراق خاصة ، وفي البلاد الاسلامية بصـــورة عامة ، ولأجل ذلك يمكن أن نقول ان شخصية الآلوســي كانت من الشخصيات الاصلاحية التي تفكر في أمر مجتمعها ، وتحاول أن تلفت نظـر النـــاس والمفكرين الى عيوبه ، ووضع الحلول الضرورية لاصلاح أمره ٠

ومن ملامح هذه الشخصية انها كانت شخصية معتدلة متزنة غـير متطرفة ، واذا عرفنا أن التطرف كان سمة عصره في كل شيء ، فالسلفـي يكفر الصوفي والصوفية تلعن السلفية ، وضعنا يدنا عـلى هذه الشخصية الكبيرة التي فهم صاحبها الحياة في ظلال طبعه الهادىء ، وعقليته الواسعة ، وفهمه العميق لروح الاسلام ٠ وان هذا الجانب من شخصيته يظهر بصورة واضحة في تفسيره ، عند الموازنات والمقارنات ، وعرض الآراء والردود على الخصوم ، وسوف ينجلي هذا الجانب عند دراستنا لتفسيره في البـاب الثاني من هذا الكتاب ٠

ومن ملامح هذه الشخصية ايضا انها كانت شخصية ساخرة ، تجـد السخرية والفكاهة في ثنايا كلام صاحبها ، ففي طريقه الى اسطنبول لحـق به ابنه عبدالباقي ، فحسن له الرجوع الى امه فلم يفعل وهنا يقول الآلوسي (وحدست أن أمه سهلت عليه سلوك الفجاج ، وارسلته ليكون رقيبا عـلى علي يمنعني مما عسى ان اهم به من الزواج) ثم يضيف (على اني وان كنت في حب النكاح مشهورا ، قد جعل الله تعالى اليوم بيني وبين ذلك حجـابـا مستورا) [٢٩] وفي جزيرة ابن عمر في اثناء رحلته الى اسطنبول سأله شيخ عن قول لعلامة ابن حجر ، فأجابه ونقل اليه آراء طائفة من العلماء ، فمـا رآه لا هش ولا بش ٠ قال ساخرا (فأحسست ان تكاثف شعر ذقنه حـال بينه وبين الوصول الى ذهنه)[٣٠] ٠

---

(٢٩) غرائب الاغتراب ٤٩ ٠
(٣٠) المصدر السابق ٦٧ ٠

ومن مظاهر شخصية الآلوسي انه كان يجهر بالحق ، وان اصابه في سبيل ذلك الأذى والمكروه يتحدث الآلوسي عن بعض مواقفه في هذا المجال فيقول (وكم قد قال بعض الولاة ايك أن تقول في مجلسنا المسألة شرعا كذا، وقد اصابني منه عامله الله بعدله ، لعدولي عن قوله مزيد الاذى ، واتفق أن قال لي بعض خاصته يوما ، أرى ثلثي الشرع شرا ، فقلت له - وان كنت عالما أن في أذنيه وقرا - نعم ظهر الشر لما أذهبتم من الشرع العين، ولم تاخذوا منه سوى حرفين)[٣١] .

ولا غرابة بعد ذلك اذا تعجب الآلوسي من الذين يوالون الظلمة من المنتسبين الى المتصوفة في زمانه ، وعيرهم بذلك[٣٢] .

ومع ذلك فان كرم الضيافة يجعله احيانا يحيد عن الطريق الواضح الذي اختطه لنفسه في حياته في هذا المجال ، فلقد دعاه الوزير (محمد حمدي باشا) الى آمد فاكرمه وعظمه ، وفي أحد الأيام ضمه وآياه مع آخرين مجلس ، جرى فيه بحث علمي حول المهدي المنتظر ، فأيد الآلوسي ظهوره ، ولما كان هذا القول يمكن أن ينم عن ان مجيء المهدي المنتظر قد يعني انهاء الدولة العثمانية ، استدرك الآلوسي قائلا (ثم قلت يا مولاي (للوزير السائل) أن دولة آل عثمان تبقى على حالها بعد انقراض دولة صاحب الزمان)[٣١] وفي اسطنبول ضمه مجلس في دار فؤاد افندي المستشار واختلف الحاضرون في صورة امرأة حسناء قد نحتت من رخام ، فانكر الحاضرون ذلك ، وقالوا انه محرم باتفاق المسلمين . فقال الآلوسي مرتجلا :

هذه الـــدار يحـــاكي حســنها دار الســـــلام

(٣١) روح المعاني ٢٨-٢١ .
(٣٢) المصدر السابق ٣٥/٢٨ .
(٣٣) نشوة الشمول ٧٨ .

غـير أن الحــور فيهـا قـد تجلـت من رخـام

فابيض وجه صاحب المكان بالسرور ، واعتبر ذلك فتوى من الآلوسي، ولم يشأ الآلوسي أن يواجه بالحق ، وانما قال لنفسه (هي لو فرضت فتوى، حالية من تقوى) [٣٤] .

وأخذ السيد رشيد رضا على الآلوسي انه كان شافعيا فتحول حنفيـا تقربا الى الدولة [٣٥] ، ويوضح حفيده السيد محمود شكري الآلـوسي هذه المسألة بقوله (وكان في صباه شافعي المذهب لايميل لسواه ، وقلـد مدة افتائه الأمام ابا حنيفة في معاملاته ، وبقي على ما كان عليه في عباداته ، وكان بعد عزله يقول انا شافعي ما لم يظهر لي الدليل والا فليس عن العمل به من محيل ، حيث ان العالم اذا علم الدليل لا يعذر بالتقليد)[٣٦] .

واظن أن كلام السيد رشيد ليس صحيحا ، لآن الآلوسي لم يطاب الافتاء ، ولم يكن يمر بذهنه أن يعينه الوزير علي رضا باشا في هذا المنصب الخطير ، وهو لاحقه واضطهده وسجنه ، وانما جاءه هذا المنصب عفوا كما ثبت من قبل ، فماذا يفعل الآلوسي؟ هل يترك هذا المنصب الخطير ، ويرفض فضل الوزير العدو ، بدعوى التعصب والجمود في اتباع المذهب . ان مذهب الدولة الرسمي كان حنفيا ، فلم ير الآلوسي بأسا في تقليد الحنفية فـي المعاملات ، واصدار الفتاوى على اصول مذهبها ، ولم يكن الآلوسي متعصبا لمذهب معين ، وظاهر كلام حفيده السالف الذكر يدل على ذلك[٣٧].

---

(٣٤) غرائب الاغتراب ١٤١ .

(٣٥) تفسير المنار ١/٩٠ .

(٣٦) المسك الازفر ٢٢ .

(٣٧) راجع (موافقاته ومخالفاته للعلماء في المسائل الفقهية / فـي الفصل الثاني من الباب الثاني من هذا الكتاب .

والآلوسي يبالغ في مدح الخلفاء والوزراء في نظري[٣٨] • فهو يقول مثلا في السلطان عبدالمجيد (ولم تزل قناة الخلافة تزهو بسنان بعد سنان ، حتى انتهت النوبة الى سنان حضرة الغازي (السلطان عبد المجيد خان) فقعد على سرير العدل بين الانام ، وقام بامر الله حق القيام ، فكادت في ايامه ترعى الشاة مع الذيب)[٣٩] • مع ان الحالة في العراق مثلا كانت مضطربة في ايامه ، وكانت مظالم كثيرة ترتكب ضد الاهلين كما ظهر لنا سابقا •

وتفلت احيانا منه جمل لا تليق بمقامه العلمي كقوله (وهرولت للثم مواطيء حضرة امير المؤمنين)[٤٠] • وكذلك تصدر عنه احيانا كلمات نابية كقوله (حتى اذا دخلنا كركوك خفتني ام ملدم (الحمى) وهي القحبة الهلوك)[٤١] أو (فلما رأوا انهم بذلك لم يوصلوا الى شيئاً من الضرر وانهم فيما يفعلون اشبه شيء بكلاب تنبح القمر)[٤٢] •

والآلوسي يهمه كثيراً أن يكون محترما بين الناس ، وهو يذكر احترام الناس له بفخر واعزاز ، والويل لمن لا يقدره ، ولا ينزله المنزلة التي يستحقها ، وعلى الرغم من القاريء يشعر انه قد يكون صادقا فيما يقول ـ وهذا هو الظن الاغلب ـ الا اننا مع ذلك نؤآخذ الآلوسي عليه ، ونود لو انه لم يلجأ الى هذا • ومع ذلك فالعصمة لله وحده ، وما اجمل قول الشاعر :

---

(٣٨) الأجوبة العراقية على الاسئلة اللاهورية ٥ • نشوة الشمول ٣٣ ـ ٣٤ •

(٣٩) سفرة الزاد لسفرة الجهاد ٣ •

(٤٠) غرائب الاغتراب ١٢٣ •

(٤١) حديقة الورود ٢/٢١١ •

(٤٢) مقامات ابن الآلوسي ٢٨ •

ومن ذا الذين ترضى سجاياه كلها   كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

ولا استطيع أن اعد على الآلوسى المعايب ، وانما هى عبارة عن هنات وهفوات •

ومن ملامح هذه العقلية الكبيرة صفاء الذهن والقريحة ، وسرعة الخاطر ، وحلاوة المنطق ، وعذوبة التقرير ، وبراعة المحاورة ، فذا تكلم لا يمل له كلام • ومن ملامحها ايضا الحافظة العجيبة ، يقول الآلوسي عنها (ما استودعت ذهنى شيئاً فخاننى ، ولا دعوت فكرة لمعضلة الا واجابني) [٤٣] •

ومن ملامح هذه العقلية النشاط الدائب ، فلقد كان صاحبها مشغولا باعمال الافتاء والتدريس ، ومعاشرة اسرته واصدقائه واقرانه ، ومع ذلك كان تاليفه في اليوم والليلة لا يقل عن ورقة من اكبر الاوراق ، وكان يؤلف حتى في مرضه الأخير ، ومع ذلك كان حريصا على ان يزيد علمه في كل لحظة ، لا يفتر عن اكتساب الفوائد ، واقتناص الشوارد[٤٤] • وكان فى افتائه وكتابته للتفسير يدرس فى اليوم ثلاثة عشر درسا فى كتب مطوله[٤٥] •

ان هذه العقلية الناضجة هى التى أنارت أمام صاحبها الاحساس بالمشاكل التى كان يعانى منها المجتمع الاسلامى ، فعرضها عرضا هادئا ، هنا وهناك من خلال ما سطر من كتب ، وما كتب من تفسير ، وما قال من شعر ، وما نفث من أدب • لأن ظرف زمانه ، وكثرة اعدائه ، واضطراب احوال بلاده لم يساعده على التحدى ، بل لجأ الى

---

(٤٣) اريج الند والعود ٣ ، ٤ • المسك الاذفر ١٠ •
(٤٤) المسك الاذفر ٧ ـ ٨ •
(٤٥) المصدر السابق ١٩ •

الاعتدال والتلميح • فعقلية الآلوسى اذن تمثل الحلقة التى ربطت بين العقلية الجامدة فى القرون التى تلت سقوط بغداد عام (٦٥٦هـ) وبين العقلية الحديثة القائمة على الانطلاق الكلي ، والصراحة التامة ، والأصرار على التحدى •

(٦) مكانته العلمية فى عصره :ـ

الآلوسى من اولئك العلماء الذين تبؤوا ارقى المقامات العلمية فى سرعة وجدارة ، وشقوا طريقهم بين العقبات الكثيرة ، وفى خضم احداث كبيرة • عين الآلوسى وهو شاب فى مدارس عدة ، فتصدر التدريس فيها ، واجاد واشتهر ، ثم فرضه علمه ونطقه وبيانه فصار مفتيا فى بغداد ، وهو أرقى منصب علمي ودينى فى ذلك العصر • ثم كان أن اشتغل بتفسير كتاب الله ، فوضعه تفسيره فى العالم الاسلامى جنبا الى جنب مع المفسرين العظام ، والعلماء الاعلام ، فسار خبره شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا • وعظمه علماء عصره وعلى رأسهم شيخ الاسلام السيد احمد عارف حكمت الذى يكتب الى المقامات العليا فى اسطنبول عن الآسي فيقول (كلما بالغتم فى اكرام هذا الرجل فهو بالنسبة الى ما ينبغى جل من قل)[٤٦] • ثم يؤدى به الأمر اخيرا وهو الشيخ الكبير فى السن والمقام ان يستجيز الآلوسى فيجيزه بعد أن اجازه هو[٤٧] • ولمكانة الآلوسى العلمية استجازه كثير من العلماء فاجازهم ، وكانوا يفتخرون أنهم اجيزوا من قبله[٤٨] •

ان مكانة الآلوسى العلمية اكبرته فى عيون الناس ، وجعلت له مقاما كريما ، فكان بارزا بين العلماء فى بغداد ، ينشدون صداقته • فمن هؤلاء

---

(٤٦) غرائب الاغتراب ١٢٧ •

(٤٧) المصدر السابق ٣٠٤ •

(٤٨) المصدر السابق ٢٧٧ ـ ٢٩٧ •

الذين كان الآلوسى على علاقة حسنة معهم ، علامة عصره ابن عابديـــن (ت ١٢٥٧هـ ـ ١٨٤١م) وصاحب الحاشية المشهورة بحاشية ابن عابدين المسماة برد المحتار على الدر المختار • والعلامة عبدالغنى آل جميل مفنى بغداد قبله ، ومحمد سعيد أفندى المفتى قبله ايضا ، والعلامة محمد فيضي الزهاوى المفتى اللاحق لبغداد •

ومراسلاته العلمية مع هؤلاء وغيرهم مشهورة ومدونة[٤٩] وكانوا يكثرون من مراسلته حتى وهو فى اسطنبول • ولا عطاء صورة واضحـة لتبجيل واحترام كبار العلماء له ننقل فقرات من رسالة العلامة محمد فيضى الزهاوى الذى يلقبه الآلوسى بثالث الرافعى والنواوى • يقول فى المقدمة (الى حضرة الشهاب الثاقب ، الساطع نوره فى المشارق والمغــارب ، ذى المقام المحمود ، واللواء الذى هو بايدى الفضائل معقــود ، عــلامة علمــاء الآفاق ، ومن وقع على فضله وكماله الاتفاق ، معدن الشرف والفتــوة ، ومصباح مشكاة آل بيت النبوة ، مولاى الافخم الاعلم ، السيد السند الافندى المفخم ، لازال فى حضر وفى سفر ، ذاك الشهاب يضيء كالقمر)[٥٠] •

وكان كثير من العلماء يكتبون اليه ، ويسألونه عن المعضلات العلمية ، والمسائل الفقهية ، ولقد رأيت رسالة كتبها الآلوسى بخط يـــده الى مفتى قصبة بنجوين فى لواء السليمانية من منطقة (كردستان) فى العراق رداً على سؤال فقهي ورد فيها[٥١] •

أما الألقاب التى اطلقت عليه من قبل العلماء والأدباء والوزراء فكثيرة جدا ، وهى تعبر عن جانب من جوانب المكانة العلمية التى حصل عليهـــا

---

(٤٩) حديقة الورود ١/٦٣ ، ١٧٠ ـ ١٧٥ •

(٥٠) غرائب الاغتراب ٢٥٢ •

(٥١) الرسالة موجودة فى مكتبة المرحوم هاشم الآلوسى فى بغداد •

الآلوسى وهو (شيخ علماء العراق) وهو (المتفرد فى جميع العلوم بالاتفاق) وهو (آية الله الكبرى) وهو (نادرة الزمان) وهو (بحر البيان الزاخر) وهو (سيبويه العربية) وهو (سعد زمانه)(٥٢) وهو (خاتمة المفسرين) وهو (الشهاب الثاقب) وهو (علامة علماء العراق) وهو (البحر الطامي) وهو (فخر الاسلام) وهو (حلال العويصات) وهو مفتى (مفتى الانام) الى غير ذلك مما ورد فى رسائل القوم ، وكتاباتهم عنه(٥٣) .

ومن مظاهر هذه المكانة انه أينما حل ، اجتمع العلماء عليه ، واستغلوا وجوده لديهم ، فيسألونه ويستفسرون منه ، ويناقشونه ، ويقرؤون عليه ، ويودعونه بالزفرات والعبرات . ولقد سجل الآلوسى فى كتابه (غرائب الاغتراب) كثيرا من اجوبته ومناقشاته مع العلماء وخاصة مع شيخ الاسلام فى اسطنبول(٥٤) .

ولقد فرض علم الآلوسى وأدبه نفسيهما على الشعراء ، فأجمعوا على مدحه وتعظيمه وتقديمه ، والاشادة بعلمه وفضله وادبه ، والتغني بشخصيته الكريمة ، واخلاقه العالية ، ولا اظن ان عالما قبله ولا بعده قيل فيه من القصائد فى المدح والترحيب به ورثائه اكثر منه ، ولو اننا جمعنا كل ما ورد عنه فى دواوين شعراء زمانه ، لحصلنا على ديوان من الشعر كامل ، وجدير بنا أن نستأنس ببعض ابيات منها ، كي تظهر امامنا شخصية الآلوسي واضحة جلية ، يقول عبدالباقي العمرى مادحا له بقصيدة طويلة منها :

شيبت لمتـه الآى كمـا شيبت خير الورى سورة هود

---

(٥٢) هو سعد الدين التفتازانى من كبار علماء الكلام والبلاغة (ت ٧٩٢هـ) . صديق حسن خان . التاج المكلل ٤٥١ .
(٥٣) غرائب الاغتراب ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٧٤ . اريج الند والعود ٣ . المسك الاذفر ٥ ـ ٦ .
(٥٤) انظر ص٣١٣ ـ ٤٣٨ .

والطباق السبع قد طبقها	رؤية فسرها حال الشهود
والبحار السبع قد ادرجها	ذلك الطمطام فى سبع جلود
نزل الروح بها فانتعشت	ونشت ارواحها بعد ركود
اوقف الكشاف فى تفسيره	ياله فخر على كشف الحدود
حجة بالغة برهانها	قام من غير دفوع أو ردود
نشر العلم الذى كف البلى	قد طوته تحت اطباق اللحود
لم أجد لي علة عن مدح من	علة كان ابوه للوجود
فاتخذت المدح فيه سنما	لصعودى فوق غايات سعود(٥٥)

كما وللشاعر عبدالغفار الاخرس(٥٦) والشاعر حبيب ابن قاسم اغا الكروى(٥٧) وصالح التميمي(٥٨) قصائد فى مدحه .

---

(٥٥) الترياق الفاروقى ٢٧٧ .

(٥٦) الطراز الانفس ٢٥٣ .

(٥٧) غرائب الاغتراب ٢٥٠ .

(٥٨) ديوان صالح القزوينى ١٣٢ ـ ١٣٧ مخطوطة فى متحف الآثار تحت رقم ١٨٩٢ ببغداد .



الفصل الثانى

آثاره العلمية والادبية المطبوعة والمخطوطة

(١) آثاره العلمية :

أ ـ فى اللغة والادب

ب ـ فى البحث والمناظرة

جـ ـ فى التراجم

(٢) آثاره الأدبية :

أ ـ كتب الرحلات

ب ـ المقامات

(٣) دراسة فنية لأدبه :

أ ـ دراسة لاسلوبه العلمي

ب ـ دراسة لاسلوبه الادبي

أولا : آثاره العلمية :ـ

أ ـ اللغة والادب .

١ ـ حواشي شرح القطر لابن هشام :

وهي ما وعته أذنه من التقارير التي كانت تدور في مجالس شيوخه ، كتبها عندما كان عمره ثلاث عشرة سنة ، ولم يتمها وانما أتمها ابنه نعمان خيرالدين وسماها (الطارف والتالد في اكمال حاشية الوالد) في كتاب مستقل عن حاشية والده . ولهذا الكتاب ثلاث نسخ خطية ، احداها في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد والثانية في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي ، والثالثة في الخزانة القادرية ببغداد . وطبع هذا الكتاب مع كتاب ابنه المذكور في مجلد واحد سنة ١٣٢٠ هـ (١٨٩٨ م)[١] .

وحاشية الآلوسي هذه تشمل الموضوعات التي طرقها ابن هشام ، فهو يبدأ اولا بالكلمة وأقسامها ، ثم الاعراب والبناء وما يتعلق بهما ، ثم الاسم والفعل والحرف وأحكامها ، ثم المعرفة والنكرة ، ثم المبتدأ والخبر واحكامهما ، ثم النواسخ وانواعها ، ثم الفاعل ونائبه ثم الاشتغال والتنازع ثم المفاعيل وانواعها ، والمنادى وأحكامه ، والاستغاثة والندبة ، ثم الحال والتمييز والاستثناء ، ثم حروف الجر والاضافة ، ثم اسماء الافعال ، فأعمال المصدر واسم الفاعل فاسم المفعول ، ثم الصفة المشبهة واسم التفضيل ، ثم النعت والتوكيد وعطف البيان وعطف النسق والبدل ، ثم موانع الصرف فالتعجب فالوقف ثم رسم الحروف وهمزة الوصل .

ومذهب الآلوسي في حواشيه شرح الكلمة لغة واصطلاحا كلما دعت الحاجة الى ذلك ، فهو يقول مثلا (الفصل : لغة المجاز ، ويفسر بالحاجز بين الشيئين ، واصطلاحا عبارة عن الفاظ مخصوصة دالة على معان كذلك

---

(١) ذكرى ابى الثناء ٨٥ .

مفصولة عما قبلها وما بعدها)[٢] .

وأحيانا يوضح كلمة ذكرها ابن هشام كقوله (والمراد بالمفرد ما لا يدل جزؤه على جزء معناه وذلك نحو زيد ، فان اجزاءه وهي الزاي والياء والدال اذا افردت لا تدل على شيء مما يدل هو عليه بخلاف قولك (غلام زيد) فان كلا من جزءيه ، وهما الغلام وزيد دال على جزء معناه ؛ فهذا يسمى مركبا لا مفردا) بقوله (فيه اشارة الى ان المفرد غير هذا المعنى وهو كذلك فان له عندهم اطلاقات غير ما ذكر ، فيطلق تارة على ما ليس مثنى ولا مجموعا ، وذلك في باب ما خرج عن الاصل ، وتارة على ما ليس جملة ولا شبهها وذلك في باب المبتدأ والخبر ، وتارة على ما ليس مضافا ، ولا شبيها بالمضاف وذلك في باب المنادى ولا النافية للجنس)[٣] .

واحيانا يبين مقصد ابن هشام ، ففي قوله المار الذكر (نحو زيد) يقول أي اذا كان علما كما هو المتبادر ، أما اذا كان اسم فاعل أو مصدر نائب مناب الفعل وقلنا باستتار الضمير فيه فهو حينئذ يكون مركبا كما لا يخفى[٤] .

ويفصل أحيانا ما أوجزه ابن هشام ، ففي كلامه على (نعم وبئس) نقل لابي البقاء قوله (قال الكوفيون هما اسمان ، وهما في الاصل صفة لموصوف محذوف كانك اذا قلت نعم الرجل زيد ، فتقديره ، الرجل نعم الرجل ، ولما حذف الموصوف وهو اسم ، فكما كان اسما فكذلك ما قام مقامه[٥] .

وعندما يذكر ابن هشام من علامات الفعل المضارع (لم) يقول الآلوسي (وبقيت للفعل علامات ، والمجموع ما ذكره بعضهم اربع عشرة علامة ، تاء

---

(٢) حواشي شرح القطر ٦ ، ٧ .
(٣) المصدر السابق ٨ .
(٤) حواش شرح القطر ٩ .
(٥) المصدر السابق ٤٤ .

الفاعل ويائه ، وتاء التأنيث الساكنة ، وقد ، والسين ، وسوف ، ولو ، والنواصب ، والجوازم ، وأحرف المضارعة على الصحيح ، ونونا التوكيد ، واتصاله بضمير الرفع البارز ، ولزومه مع ياء المتكلم ، نون الوقاية ، وتغيير صيغته لاختلاف الزمان) [٦] .

ويعلل أحيانا حكما ذكره ابن هشام ، ففي قوله (وفاء السببية) لا يعمل ما بعدها فيما قبلها يقول الآلوسي (لان ما قبلها بمنزلة الشرط ، وما بعدها بمنزلة الجواب ، فكما لا يعمل الجواب فى الشرط . لا يعمل الخبر المشبه للجواب فى المبتدأ فى المشبه للشرط ، وما لا يعمل لا يفسر عاملا) ويعلل كذلك تقسيم ابن هشام الفعل الى ثلاثة أقسام بقوله (قيل علة الانحصار المفهوم فى التقسيم انحصار الزمان بذلك ، فان الفعل لا يخلو اما ان يكون سابقا على زمن الاخبار فهو الماضي ، أو مقارنا له فالحال ، أو متأخرا عنه فالمستقبل)[٧] .

واذا اسند ابن هشام فى موضوع (الاسم) من أقسام الكلمة ، قولا لاحد النحويين ولم يذكر اسمه ، جاء الآلوسي فكشفه وذكره كقوله (والظاهر انه أراد به العلامة عثمان بن الحاجب ، فانه عبر بذلك فى الكافية وله فى ذلك متابعون)[٨] .

وينقل الآلوسي آراء النحويين فى مسألة يذكرها ابن هشام كقوله (فان قلت اذا انحصرت فى قسمين ، فالاسماء قبل التركيب من أي الفريقين ؟ قلت اختلفوا فيها ، فذهب بعضهم الى انها مبنية لشبهها بعض الحروف فى الاستعمال من حيث انها لا عاملة ولا معمولة عليه ابن الحاجب ، واختار

---

(٦) المصدر السابق ٥٣ ، ٥٤ .
(٧) المصدر السابق ، ٣٢ ، ٤٠ .
(٨) المصدر السابق ١٠ .

صاحب الكشاف انها معربة بمعنى صلاحيتها لاستحقاق الاعراب • وعندما يقول ابن هشام (فانه يكون مجزوما بذلك الطلب) يقول الآلوسي (هذا قول الخليل وسيبويه)وقال الفارس والسيرافي لنيابته مناب الشرط المقدر ، وقال الجمهور بالأداة المقدرة بعد الطلب المدلول عليها به(٩) •

ويحيل الآلوسي القارىء عند الحاجة الى المطولات بقوله (وكمال التحقيق فى كتب المطولات)(١٠) ويستطرد الآلوسي خارج الموضوع الذى يطرقه ابن هشام كتعليقه على قوله (فان قلت) قبل السؤال ان كان قويا صدر ب (ولقائل أن يقول أو لك ان تقول أو وقد يقال وان كان متوسطا صدر بفأن قلت أو فان سئلت ، وان كان ضعيفا صدر بفأن قيل أو لا يقال)(١١) •

وفى رأيي أن الكتاب مفيد للدراسات النحوية ، لانه يذكر المصادر التي استند عليها فى نقل آراء عشرات من علماء النحو فى مسألة معينة ، وهو يقوم دليلا على أن دراسة الآلوسي النحوية كانت قوية منذ الصغر ، مما هيأت له فيما بعد اتقان النحو العربي والاحاطة بمسائله الخلافيه ، وعلله الكثيرة ، كما يظهر لنا خلال شروحه للقصائد ، وتفسيره لنقرآن الكريم •

٢ ـ كشف الطرة عن الغرة :ـ

وهو شرح ونقد لدرة الغواص فى أوهام الخواص ، لابى محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (ت ٥١٦ هـ)(١٢) ، الذي شرحه الشهاب الخفاجي المصري (ت ١٠٦٩ هـ) •

توجد نسخة من هذا الكتاب بخط يد المؤلف فى خزانة المرحوم

---

(٩) حواشي شرح القطر ١٤٦ •
(١٠) المصدر السابق ١٨٣ •
(١١) المصدر السابق ١٠
(١٢) كشف الطرة عن الغرة ٧ •

هاشم الآلوسي • ونسخة اخرى فى مكتبة الاوقاف العامة ببغداد تحت رقم (٥٩٩٨/٣٦ب) وطبع فى دمشق سنة ١٣٠١ هـ •

يبدأ الآلوسي كتابه بشرح خطبة الحريري اعرابا ولغة ، يوضح مرامه ، ويجلو غامضه ، ثم ينتقل الى متن الكتاب يشرحه • والحريري صنف كتابه حسب الحروف الابجدية ، فهو يبدأ مثلا (ومن اوهامهم قولهم ابدأ به أولا والصواب ابدأ به أول بالضم ، وحكمها حكم قبل وبعد فى أحوالها الشهيرة) • يأتي الآلوسي الى القول ويشرحه بقوله (أعلم أن لاول ثلاث استعمالات ، صفة بمعنى أسبق ، يشرب معنى الظرفية ، ان يكون مجردا عن الوصف كسائر الاسماء الجامدة فينصرف وينون) ثم ينتقل الى أقوال العلماء وتعليقاتهم حول الموضوع(١٣) •

ويناقش الآلوسي أقوال الحريري ، ويرد عليها ، ويذكر أقوال علماء النحو المخالفين لها ، فمثلا يقول الحريرى (ويقولون أصفر لونه من المرض، واحمرّ خده من الخجل وعند المحققين أنه انما يقال احمرّ واصفرّ ونحوهما فى اللون الخالص الذي قد استقر ، واما اذا كان قد عرض بسبب يزول فيقال فيه احمارّ واصفارّ مثلا ليفرق بين اللونين) فيقول الآلوسي (قال ابن بري (ت ٥٨٢ هـ) هذا غير معروف عند أحد من البصريين ، ألا ترى الخليل وسيبويه وجميع أصحابها يرون أن احمر مقصور من احمارّ وادهمّ من ادهامّ ، ولا فرق بينهما معنى ، وقد سوى بينهما أيضا ابن عصفور)(١٤) •

ويقول الحريري (ويقولون فى جمع ريح أرياح قياسا على رياح وهو خطأ والصواب أرواح) فيقول الآلوسي مبينا خطأه (هذا كلامه ، ولعمري

(١٣) المصدر السابق ٢١ ـ ٢٤ •
(١٤) كشف الطرة عن الغرة ٣٣ •

ما هبت ريحه من جهة القبول ، ولا ارتاحت بها نفوس الفحول ، ففي شرح بانت سعاد لابن هشام من العرب من يقول ارياح كراهة الاشتباه بجمع أرواح)[١٥] .

ويقول الحريري (ويقولون للقائم اجلس والاختيار على ما حكاه الخليل ان يقال للقائم اقعد ولنائم اجلس) فيقول الآلوسي (ان ما ذكره وان قاله بعض اللغويين منتقد فقد ورد فى الفصيح ما يخالفه)[١٦] .

وفى قول الحريرى (ويقولون للمعرس بنى باهله ، ووجه الكلام بنى على اهله) يقول الآلوسي (ما انكر مما لا شبهة فى صحته فانه متضمن معنى دخل فيتعدى تعديته) ثم يعرض آراء العلماء الذين ذهبوا الى صحة هذا التعبير [١٧] .

والآلوسي يسند الاقوال التي جاء بها الحريري غير مسندة الى أصحابها ، ثم يعطي الاقوال المضادة لها كي يعطي للقاريء المجال حتى يقارن بين الآراء . ففي قول الحريرى (ويقولون افعل من التعجب من الالوان والعاهات كما يقولونه فى التفضيل منها ، والكل لحن مجمع عليه وغلط مقطوع به) قال الآلوسي (والمذكور مذهب جمهور البصريين ، وذهب الكسائي (ت ١٨٩ هـ) وابن هاشم (لعله ابن هشام) الى جواز بناء اسم التفضيل من الالوان مطلقا واجاز الكوفيون التعجب من السواد والبياض) ثم قال (ودعوى الاجماع على كون ذلك لحنا غير صحيحة)[١٨] .

ويرد الآلوسي قول بعض من يستشهد بهم الحريري ، ففي قوله

---

(١٥) المصدر السابق ٥٢ .
(١٦) المصدر السابق ٧٢ .
(١٧) المصدر السابق ١٢٩ ـ ١٣٠ انظر مثلا ١٣٣ ، ١٩٥ ، ٢١٢ لنفس الغرض .
(١٨) المصدر السابق ٩٢ ـ ٩٣ .

(ولذا قال المبرد (ت ٢١٠ هـ) فى قراءة حمزة (ت ١٥٦ هـ) ، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام بالجر : لو اني صليت خلف امام فقرأ بها لقطعت صلاتي ، ومن تأول لحمزة جعل الواو للقسم) قال الآلوسي (ولعمري ما أشار اليه المبرد من جملة السقطات ، وعظيم الهفوات ، بنى على أن القراءات السبعة غير متواترة ، وانه يجوز ان يقرأ بالرأي ، وهو مذهب باطل ، وخيال فارغ ، فانه لا يشك عاقل فى تواترها)[١٩] .

ويرد الآلوسي على الحريري بعباراته هو . قال الحريري (ويقولون بينا زيد قائم اذ جاء عمرو ، فيتلقون بينا باذ والمسموع تركها) فبعد ان ان يناقشه الآلوسي يقول (والعجب من صاحب الاصل أنه قال فى مقاماته (فبينا انا اطوف وتحتي فرس قطوف اذ رأيت الخ) وقال ايضا (فبينا انا عند حاكم الاسكندرية اذ دخل عليه شيخ) وقال (فبينا اسعى واقعد اذ قابلني شيخ) فكأنه نسي ما قاله هنا وفى المثل من عيرّ ابتلى[٢٠] . وقد أخذ عليه ذلك فى شعره ايضا ففي قوله (ويقولون ما كان ذلك فى حسابي ، يعنون ظني والصواب فى حسباني بكسر الحاء) قال الآلوسي (والعجب من صاحب الاصل انه خطيء بذلك وقد وقع فى شعر له أنشد فى الخريدة)

نالت يدي منك ما لم يكن   يخطر فى الوهم ولا فى الحساب[٢١]

وكثيرا ما ينقلب تعليق الآلوسي على كلام الحريري الى بحث قائم بذاته كما فعل فى بحثه عن (التغليب) بمناسبة قول الحريري (ان من الاصول المطردة تغليب المذكر على المؤنث اذا اجتمعا الا فى موضعين احدهما تثنية الذكر والانثى من الضباع فانه يقال ضبعان وتجرى التثنية على لفظ

---

(١٩) كشف الطرة عن الغرة ١٣٩ .
(٢٠) المصدر السابق ١٤٥ .
(٢١) المصدر السابق ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

المؤنث الذي هو ضبع لا المذكر الذي هو ضبعان فرارا مما يجتمع من الزوائد لو ثنى . الثاني باب التاريخ فانهم يؤرخون بالليالي دون الايام مراعاة للاسبق والاسبق من الشهر ليلته ، ومن كلامهم سرنا عشرا ما بين يوم وليلة) حيث ذكر رأي ابن هشام الذي اعتبره سهوا ، لان حقيقة التغليب ان يجتمع شيئان فيجري حكم احدهما على الآخر ولا يجتمع الليل والنهار وليس هنا تعبير عن شيئين بلفظ أحدهما وانما ارخوا بالليالي لسبقها ، ثم ذكر مناقشة بعض النحويين لابن هشام وذكروا ان الضابطة التي ذكرها غير تامة ، ثم ذكر الآلوسي ان تغليب المؤنث لا يختص بالصورتين اللتين ذكرهما الحريري ، فلقد غلب في مواطن اخرى مثل المروتان للصفا والمروة ، وما اضيف الى الابناء والبنات لغير الاناس من الحيوان وغيره فانه يجمع مذكره ومؤنثه على بنات فيقال في ابن لبون وابن آوى وابن عرس بنات لبون الخ فلا يجمع على بنين الا شذوذا ، وكذلك اماك للام والاب ، وتقوم هند وزيد في باب العطف ، والثيبات للرجل والمرأة بناء على أن الثيب لا يطلق على الرجل[٢٢] .

ولا يقتصر عمل الآلوسي على الشرح والنقد ، وانما يذكر ايضا امثلة لقواعد لا يمثل لها الحريري[٢٣] ، أو يأتي بشواهد لشعراء ذكرهم ، ولم يأت بابياتهم . مثال ذلك قول الحريري (وفي مع لغتان افصحهما فتح العين وقد نطق باسكانها كما قال جرير) فقد اضاف الآلوسي قوله (من قصيدة مدح بها هشام بن عبدالملك :

فريشي منكم وهواي معْكم   وان كانت زيارتكم لماما[٢٤]

(٢٢) المصدر السابق ٣١٢ ـ ٣١٧ .
(٢٣) كشف الطرة عن الغرة ٣٤ .
(٢٤) المصدر السابق ٣٦ .

ويؤيد الآلوسي احيانا ما ذهب اليه الحريري بالاحاديث والشعر ففي قوله (ويقول فى التحذير اياك والاسد ، وجه ادخال الواو على الاسد) فعلق الآلوسي (كما فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اياك ومصاحبة الكذاب، فانه يقرب عليك البعيد ، ويبعد عليك القريب) ، وقول الشاعر

فاياك والامر الذي ان توسعت   موارده ضاقت عليك مصادره[٢٥]

وللآلوسي تعليقات على بعض الاعلام الواردة فى أثناء الكلام • فلقد جاء ذكر يحيى بن اكثم (ت ٢٤٢هـ) عرضا أثناء الكلام فقدم الآلوسي تعريفا مختصرا به وبعلاقته بالمأمون (ت ٢١٨ هـ)[٢٦] •

ان نظرة الآلوسي الى اللغة فى هذا الكتاب نظرة مرنة ، فهو يؤمن بأن باب المجاز واسع ، وان اللغة تتطور ، ولا يجب الجمود على اصولها الاولى والا لعسر التكلم على من بعدهم وهو يقول (لانا لو اقتصرنا فى الالفاظ على ما استعملته العرب العاربة والمستعربة ، حجرنا الواسع ، وعسر التكلم بالعربية على من بعدهم)[٢٧] •

لقد بذل الآلوسي فى سبيل اخراج كتابه هذا جهدا كبيرا ، فهو يراجع كتب اللغة والمعاجم المشهورة وكتب النحو والصرف والبلاغة والقراءات ، وكتب الادب ودواوين الشعر ، فضلا على استشهاده بالقرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفصحاء الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) •

ان طريقة الآلوسى فى هذا الكتاب طريقة جيدة وعلمية ، لأنه يسند كل رأى الى صاحبه • ويذكر الكتاب الذى ورد فيه • دون أن يعين الصفحات على عادة الباحثين القدماء •

---

(٢٥) المصدر السابق ٣٦ ، ٥١ ، ٦٨ •
(٢٦) المصدر السابق ٤١ ، ٥٠ •
(٢٧) المصدر السابق ٨٦ ، ٣٤٨ •

ويظهر في هذا الشرح عمق الآلوسي وفقهه الواسع باللغة ، فهو دقيق في التفريق بين المعاني ، وله احساس رائع في تذوق المعنى الجميل .

والواقع ان هذا الشرح جليل القدر ، جم الفوائد لطلاب اللغة ، يتفوق فيه الآلوسي بلا ريب على الحريري في اللغة ، وهو يضعه جنبا الى جنب مع كبار اللغويين العرب . يقول الدكتور مصطفى جواد ، استاذ فقه اللغة في جامعة بغداد (وأما البحث اللغوي الخاص بالمفردات في معانيها الاصلية فأول من الف فيه في ايام النهضة اللغوية الحديثة السيد شهاب الدين ابو الثناء محمود بن عبدالله الآلوسي ثم البغدادي ، وأسم تأليفه (كشف الطرة عن الغرة) وهو ترتيب جديد على حروف المعجم لشرح درة الغواص في اوهام الخواص تأليف شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجي المصرى المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ وزيادات عليه تدل على سعة علم السيد الآلوسي بالعربية ، وطول باعه في النقد اللغوى)[٢٨] .

٣ - الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد :-

القصيدة للسيد محمد الجواد السياه بوشي الشاعر البغدادي المتوفى سنة (١٢٤٦ هـ) في رثاء الشيخ خالد النقشبندي شيخ الآلوسي[٢٩] أتم تأليفه في غرة محرم (١٢٤٥ هـ) . توجد نسخة منه في مكتبة الاستاذ عباس العزاوي ببغداد ، ونسخة ثانية في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي كتبت سنة (١٢٧٠هـ) ونسخة ثالثة في مكتبة الاوقاف العامة كتبت سنة (١٢٧٤هـ) . وطبع في مصر طبعة حجرية سنة (١٢٧٨هـ)[٣٠] .

بدأ الآلوسي شرحه ببيان بحر القصيدة (الطويل) ثم عقد كلاما في اكثر من صفحتين حول هذا البحر وعروضه واضربه[٣١] . ثم مضى الى ابيات القصيدة يشرحها .

---

(٢٨) المباحث اللغوية في العراق ٥١ .
(٢٩) الفيض الوارد ٤ .
(٣٠) ذكرى ابي الثناء ٩٢ .
(٣١) الفيض الوارد ٧ - ١٠ .

ومنهج الآلوسي فى شرح هذه القصيدة يتلخص فى انه يشرح البيت شرحا أدبيا بلاغيا ، وينقل عديدا من الابيات المختارة فى موضوع البيت الذى يشرحه ، أو فيما يتعلق بكلمات يشرحها فى البيت كما فعل مثلا فى كلمة (الاطلال) و (حب الوطن) و (نوح الحمام) و (الانيس) و (الرحيل) و (الشيب)[٣٢] .

ويتوسع الآلوسي كثيراً فى تبيان معاني بعض الكلمات ، ففي كلمة (الهوى) مثلا بين مراتبها من حيث فقه اللغة . ثم وقف عند كلمة العشق ، وأفاض فى نقل أقوال المحبين شعراً ونثراً ، ثم ذكر آراء بعض الفلاسفة والمتصوفين والعلماء والاطباء فى العشق[٣٣] . واكثر ما يعتمد فى اللغة على ابن سيدة (ت ٣٩٨ هـ) والراغب (ت ٥٠٢ هـ) والفيومي (ت٧٧٠هـ) والفيروز آبادى (ت ٨١٧ هـ) .

ولا يتطرق الآلوسي الى النواحي النحوية والاعرابية الا مضطراً ، ولا يعالج النواحي النظرية من البلاغة ، وشواهده وأمثلته قليلة .

ولقد صب الآلوسي اهتمامه الكبير فى شرحه هذا على التصوف ، فأفاض فيه كثيرا ، فهو يذكر الخواطر وانواعها وتأثيرها فى سلوك الانسان وتصرفاته ، وينقل آراء طائفة من علماء التصوف فى ذلك[٣٤] ، وهو يعقد فصلا مركزاً عن المقامات عند الصوفية[٣٥] ، ويتكلم عن العشق عندهم ، ويشرح كثيرا من مصطلحاتهم كالقبسات والمشهد والسر والقطب والباطن

---

(٣٢) المصدر السابق ٢٦ ، ٢٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٤٣ ، ٤٧ .

(٣٣) المصدر السابق ١٠ ـ ١٣ .

(*) المصدر السابق ٧٨ .

(٣٤) الفيض الوارد ١٠٨ ـ ١١٠ .

(٣٥) المصدر السابق ١٥٢ ـ ١٥٧ .

والتوحيد والابدال والقرب والجمال والرياضة والعرفان وغيرها[٣٦] .

وتأثر الآلوسي بشيخه خالد اوضح ما يكون فى هذا الكتاب ، فلقد عقد فصلا طويلا للتحدث عن تاريخ حياة شيخه هذا ، وتاريخ الطريقة النقشبندية وحقيقتها ، وهي فى رأيه اقرب الطرق الصوفية الىٰ الكتاب والسنة[٣٧] . ومن أدلة تأثره بهذه الطريقة أنه يؤمن بان الشيطان تجلى مرة للشيخ عبد القادر الجيلاني ، ودعاه الى عبادته ، فأبى عليه ولعنه[٣٨] .

ويدافع الآلوسي فى شرحه هذا عن ابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) وابن الفارض(ت٦٣٢هـ) والتلمساني الأندلسى(ت٥٩٤هـ) والجليلي(ت٨٣٢هـ). ويوجه اقوالهم فى وحدة الوجود ، فهو يقول ان اقوالهم صحيحة لأن علومهم مبنية على الكشف والعيان لا على الخواطر الفكرية والاذهان ، وهو مع ذلك يدعو الناس الى ترك الخوض فى مثل هذه المسائل الخطيرة[٣٩] .

وظاهر كلام الآلوسي فى هذا الشرح انه يؤمن بوحدة الوجود ، يدل على ذلك قوله « والكلام عليها (وحدة الوجود) قد شاع وكثر قديما وحديثا ، وردها قوم قاصرون غافلون محجوبون ، وقبلها قوم عارفون محققون ، ومن ردها فانما ردها لعدم فهمها وقصور ذهنه عن معناها »[٤٠].

ويهتم الآلوسي فى الدرجة الثانية بعلم الكلام ، فبمناسبة الكلام عن الرؤية يتطرق الى موضوع رؤية الله تعالى فى الدنيا وفى الآخرة ، واختلاف العلماء فى ذلك ، تبعا لاختلاف مذاهبهم الاعتقادية ، ويتكلم حول خلود

---

(٣٦) المصدر السابق ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .
(٣٧) المصدر السابق ١٩٨ ــ ٢٠٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٥١ .
(٣٨) المصدر السابق ١١٢ .
(٣٩) المصدر السابق ١٩٤ ــ ١٩٥ .
(٤٠) المصدر السابق ٤١ ، ٤٢ ، ١٩٤ .

الانسان فى الجنة أو فى الجحيم ، والمقصود من الآية الكريمة (خالدين فيها الا ما شاء الله) ثم يبدي رأيه فى معنى الآية ، وينقل الكلام بعد ذلك الى الجنة والجحيم ، وهل هما مخلوقتان أم لا ؟[٤١] ز

ويتطرق الآلوسي الى موضوعات فلسفية ايضا ، فعند كلامه عن النفس، شرع يدخل فى موضوع فلسفي عن النفس وماهيتها ، والروح وحقيقتها ، ثم بدأ يذكر الفرق بينهما ، وعاد الى النفس فذكر معانيها المختلفة مع عرض آراء جماعة من فلاسفة اليونان والمسلمين[٤٢] • وكثيراً ما يدعوه المقام الى التحدث عن فلسفة الحياة والموت ، فيعرض فى كل مرة طائفة من الاقـوال والحوادث التي تثير فى نفس القارىء الأثر المطلوب[٤٣] •

ولا يترك الآلوسي الموضوعات الفقهية دون التحدث فيها ، كحديثـه عن اللهو ، وبيان رأى المتصوفة والفقهاء فى السماع والطرب والآلات[٤٤]•

ولا يخـلو الكتاب من موضوعات فلكيـــة ، كبحثـه فى السموات والارض ، فقد نقل آراء جماعة من علماء الفلك القدامى والمحدثين ، حول الشمس والسيارات والارض والقمر[٤٥] ، وهو مقتنع بالنتائج التي وصل اليها العلم فى العصر الحديث مما يدل على كثرة اطلاعه ، وحبه للحقيقة • فهو يقول فى هذا المعنى (والقول بانها ـ السموات ـ متلاصقة خـــلاف ما ذهب اليه المحدثون الذين هم المرجع والعمدة فى امثال هذه المقامات[٤٦]آ•

وفى هذا الكتاب لفتات علمية كثيرة فى موضوعات مختلفة ، فبمناسبة

---

(٤١) المصدر السابق ١٢٢ ـ ١٢٥ •
(٤٢) الفيض الوارد ٤٧ ـ ٤٩ •
(٤٣) المصدر السابق ٥٣ ، ٥٥ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٨ •
(٤٤) المصدر السابق ٦٩ ـ ٧٠ •
(٤٥) المصدر السابق ٨٣ ـ ٨٧ ، ١٦٩ ـ ١٧٠ •
(٤٦) المصدر السابق ٨٣ •

ورود كلمة (الاقاليم) تكلم عنها ، ونقل كل ما توصل اليه علم الجغرافية في زمانه بايجاز[٤٧] .

ومن ذلك كلامه عن تاريخ النحو ، وواضعه ، وسبب وضعه[٤٨] . وكلامه عن تاريخ التقاويم العربي والرومي والفارسي والنبطي[٤٩] . وكلامه عن الصحابة ومن يطلق عليه هذا اللفظ ومن لا يشمله ، وارتداد الصحابة ، وبيان رأي العلماء في ذلك ، وكلامه في الرد على الرافضي يوسف الكوفي في طعنه على ابي بكر ، وتفسيره لآية الغار بعكس ما يفهم منها . ورده على الشيعة في تفسير حديث الغدير[٥٠] .

وتغلب على الكتاب نزعة تشاؤمية ، تظهر في شكوى الآلوسي من الزمان وروايته لطائفة من الاشعار فيه ، وتشجيعه على العزلة لفساد الناس .

وللكتاب وجهة اخلاقية واضحة ، فهو يستغل كل مناسبة للاشادة بالفضائل ، ودعوة الناس اليها ، وأعتقد ان أحد أسباب شرحه لهذه القصيدة هو استغلال المواقف الصوفية التي عرضها الشاعر في المرثية لأجل الدعوة الى المعاني الاخلاقية .

ان الاحوال فسدت في زمانه ، والقيم الاسلامية تعرضت للهزات ، فأراد الآلوسي أن يتخذ من هذه القصيدة ستاراً يعرض رأيه في كثير من مشاكل المجتمع الاجتماعية . والحق ان للآلوسي خطرات رائعة في النفس الانسانية ، ونظرات صائبة في اصلاحها وتهذيبها .

والكتاب بعد ذلك يقوم دليلا قويا على ما ذهبنا اليه سابقا من ان الآلوسي درس التصوف الاسلامي دراسة جيدة .

---

(٤٧) المصدر السابق ١١٤ ، ٢٠٧ .
(٤٨) المصدر السابق ١٤٢ ـ ١٤٣ .
(٤٩) المصدر السابق ٢٥٣ ـ ٢٥٨ .
(٥٠) المصدر السابق ٢٠٨ ـ ٢٣٢ ، ١٣٩ ـ ١٤٠ .

٤ ـ الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الاشهب :ـ

هذه القصيدة للشاعر العراقي عبدالباقي العمري في مدح الشيخ عبدالقادر الجيلاني (ت ٥٦١ هـ)(٥١) • يقول الآلوسي (فحدثتني نفسي بشرحها ، ودعتني كنوز اشاراتها الى فتحها)(٥٢) •

توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الاستاذ عباس العزاوي ، وهي بخط المؤلف ، حيث أتم تأليفه في رمضان سنة ١٢٥٥ هـ ، ومنه نسخة اخرى بخطه أيضا في خزانة المكتبة القادرية(٥٣) ورأيت نسخة اخرى منقولة عن النسخة الاصلية في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي •

ويظهر منهج الآلوسي في هذا الشرح فيما يأتي :

١ ـ اهتمامه الشديد بشرح المفردات شرحا لغويا واسعا ، فهو يبين معانيها المختلفة واشتقاقاتها الكثيرة ، مستشهدا بآراء من سبقه من اللغويين(٥٤) • ولا يكتفي بهذا ، بل يلجأ الى الاعراب وبيان الاوجه النحوية للكلمة ، ويدخل في تفاصيل دقيقة ناقلا عن كبار علماء النحو على اختلاف مدارسهم ومشاربهم • ويتبع الآلوسي هذا الاسلوب في جميع أبيات القصيدة وهو لا يقف عند حدود نقل كلام الآخرين ، بل يناقشهم في أقوالهم كما فعل في شرحه لكلمة (الشفيع) فهو يقول (هنا صاحب الشفاعة وهي كما قال ابن الاثير (ت ٦٣٧ هـ) السؤال في التجاوز عن الذنب والجرائم ، وعندي انها أعم من ذلك ، فتشمل السؤال في دفع الضرر والسؤال في جلب الخير)(٥٥) • وكذلك كلمة (سبحان) فهو يقول

---

(٥١) الطراز المذهب ٥ ، ٦ •
(٥٢) المصدر السابق ٨ •
(٥٣) ذكرى ابى الثناء ٨٩ •
(٥٤) الطراز المذهب ٨٨ •
(٥٥) المصدر السابق ١١ •

(ومجيئه منادى مما زعمه الكسائي ولا حجة له[٥٦] •

٢ ـ ان شرحه هذا يحتوي على طائفة كبيرة مختارة من أجمل الشعر وأرقه ، حشدها مستشهدا على بعض المسائل التي يتطرق اليها فى القصيدة ، فعندما يقف عند القول المنسوب الى الشيخ عبدالقادر الجيلاني (قدمي على رقبة كل ولي لله عز وجل) ويشرحه ، يبين مقصود الصوفية بذلك ، وهل يحمل على الرمز ام على الحقيقة ، ويستشهد بهذه المناسبة بكثير من كلام العرب قديما وحديثا مما يدل على رسوخ قدمه فى أدب العرب[٥٧] • وكذلك فعل فى كلمتي (التوشيح) و (الطراز) وفى كلمات اخرى غيرها[٥٨] •

والآلوسي يهتم بالنواحي البلاغية فى البيت ، وخاصة المحسنات البديعية ، ثم يستشهد فى الناحية التي يبحثها بشواهد من أجمل الاشعار قديما وحديثا ، انه استشهد مثلا بابيات كثيرة عند كلامه عن (الاغراق) و (المبالغة) و (الجناس) و (التورية) و (الغلو) وهي أنواع بديعية[٥٩] • وهو يفعل ذلك فى جميع ابيات القصيدة • واحسب أن مؤلفي كتب البلاغة المدرسية سيجدون كثيرا من النماذج الشعرية الجميلة فى هذا الشرح ، لتوضيح افكارهم عن طريقها ، لان الآلوسي استعمل ذوقه الشعري الدقيق فى اختيارها •

٣ ـ لم يقف الآلوسي فى شرحه هذا عند شرح القصيدة فحسب ، وانما اتخذ من ألفاظها مجالا لدراسات فى مختلف نواحي العلوم ، وهذا

---

(٥٦) المصدر السابق ١٠٢ •
(٥٧) الطراز المذهب ٩ ـ ٢٨ •
(٥٨) المصدر السابق ٦٠ ـ ٦٣ •
(٥٩) المصدر السابق ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ـ ١٢٣ ، ١٢٦ ـ ١٣٠ ، ١٣٧ ـ ١٣٩ •

فيما أرى غرضه الاساس من هذا الشرح • فمثلا عند شرحه لكلمة (الضريح) نقل آراء العلماء الذين يقولون ان ضريح الرسول صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض[٦٠] • وانتقل على السلام على الرسول ، وهل يرد اليه الروح ام لا ؟ وهل تعظيم مكان الضريح موافق للشريعة ام لا ؟ ثم انتقل الى رواية الشعر للدلالة على ان تعظيم المحل لا لذاته وانما للموجود فيه[٦١] • ثم ذكر في صفحتين اول من كسا قبر الرسول ، ونقل روايات متعددة في ذلك ، وهل يجوز ستره أم لا ؟ ثم قاس كساء قبر الرسول على كساء الكعبة ، وذكر الذين كسوها في التاريخ وبين حكم المذاهب في شراء وبيع كسوة الكعبة الشريفة[٦٢] • وبمناسبة الحديث عن (خاتم الرسول) في أحدى الابيات دخل الى موضوع خلافي بين الفقهاء حول تعدد الخاتم ، وحرمة اتخاذه من الذهب الخالص،ونقل في ذلك حجج المحللين والمحرمين، ثم تنقل الى خاتم النحاس والرصاص مع ذكر احاديث في ظاهرها متعارضة عن لبس خاتم الحديد[٦٣] •

وعند الكلام على كلمة (القدر) نقل كلا ما طويلا حول تعيين ليلة القدر ، واختلاف علماء الامة في ذلك[٦٤] • اما في شرحه لكلمة (التقبيل) فهو ينقل لنا آراء العلماء فيه ومتى يسن ، ومتى لا يسن ، واستنكر تقبيل الناس للقبور ، ورماهم بالجهل[٦٥] •

ولا يقف الآلوسي عند المسائل الفقهية ، وانما يعرض كثيرا من مسائل التاريخ والجغرافية والكلام والفلسفة والمنطق ، فهو مثلا يذكر بغداد

---

(٦٠) المصدر السابق ٣٠ ، ٣١ •
(٦١) المصدر السابق ٣٢ ـ ٣٤ •
(٦٢) المصدر السابق ٣٣ ـ ٣٤ •
(٦٣) المصدر السابق ٦٤ ـ ٦٦ •
(٦٤) المصدر السابق ٨٨ ـ ٩٠ •
(٦٥) الطراز المذهب ١١٥ ـ ١١٦ •

وبناءها ، وحقيقة الاسم ، واختلاف الناس فى ذلك مع ذكر طائفة كبيرة من شعر كبار الشعراء فيها[٦٦] • وفى احدى المناسبات يذكر فيضان دجلة ، وخراب بغداد ، وانتشار مرض الطاعون ، وبيان حالة بغداد فى ذلك الوقت• وعند شرحه لكلمة (الباز) عرج على حياة الشيخ عبدالقادر الجيلاني[٦٧] •

أما فى علم الكلام فيكفي أن نتطرق على سبيل المثال الى كلامه فى الفرق بين الرسالة والنبوة ، والكلام عن التوسل والوسيلة[٦٨] •

وأما الابحاث العلمية فيكفي ان نشير الى شرحه لكلمة (ابصارنا) حيث شرح كيفية حصول الرؤية ، ونقل الكلام بعد ذلك الى كيفية حصول الشم والذوق واللمس[٦٩] •

وفى احدى المناسبات نراه يعقد بحثا حول طلوع الشمس وغروبها[٧٠]، وحتى الفلسفة والمنطق خاض فيهما وذلك ، بمناسبة شرحه لكلمة (الدهر) حيث عقد بحثا فلسفيا منطقيا حول معنى الدهر[٧١] •

واسلوب الكتاب اسلوب علمي يلجأ الى السجع احيانا ، ويسترسل اخرى ، وهو كتاب ممتع حقا ، على الرغم مما فيه من غموض فى الموضوعات الفلسفية والمنطقية وبعض معتقدات الصوفية بالنسبة للذين لم يدرسوا مصطلحاتها •

وتتجلى قدرة الآلوسي اللغوية فى هذا الكتاب ، حتى ليخيل للانسان انه امام صفحات كتبها أحد اللغوين الكبار من القدامى •

---

(٦٦) المصدر السابق ٩٤ ـ ٩٥ •
(٦٧) المصدر السابق ١٤٦ ـ ١٤٨ •
(٦٨) المصدر السابق ١٨٣ ـ ١٨٥ •
(٦٩) المصدر السابق ١٦٠ ـ ١٦٣ •
(٧٠) المصدر السابق ٨٧ •
(٧١) المصدر السابق ٤٢ •

٥ ـ **الخريدة الغيبية فى شرح القصيدة العينية :**

القصيدة للشاعر عبدالباقي العمري فى مدح امير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه ، يبدأ الآلوسي بشرح القصيدة على عادته بتوضيح معاني المفردات اللغوية ، ويتعرض احيانا لمعناها الاصطلاحي والعلمي ايضا • وبعد ذلك ينتقل الى تفصيلات نحوية[(٧٢)] ، وهو يعتمد ـ كعادته ـ فى اللغة والنحو على كبار اللغويين والنحويين ، ويستشهد بآرائهم ، ويعرض اختلافاتهم • ومع ذلك فان هنالك فرقا واضحا بين هذا الشرح وشرحه لقصيدة (الباز الاشهب) ، فهو يهتم كثيرا بالتفصيلات النحوية فى القصيدة الاولى ، أما فى (الخريدة) فيسهب حينا ويوجز احيانا •

اما النواحي البلاغية فى الابيات فلا يتطرق اليها الا عرضا ، وهو فى هذا الشرح لم يستشهد لا بالقرآن ولا بالحديث الشريف ، ولا بشعر العرب كما ابع ذلك فى شرحه السابق ، ولكنه يستطرد الى موضوعات شتى يعالجها بمناسبة اللفظة التي يشرحها ، فهو مثلا يدخل الى موضوعات فقهية كذكره لصلاة النوافل فى الكعبة ، ونقل اختلاف أئمة المذاهب فى ذلك[(٧٣)] •

واما تعرضه لمسائل الكلام والفلسفة فاوضح من معالجته للمسائل الفقهية فى هذا الشرح فلقد تعرض مثلا للكلام عن الرسالة والنبوة والولاية ، ونقل بعض الآراء فى ذلك[(٧٤)] • ويتعرض ايضا الى شرح معنى النقطة ويأتي بآراء الفلاسفة[(٧٥)] •

وهذا الشرح يقوم دليلا آخر على اطلاع الآلوسي على الفلسفات

---

(٧٢) الخريدة الغيبية ٥ ، ٧ ـ ٨ ، ٦٥ •
(٧٣) الخريدة الغيبية ١٢ ، ١٣ •
(٧٤) الخريدة الغيبية ١٢ ، ١٣ •
(٧٤) المصدر السابق ٤٦ ـ ٤٧ •
(٧٥) المصدر السابق ٤٠ •

القديمة والحديثة ، وهذا ظاهر من قوله (والاختلاف فى تفسير المكان مشهور بين الفلاسفة الاشراقيين منهم والمشائين)[٧٦] • ومن قوله (وانكر فلاسفة الافرنج اليوم عنصريتها الاربعة ، وقالوا بعناصر فوق الخمسين)[٧٧] وظاهر من هذا الشرح انه كان متابعا للحركة العلمية فى زمانه كما هو واضح من كلامه عن الكواكب السيارة وكلامه حول الشمس[٧٨] • ويدخل احيانا الى موضوعات اخلاقية ، ككلامه عن الفضائل وأنواعها[٧٩] •

اما التاريخ فهو يهتم به كثيرا ، ويكفي ان نشير هنا الى ذكره لبناء الكعبة وترقيمها ، والآراء المروية فى ذلك[٨٠] ، وكلامه عن الخوارج ومعركة النهروان [٨١] ، وعرضه لحياة حسان بالتفصيل[٨٢] •

والآلوسي فى كتابه هذا مستقل فى آرائه ، فهو يستغل كل مناسبة للرد على بعض الافكار ، ويدخل فى مناقشات موجزة مع أصحابها ، فهو فى كلامه عن الأفلاك والبروج يسخر من آراء بطليموس التي تقول ان الصور التي فى عالم التركيب مطيعة للصور الفلكية[٨٣] • ويظهر عدم اعتقاده ببعض التعليلات عند العلماء ، كقولهم بتفضيل الليل على النهار على اعتبار وقوع الاسرار فيه[٨٤] • ويرد على الشعراني فى ادعائه أن فى الاولياء انبياء على سبيل ظهور مظهر الحقيقة المحمدية لهم[٨٥] ويسخر من

---

(٧٦) المصدر السابق ٧٣ •

(٧٧) المصدر السابق ٨٧ ـ ٨٨ •

(٧٨) المصدر السابق ١٠٠ ـ ١٠٣ •

(٧٩) المصدر السابق ١٢٧ ـ ١٢٨ •

(٨٠) المصدر السابق ١٠ ـ ١١ •

(٨١) المصدر السابق ٩٠ ـ ٩٢ •

(٨٢) المصدر السابق ١٢٩ ـ ١٣٢ •

(٨٣) المصدر السابق ١٧ ـ ١٩ •

(٨٤) المصدر السابق ٧٩ •

(٨٥) المصدر السابق ٢٣ •

المنجمين بهذا البيت •

لست أدري ولا المنجـم يدري ما يريد القضاء بالانسان[٨٦]

والآلوسي فى شرحه هذا يستغل كل مناسبة للاشادة بفضائل الامام علي وشجاعته ، وايمانه ، وحسن بلائه فى سبيل الله[٨٧] • وهو يتحدث فى أماكن كثيرة عن فاطمة وابنيها الحسن والحسين • ويذكر فضائل أهـل البيت ، ومكانتهم بين المسلمين ، ويرمي قتلة الحسين بالزندقة ، ويصف أعداء علي بالفئة الباغية ، وعلى الرغم من ان هذا كله هو رأي أهل السنة والجماعة ، الا انه كان له غاية واضحة فى الالحاح على هـذا الاتجـاه ، والضرب على هذا الوتر ، فهو في رأيي انما يرد بذلك على الشيعة الذين يزعمون أن أهل السنة لا يحبون أهل البيت ، ويقوي هذا الرأي تصريحه بان أهل السنة من شيعة علي ، غير انهم لا غلو عندهم[٨٨] • وفى أغلب الظن أن الآلوسي لم يشرح هذه القصيدة الا للوصول الى هذه الغاية ، فجميع الشواهد والآثار تدل على هذا دلالة واضحة ، والقاريء لهذا الشرح يتلمس هذا فى كل صفحة من الشرح بمناسبة وبدون مناسبة •

والآلوسي فى شرحه هذا يهتم بذكر مراجعه كقوله مثلا (وان أردت زيادة ما ذكرنا فعليك بشفاء الغرام باخبار البلد الحرام لابى الطيب محمد المكي المالكي)[٨٩] وعند كلامه على الاسد يقول وتفصيل الكلام فيه يطلب من حية الحيوان)[٩٠] • ولا ينسى احالة القاريء الى كتبـه كروح المعـاني والطراز المذهب والفيض •

---

(٨٦) الخريدة الغيبية ١٨ •
(٨٧) المصدر السابق ٣٣ ــ ٣٦ •
(٨٨) المصدر السابق ١٣٨ ــ ١٤٠ •
(٨٩) المصدر السابق ١٤ •
(٩٠) المصدر السابق ١٧ •

٦ ـ حاشية عبدالملك بن عصام فى علم الاستعارة :

وسماه ايضا بلوغ المرام من حل كلام ابن عصام فى علم الاستعارة • واصل هذه الحاشية تعليقات كتبها الآلوسي على كتاب بلوغ الارب من تحقيق استعارات العرب لعبدالملك بن عصام المولود بمكة سنة (٩٧٨ هـ) ، ايام شبابه ، عند رجوعه الى مسقط رأس آبائه (آلوس) ثم جدد النظر فيما كتبه قديما[٩١] •

توجد نسخة منه فى مكتبة الاستاذ عباس العزاوي ببغداد ، وهي بخط يد المؤلف كتبت سنة (١٢٣٢ هـ) والنسخة الثانية فى مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي ، استكتبه ابنه احمد شاكر سنة (١٢٧٩ هـ)[٩٢] •

يبدأ الآلوسي بشرح كلمات وعبارات ابن عصام كعادته فى شروحه للكتب ، اعتبارا من البسملة ثم ينقل آراء العلماء فى القضية • فنحن لا نقرأ الصفحات الاولى من الكتاب حتى نرى انفسنا وجها لوجه امام الرضي والزمخشري والبيضاوي والباقلاني والسكاكي[٩٣] •

ينقل الآلوسي قول المتن (وهو الكلام الفصيح) ثم يشرحه بقوله (من الفصاحة وهي فى الاصل تنبى عن الابانة والظهور ، ويقال فصح الاعجمي وأفصح اذا انطلق لسانه ، وخلصت لغته من اللكنة وجادت فلم يلحن ، وأفصح به أي صرح به ••• الخ)[٩٤] • ويشرح احيانا جملة قال : وقوله (كبراعة الاستهلال) من برع الرجل براعة اذا فاق اصحابه فى العلم أو غيره ، والاستهلال من استهل الصبى اذا وقع من بطن امه صارخا ، والمراد بها كون الابتداء مناسبا للمقصود بان يكون فيه اشارة الى ما سبق الكلام لاجله كقول ابي الفرج الساوي :

---

(٩١) حاشية عبدالملك بن عصام ١ ، ٢ •
(٩٢) ذكر ابى الثناء ٨٥ •
(٩٣) حاشية عبدالملك ٣ ـ ٥ •
(٩٤) حاشية عبدالملك ١٥ •

هي الدنيا تقول بملء فيها   حذار حذار من بطشي وفتكي[95]

ويشرح الموضوع من جوانبه العدة كما فعل في شرح لفظة التورية[96] . ولا يكتفي بهذا وحده ، وانما يعترض على المؤلف احيانا ، فعند كلامه على اصول العرب ، وانهم ثلاثة رجال قال (فيه نظر لان علماء الانساب ذكروا ان اصول العرب اثنان)[97] .

وعندما يذكر ابن عصام وجها في الاعراب يتمم الآلوسى الكلام بذكر اوجهه الاخرى ونقل الاختلافات النحوية في المسألة[98] .

ويوضح الآلوسى بعض المصطلحات ، وذلك بشرح معانيها ، وضرب الأمثلة عليها فمثلا في قوله (السببية) يقول (وهى ان يطلق اسم السبب على المسبب نحو رعينا الغيث اى النبات الذى سببه الغيث) وفي قوله (المسببية) يقول (وهي ان يطلق اسم المسبب على السبب نحو أمطرت السماء نباتا ، أي عشباً بكون النبات مسبباً عنه) وكذلك فعل الآلوسي في الفاظ اخرى كالجزئية واللازمية والملزومية وغيرها[99] .

وينقل المؤلف اعتراضات ومختصرات لكلام العلماء ، فيأتي الآلوسي فينقل الاعتراض مفصلا أو ينقل نص كلام ذلك العالم[100] . أو ينقل احيانا تعليلا لقاعدة لا يذكرها ابن عصام كقوله في الحرف (لعدم استقلاله بالمفهومية) فيقدم لنا تعليلات العلماء والمحققين في عدم الاستقلال هذا[1] ولا ينسى الآلوسي ان يعرف بالاعلام ، والبلدان التي ترد في أثناء

---

(٩٥) المصدر السابق ١٦ .
(٩٦) المصدر السابق ١٧ .
(٩٧) المصدر السابق ٢٠ .
(٩٨) المصدر السابق ٢٧ .
(٩٩) المصدر السابق ٤٣ .
(١٠٠) المصدر السابق ٥٠ ـ ٥٣ .
(١) المصدر السابق ٥٥ .

الكلام[2] .

ورأيي في هذا الشرح انه لا يخلو من الطرافة والفائدة ، الا ان طبعه دون المتن الاصلي لا فائدة فيه ، لأن الآلوسي لا ينقل المتن كله ، فكلامه احيانا غامض دون الرجوع الى ما قاله ابن عصام بكامله .

ب ـ البحث والمناظرة :

١ ـ البيان شرح البرهان في اطاعة السلطان :ـ

أصل الكتاب وهو (البرهان) من تأليف الشيخ عبد الوهاب افندي ياسينجي زاده ، كلفه الوزير علي رضا باشا بشرحه .

توجد نسخة من هذا الشرح بخط مؤلفه في مكتبة الاوقاف العامة ، كتبت سنة ١٢٤٩ هـ ، ونسخة ثانية منقولة عنها في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي كتبت سنة ١٣٠١هـ [3] .

يبدأ الآلوسي كتابه بتقديم مدائح طويلة في السلطان محمود الثاني والوزير علي رضا باشا ومؤلف المتن الشيخ عبدالوهاب[4] .

والكتاب من أوله الى آخره يبحث في شرعية وجود الدولة العثمانية ووجوب طاعة سلطانها محمود الثاني على جميع المسلمين ، وذلك بسوق الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة ، والكتاب بعد ذلك رد على الشيعة ، وتفنيد لفكرة المهدى المنتظر ، كما هم يؤمنون بها .

لا يقف الآلوسي عند ظواهر الكلمات التي يشرحها ، وانما يتعمق في مفاهيمها الفلسفية والكلامية والصوفية ، فينقل آراء أهل الحكمة والكلام والصوفية في الفاظ (الحمد والجوهر والعالم والمكان والحلال والحرام

---

(٢) المصدر السابق ٢٨ ـ ٧٧ .
(٣) ذكرى ابى الثناء ٩١ .
(٤) التبيان شرح البرهان ١ ـ ٤ مخطوطة في مكتبة الاوقاف العامة تحت رقم ٥٦١٦ .

والحكم والعقل والخاطر) فهو مثلا يقول (وقال بعض أكابر الصوفية ، نفعنا الله بفتوحاتهم السنية ، العوالم خمسة : عالم الاعيان الثابتة وهو عالم الغيب المطلق وعالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الملك وعالم الانسان) ثم يبدأ بتفصيل هذه المراتب من العوالم[٥] ، وهو يقول مثلا في بيان مدلول كلمة (الاحكام) : وهي جمع حكم وهو في اصطلاح قدماء المنطقيين نسبة أمر الى آخر ايجابا وسلبا ، وفي اصطلاح المتأخرين ادراك وقوع النسبة أولا وعوعها ، وفي اصطلاح الاصوليين خطاب المتعلق بالمكلفين بالاقتصاد أو التخيير[٦] .

ويشرح الآلوسي كذلك المدلولات اللغوية ، ويبدي آراءه فيها . يقول في كلمة السياسة (وسبب هذه الكلمة ان جنكيز خان (ت ٦٢٤ هـ) ملك المغل كان قد قسم ممالكه بين اولاده الثلاثة وجعلها ثلاثة أقسام ، واوصاهم بوصايا لم يخرج الترك عنها الى يومنا هذا مع كثرتهم واختلاف اديانهم فصاروا يقولون (سه يسا) يعني التراتيب الثلاثة التي رتبها جنكيز خان ، فثقل ذلك بين العامة ، فعربوها على عادة تحاريفهم فقالوا (سياسة) ثم قال (وأقول لا يبعد أن يكون اصله العربي سيساء وهي كلمة عربية قال في القاموس يقال حمله على سيساء الحق اي على حده ، ثم وقع التحريف فقيل سياسة . وأرادوا بها ما اقرر من الحدود والقوانين وسائر الاحكام)[٧] .

ويدخل الآلوسي في مناقشات ساخرة مع الشيعة في قولهم بظهور المهدي المنتظر[٨] فيقول (يعتقدون امامته ، ويحققون غيبته ، ويقولون ان

---

(٥) المصدر السابق ١٠ .

(٦) المصدر السابق ٢٧ .

(٧) التبيان شرح البرهان ٣١ .

(٨) هو فيما يقولون محمد بن الحسن العسكري ، آخر الائمة الاثنى عشر عند الامامية . اختفى كما يقولون في سرداب في دار ابيه بسامراء ، والشيعة ينتظرون خروجه ، وينكر بعض المؤرخين ولادته اصلا اختفى كما يقولون سنة ٢٧٥هـ . انظر قاموس الاعلام ٣٠٩/٦ .

نصب الامام لطف واجب على الله ، فأى لطف فى النصب مــع الاختفاء ، واى نفع فى الامامة مع الخوف من الاعداء • على انه لم ينقل أحـــد من المؤرخين ان ولداً للحسن العسكرى ادعى الامامة ، وطلب الزعامة ، وانتهض للخلاف ، وان أحداً من خلفاء وقته هدده وأخافه ، سلمنا لكن نقـول ان الاختفاء لو كان من خوف القتل فهذا لا يتصور لأن الائمة بزعم الشيعة يموتون باختبارهم كما أثبته شيخ اسلامهم الكليني (ت ٣٢٩ هـ) بروايات كثيرة ، وعقد له بابا مفرداً ، وان كان من خوف الايذاء البدني يلزم انه فرّ من عبادة المجاهدة والصبر اللذين فيهما غاية الأجر ، على ان الذين يخافهم ان كانوا قد انقرضوا أجمعين من مئات السنين ، وقد شاع التشيع فى كثير من البلاد ، وتسلطن الجم الغفير من شيعته على العباد ، فهـلا حدثته نفسه بالظهور فى دار المؤمنين (قم) أو مدينة الايمان (كاشان) • ولا نراه يخطر له ببال ، ولا يمر له بخيال ، بل يزداد كل يوم ستراً واختفاءاً ، وهجـراً لشيعته وجفاءاً)[٩] •

ويعقد الآلوسي فصلا عن الفقه السياسى فى قضية الامامة من وجهـة نظر أهل السنة والجماعة ، ومن وجهة نظر الشيعة ايضا ، فيحاجج الشيعة فيقول (وايضا لو كان اللطف واجبا على الله ، لم يفوض الامامة الى جماعة لم يكونوا قادرين على اظهار الامور الشرعية بل مضت اوقاتهم على الاختفاء والتقية)[١٠] •

أما الاحاديث التي رواها صاحب المتن فى وجوب طاعة الامام ، وعـدم الخروج عليه ما أقام الصلاة وأدى الى الفتنة • فان الآلوسي شرحها شرحا وافيا وقدم تراجم مختصرة عن رواتها[١١] • وخاصة الصحابة ونقل جرح رجال الحديث لبعض رواتها •

---

(٩) التبيان شرح البرهان ٣٨ • (قم و كاشان) مدينتان فى ايران •
(١٠) المصدر السابق ٤٧ •
(١١) المصدر السابق ٤٩ ـ ٦٩ •

وبعد أن ختم الآلوسي شرح البرهان ، ساق مائة حديث فى فضل الجهادوالرباط •وأورد قصصا شيقة مؤثرة تبين ما آل اليه أمر بعض المجاهدين الابرار الذين اخلصوا مع الله ، فباعوا أنفسهم فى سبيل اعلاء كلمته •

ولا أريد أن أترك الكلام عن هذا الكتاب قبل أن أشير الى مسألة أثيرت حوله من قبل بعض الباحثين ، فهو يقول (لذلك كان اصحاب الآراء يضطرون للمحاورة والتقية ، ومجاراة الولاة الذين لا يرعون الا ولا ذمة ، وبذلك يأمنون على انفسهم من بطشهم ، حتى ان ابا الثناء الآلوسى لم يجد ما يدفع عنه غائلة الاضطهاد واعادة حقوقه المهضومة الا بتأليف كتاب كان يعتقد ببطلانه ، ألا وهو شرح البرهان فى اطاعة السلطان(١٢) •

هذا الكلام لا يظهر بين اسطره مخايل التحقيق العلمي لما يأتي :

١ ـ لقد قدمنا صورة واضحة عن حياة الآلوسي وانتهينا الى أن الرجل كن جريئا فى حدود ، وكان عزيز النفس ، أوذي واضطهد وسجن ، فكيف يتصور أن يؤلف كتابا يعتقد ببطلانه ـ كما زعم الكاتب ـ فيبيع دينه بدنياه ، وهو العالم العامل المؤمن الذى لم يكن حريصا على المناصب والمغانم •

٢ ـ ان الآلوسى لم يؤلف هذا الكتاب ابان اضطهاده آملا أن تعاد له حقوقه المهضومة وانما الف هذا الشرح بعد اعادة حقوقه وتعيينه مفتيا فى بغداد ـ كما مرّ بنا سابقا ـ فقول الكاتب يدل على عدم اطلاعه على حياة الآلوسى •

٣ ـ لا يظهر فيما كتبه الكاتب انه على علم بما كان يدبره اعداء المسلمين • يقول الدكتور علي حسن الخربوطلي (وفى منتصف القرن التاسع عشر تعرض العالم العربي والاسلامي للاطماع الاوربية ، فقد فتح

---

(١٢) يوسف عزالدين (الدكتور) الشعر العراقى أهدافه وخصائصه •

الفرنسيون الجزائر سنة (١٨٣٠ م) واستولت الروسيا على القوقاز ، وسيطرت انجلترا على الهند ، وهولندة على اندنوسيا ، وخاف المسلمون أن يسيطر الاوربيون على العالم الاسلامي جميعه ، ولذا فكر المسلمون فى جمع كلمتهم للوقوف امام التيار الاوربي(١٣) .

وكانت الدولة العثمانية هي الكيان السياسى والعسكرى الذى كان يقف امام هذا التيار ، فكان لابد للعلماء والمفكرين من أن يناصروا الدولة ـ وقد فعلوا ـ ويقوّوا الصلة بينها وبين الرعية .

ثم ان الصراع الطائفي ، دفع علماء السنة فى العراق ان يبذلوا المستحيل فى سبيل مناصرة الدولة العثمانية السنية الحنفية .

ان الكاتب المذكور لم يقم اى حساب للصراع العقائدى والطائفي فى تحديد افكار العلماء فى ذلك العصر .

نعم ان الآلوسى ينقد كثيرا من الاوضاع السيئة فى البلاد الاسلامية ، وينبه الى عديد من النواقص فى جسم الدولة بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، ولكن هذا شيء والايمان بأصل الدولة ومناصرتها للتغلب على اعدائها شيء آخر .

لقد هيأت لي هذه الدراسة أن أطلع على كل ما كتبه الآلوسى تقريبا ، فتيقن عندى انه ناصر الدولة العثمانية عن عقيدة راسخة ، لأن الواجب الاسلامي فى ذلك العصر المفعم بالاخطار والمؤامرات على الاسلام والمسلمين ، كان يفرض عليه وعلى أمثاله ذلك ، وكان الآلوسى من أوائل المنبهين الى هذا الخطر ، فلقد حذر المسؤولين والناس من خطر الروسيا (المسقوف) التي كانت تشكل فى ذلك الوقت خطرا عظيما على الاسلام والمسلمين(١٤) .

---

(١٣) غروب الخلافة الاسلامية ١٨٦ .
(١٤) غرائب الاغتراب ١٤٣ .

يقول الآلوسى (نسأل الله تعالى ان يطفىء نار اولئك الطغام ويؤجج عزوجل بلطفه نور المسلمين والاسلام ، ولا يخرجنا الى الاستعانة بأعداء الدين يريدون أن يصطادوا بشباك الاعانة بعض بلاد المسلمين وأنا أخوف ما أخاف من مكر الاعداء من جهة العراق) •

ان من الخطأ فى البحث العلمي استخلاص الاحكام من عناوين الكتب ، فطريق الباحث هو الدراسة الكاملة لما فى تلك الكتب ، ثم مراعاة الظروف والاحوال المحيطة بما كتب حسب الزمان والمكان •

٢ ـ الأجوبة العراقية على الاسئلة اللاهورية :

أجب الآلوسى فى هذا الكتاب عن سؤال ورد من لاهور حول جماعة ظهروا فى بلاد الهند ، كانوا يزعمون انهم من أهل السنة ، فيسبون الصحابة رضى الله تعالى عنهم خصوصا من خاض لجة الفتنة كمعاوية بن ابى سفيان ومن وافقه ، فحوله الوزير علي باشا الى الآلوسى ، وكان قد أجابه عليه علماء آخرون[١٥] •

توجد نسخة من هذا الكتاب بخط المؤلف فى مكتبة المرحوم هاشم الآلوسى كتبت سنة ١٢٥٤ هـ ورأيت نسخة خطية فى مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ضمن مجموعة خطية اهديت اليها من قبل بيت (الانكرلى) •

وقد رتب الآلوسى كتابه هذا على مقدمة وخاتمة وثلاثة فصول •

بدأ الكتاب بتعريف (الصحابي) لغة ، ثم نقل آراء العلماء الثقات ، والمحدثين فى اخراج اناس معينين من مفهوم الصحبة ، كالاعراب الذين رأوا النبي والمنافقين فى المدينة والاطفال • والمقصود بالصحبة من لازمه بالايمان ، ومات مؤمنا • وعلى ذلك فقد ادخل العلماء الذين ارتدوا ثم عادوا واخلصوا فى زمرة الصحابة ، فلم تخرجهم الردة كأشعث بن قيس (ت ٤٠ هـ) الذى ارتد ثم رجع ، فزوجه الصديق اخته ، ولم يختلف أحد من المحدثين فى

عده من الصحابة[١٦] .

أما فى الفصل الاول ، فلقد بين الآلوسي أن الصحابة عدول ، لان الله عدلهم، وأعد لهم الجنة، ولان حياتهم وسيرتهم تدل على ذلك، فهم الذين نقلوا الينا الكتاب والسنة ، فالطعن فيهم طعن فى الدين وزندقة[١٧] . ثم أورد رأي الشيعة فى الحكم على الصحابة بالارتداد الا أربعة أو ستة ، فردهم مختصرا ، وحول القارىء الى تفسيره فى بعض الموضوعات ، كموضوع رده حجية حديث الغدير على امامة علي بن أبي طالب[١٨] .

ثم أورد اقوالا للامام علي وبعض أئمة الشيعة من المصادر المعتمدة عند الشيعة ، كلها تعظيم وتبجيل لابى بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، ثم انتقل الى ذكر بعض الاحاديث المروية التي ينص ظاهرها على ان الصحابة سيبتدعون امورا من بعده ، فوجهها وبين المقصود منها ، ثم انتقل الى القرآن الكريم فذكر الآيات التي تدل على ايمانهم ، وطهارة ثوبهم[١٩] . ثم أفرد بقية صفحات هذا الفصل لرد شبهات الشيعة حول بعض تصرفات الصحابة كفرارهم من الزحف يوم أحد وحنين ، وتركهم رسول الله قائما يوم ورود العير من الشام يوم الجمعة ، وعدم استجابتهم لما طلبه منهم الرسول صلى الله عليه وسلم حين وفاته من احضار دواة وورقة[٢٠] .

أما الفصل الثاني فقد أفرده للفتنة التي وقعت بين علي وبين عائشة والزبير بن العوام وطلحة بن ابى عبيد الله ، ثم اثبت ان هؤلاء عادوا الى بيعة

---

(١٥) الاجوبة العراقية على الاسئلة اللاهورية ٤ ، ٥ .
(١٦) المصدر السابق ٦-٩ .
(١٧) المصدر السابق ١٠ ، ١١ .
(١٨) المصدر السابق ١٤-١٧ .
(١٩) الاجوبة العراقية على الاسئلة اللاهورية ٢١ - ٢٥ .
(٢٠) المصدر السابق ٢٦-٣١ .

علي[٢١] ، ثم انه ذكر وقعة صفين وما دار فيها من حرب وتحكيم وأورد أقوال العلماء في بقاء هؤلاء على الاسلام ، ورد القول بكفرهم ، ثم ذكر حوادث تاريخية معينة تظهر ان معاوية ندم على ما فعل في حق علي ، وكان يذكره بخير ، وما نقلهالمؤرخون من أقوال لمعاوية في علي لا صحة له في نظر الآلوسي ، لان المؤرخين ينقلون ما خبث وطاب ، ولا يميزون بين الصحيح والموضوع والضعيف ، وأكثرهم حاطب ليل ، ويمكن ان يعتبر هذا ملخص رأي الآلوسي في المؤرخين[٢٢] .

أما في الفصل الثالث فبين سب الصحابة وشتمهم واختلاف العلماء في ذلك وفي اللعن ، ثم رد على الشيعة بالقرآن والسنة وأقوال العلماء في عدم جواز سبّ الصحابة وذكر آراء العلماء والفقهاء في تفسيق أو تكفير من سبهم ووجوب قتله ، وذكر اجماع الطرق الصوفية على محبة الصحابة الكرام[٢٣] . ثم خص بالذكر معاوية وعمرو بن العاص وذكر أقوالا كثيرة في صحبتهما للنبي صلى الله عليه وسلم وفضائلهما[٢٤] .

وفي خاتمة الكتاب ذكر مراتب الصحابة وأفضلية بعضهم على بعض ، واقوال العلماء في ذلك .

ويمتاز هذا الكتاب بالتركيز ، وعدم الاستطراد ، كما يمتاز باسلوبه العلمي الرائع بحيث لا تجد لعاطفة الآلوسي مكانا ، وانما لجأ في المناقشات والردود وتقرير الحقائق والآراء الى الحجج المنطقية ، والواقع التاريخي والاستشهاد بالكتاب والسنة . وفي رأيي أن هذا الكتاب على صغره من

---

(٢١) المصدر السابق ٣١ـ٣٧ .
(٢٢) المصدر السابق ٣٨ـ٤٤ .
(٢٣) المصدر السابق ٤٥ـ٥٠ .
(٢٤) المصدر السابق ٥٢ .

أجل الكتب ، ومن الضرورة طبعه وتوزيعه ، لان فيه توجيها قيما للناس ، وتصحيحا لكثير من الاخطاء المنتشرة بين العوام وخاصة في العراق في أيامنا هـذه .

٣ ـ سُفرة الزاد لسفرة الجهاد :

ألف الآلوسي هذا الكتاب أيام السلطان عبدالمجيد خان ، سنة **١٢٧٠ هـ** عندما حشدت الدولة (المسقوفية) الروسية قواتها للهجوم على الـدولة العثمانية ، فثارت الحمية الاسلامية بين الناس فهبوا يلبون نداء السـلطان للجهـاد(٢٥) .

توجد نسخة منه بخط المؤلف في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي كتبت سنة **١٢٧٠ هـ** . وقد طبع في مطبعة دار السلام ببغداد سنة **١٣٣٣ هـ** . يقول الآلوسي (فلما رأيت من الناس على الجهاد فرط التهالك ، وحققت أن قد سعوا اليه من أقصى الممالك ، تاقت نفسي ، واشتاقت الانسلاك في سلك أبناء جنسي . وثارت غيرتي الهاشمية ، وحمت حميتي الاسلامية .... ونوديت أن من الجهاد أن تؤلف فيه رسالة ، تذكر فيها فضله ومآله ، وتعظ فيها مسلمي البشر ، وتستنهض القاعدين عن الجهاد غير اولي الضرر(٢٦) .

يبين الآلوسي في مقدمة رسالته هذه المعنى اللغوي للجهاد ، ثم استشهد بآراء طائفة من العلماء ، ثم بحث فيما اذا كان هذا يشمل جهاد الانبياء الذين الذين سبقوا الاسلام أم لا ؟ وفيمـا اذا كانت معـاونة المسلم بالمال والرأي تعتبر جهادا أم لا ؟ وظاهر رأيه انه يعتبره جهدا أو نوعا منـه لاحـاديث يسوقها في توضيح المعنى ، ثم انتقل الى الحديث عن الجهاد أيام الرسـول

---

(٢٥) سفرة الزاد ٣ .
(٢٦) المصدر السابق ٤ .

صلى الله عليه وسلم[٢٧] •

انشأ الآلوسي بعد ذلك بحثا فقهيا حول الجهاد أهو فرض كفاية أم فرض عين ، وذكر أدلة كلتا الوجهتين • وهل تختلف الكفاية والعينية حسب الظروف كما ذهب اليه بعض العلماء ام لا ؟ ومتى يجب القتال ؟ وينتهي الآلوسي بعد هذا العرض الى ان الجهاد فى زمانه فرض عين على المسلمين ، وبرر قوله بقوله (حيث ان الكفرة علينا صالوا ، وفى ظلال الضلال والعدوان قالوا ، ودخلوا دار الاسلام ، وخرجوا عن عهدهم مع الامام)[٢٨] •

واختتم المقدمة ببحث موجز عن الناحية المالية فى تجهيز الجيش ومشروعية الاستعانة بالكافر فى القتال ، ويرى الآلوسي ان يكون هذا الكافر مخالفا فى المعتقد للعدو الكفر •

أما فى فصل (المقصد) فلقد ساق عشرات الاحاديث الصحيحة الموثوق بها فى فضل المجاهد فى سبيل الله والمرابط فى سبيل الله والشهيد فى سبيل الله • والذى يجلب النظر ان الآلوسي بدأ فى هذا الفصل باسلوب علمي ، ثم انتقل الى اسلوب خطاب المسلمين وحثهم على الجهاد ؛ ثم رجع الى الاسلوب العلمي مرة اخرى ، ثم لجأ الى الاسلوب الخطابي الادبي المؤثر •

وأما فى فصل (المتممة) فقد ذكر الآلوسي بعض السنن والامور المتعلقة بالجهاد ، فقسم الفصل الى فوائد ، ففى الفائدة الاولى ذكر يوم الخروج وتعيين الامير ، ومواعيد القتال ، ونقل طرفا من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ميدان القتال ، وفى الفائدة الثانية بحث عن مشروعية قتال القرابة بعضهم لبعض فيما اذا كان جمع منهم مشركا والآخر كافرا وفى

---

(٢٧) المصدر السابق ٤ـ٦ •

(٢٨) المصدر السابق ١٠ـ١١ •

الفائدة الثالثة نقل آراء المذاهب حول قتل الاطفال والنساء والشيوخ والرهبان والملوك من الاطفال والنساء وهم بين مانع وجائز ، وتطرق الى منع المثلة بالقتلى ، ثم انتقل الى حكم الفارين من الجهاد متى يجوز ومتى لا يجوز ؟ ونقل آراء أهل المذاهب فى ذلك • وفى الفائدة الرابعة عالج الآلوسي حكم استصحاب القرآن الكريم وكتب الحديث والفقه ، وحكم المبارزة والمحاصرة عند الحاجة • وفى الفائدة الخامسة عالج حكم الموادعة وشروطها ووقتها ونقل بعض الحوادث التاريخية التي توضح المسألة • وفى الفائدة السادسة دعا الجند الى التوكل على الله بعد تهيئة الاسباب ، وتقوية الاتصال بالله سبحانه وتعالى ، وكتب لهم طائفة من أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم وقت القتال •

وفى رأيي أن هذا الكتاب كتاب جليل فى بابه ، يبين فيه المؤلف كل ما يحتاج اليه المجاهد المسلم من علم بالجهاد ، ومعرفة بكل ما يتعلق به • واسلوبه يتسم بالموضوعية ، وان كنا نلاحظ ظهور الاساليب الخطابية عليه أحيانا •

٤ ـ الاجوبة العراقية للاسئلة الايرانية :ـ

هذا الكتاب جواب على ثلاثين سؤالا وردت من ايران الى علماء بغداد، فعرضها المشير الوزير على رضا باشا على العلماء الذين كانوا يترددون على مجلسه ، ولكنه لم يصل الى غرضه المنشود ، فأعطاها الى المفتي الآلوسي ، فأجاب عنها[٢٩] •

توجد نسخة من هذا الكتاب بخط المؤلف فى مكتبة المرحوم هاشم

---

(٢٩) الاجوبة العراقية للاسئلة الايرانية ١ ، ٢ مخطوطة الاوقاف العامة تحت رقم ٥٣٤٥ •

الآلوسي كتبت سنة ١٢٧٠ هـ ونسخة ثانية فى مكتبة الاوقاف العامة تحت رقم (٥٣٤٥) وطبعت على هامش كتاب (خواتم الحكم) فى مصر سنة ١٣١٤ هـ • وطبعت ايضا فى مطبعة مكتب الصنائع فى الاستانة سنة ١٣١٧ هـ •

والاسئلة هذه فى فنون عدة فالسؤال الاول فى التصوف ، والثاني والثالث والسادس والسابع والتاسع والعاشر والحادي عشر فى الموضوعات الكلامية والمنطقية والفلسفية ، والسؤال الرابع والخامس فى الفلك ، والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والتاسع عشر والثلاثون فى المسائل اللغوية والنحوية والبلاغية ، والخامس عشر والسادس عشر فى علوم القرآن والسابع عشر والثامن عشر فى تاريخ الرجال ، والعشرون والثاني والعشرون والثالث والعشرون والرابع والعشرون والخامس والعشرون والسادس والعشرون والسابع والعشرون والثامن والعشرون والتاسع والعشرون فى مختلف المذاهب الفقهية وخاصة فى الشافعية والحنفية • ويمتاز هذا الكتاب بمايلي :

١ ـ ان اسلوب الآلوسي فى أجوبته جميعها اسلوب علمي بحت ، فلم ينجرف مع أية نزوة عاطفية •

٢ ـ يعتمد اعتمادا اساسيا على الكتب والرسائل التي تبحث فى موضوع الجواب ، ويدل عليها فى كتابه[٣٠] •

٣ ـ يعتمد فى تقريره الحقائق على الظروف والقواعد التي قيدت أصحابها فهو مثلا يستنكر على بعض من حمل كلام الشيخ ابن عربي على غير محمله ، لانه يخالف قواعد الشيخ فى التفكير والبحث ، أي ان الآلوسي يريد معالجة موضوعاته ضمن نطاق مصطلحاتها[٣١] وهذه قاعدة علمية

---

(٣٠) الاجوبة العراقية للاسئلة الايرانية ٣ـ١٠ ، ١٤ •
(٣١) المصدر السابق ١٠ ، ١١ ، ١٩ •

دقيقة تعصم الباحث من أخطاء جسيمة •

٤ ـ يذكر الآلوسي آراء المخالفين لمن بحثوا فى موضوع الجواب ، فيعطي المجال للقارىء كي يقارن ويرجح[٣٢] • وهذه الطريقة فى الوصول الى الحقيقة من خصائص الاسلوب العلمي الذى سبق اليه علماؤنا الافاضل •

٥ ـ عندما يبحث الآلوسي فى مسائل هندسية أو فلكية ، يتبع أقواله باشكال ورسومات هندسية أو فلكية •

٦ ـ الآلوسي شخصية قوية فى كتابه ، فهو يناقش ويقارن ، ويرد ويبدي رأيه فى آراء أهل الكلام والفلسفة ، ويرميهم بالعدول عن ظواهر الكتاب والسنة[٣٣] •

٧ ـ يمتاز هذا الكتاب بردوده العلمية على اعتراضات الشيعة فى بعض مسائل التاريخ وتاريخ الرجال •

والحق ان هذا الكتاب هو الكتاب الثاني للآلوسي من حيث القيمة العلمية بعد تفسيره (روح المعاني) وفى رأيي أنه لو لم يكن للآلوسي الا هذا الكتاب ، لكان قمينا ان يضع اسمه مع اسماء كبار علماء الاسلام فى التاريخ ، لان كتابه هذا غزير المادة ، قوي الاسلوب ، ثابت الحجة • ولاجل ذلك استقبلته الاوساط العلمية والادبية استقبالا منقطع النظير ، حتى وصل الخبر الى السلطان فى اسطنبول فسماه بـ (جامعة الفنون) وقال (الحمد لله الذي جعل فى أيام دولتي مثل هـذا العالم ، وجدد به فى هذا العصر المعـابد والمعالم)[٣٤] ومدحه الشعراء والادباء، فمنهقصيدة للشاعر عبدالباقيالعمري يقول فيها :ـ

---

(٣٢) المصدر السابق ٤٢ـ٥٠ •
(٣٣) المصدر السابق ٨٥ ، ١١٩ •
(٣٤) حديقة الورود ٩٧/١ •

ان السؤال والجـــواب مثلمـــا قد قيـــل فى التمثيل انثى وذكر
وهـــذه اسئلـــة عويصـــة عن حلهـــا كلت أنامل الفكـــر
ابكارهـــا ليس لهـــا مـن ثاقب سوى شهاب الدين محمود الاثر
عـلامـة الدنيـــا مع العليـــا له كم طاب فى محلولك الليل سمر
فحـــل يراعـــه لـــه شقشقة يروّع الرعد بهـــا اذا هـــدر
به تبـــاهت المعـــالى مثـلمـا بجده تفاخـــرت علـــيا مضـــر
فيالها مســـائل منهـــا انبـرت وسائل بـرهانهـا لنـــا ظهـــر
اماط عنهـا ببنـــان حـــدسـه مرطا فلاحت من جباههـــا غـــرر
بحر علوم ما لها مـــن ســـاحل قد غشى الدنيـا واهليهـا غمـــر
آمنـــت باللـــه وايقنـــت بمـــن فى فضله من شك باللـــه كفـــر
لازال فى حل العويصـــات لـــه انامل من كفهـــا البحر زخر(٣٥)

وقال الشاعر عبد الغفار الاخرس من ارجوزة طويلة :ـ

الهمـــه الله علـــوما بعضهـــا لو نشرت سد بهـا رحب الفضـــا
فكم أبان مـــن خفـــايا علمـــه حتى الذى عنا خفا فيـــه خفـــا
فأفحم الجـاهـل فـــى عبـارة اوضح فيها ما انطوى ومـا انشرى
والقم الجاحد منهـم حجـــرا فبان فعل السيفَ منا والعصا(٣٦)

٥ ـ **النفحات القدسية فى الرد عل الامامية** :ـ هذا الكتاب رد علـى الشيعة فى عقائدهم المخالفة لعقائد اهل السنة والجماعة ، أراد به الآلوسي أن يكون كتابا مستقلا فى هذا المجـــال ، ولكن الظـــروف لم تسمح له بأكماله .

(٣٥) الترياق الفاروقى ٣٥٠ .
(٣٦) الطراز الانفس ٣١ .

توجد نسخة من هذا الكتاب فى مكتبة المرحوم هاشم الآلوسى كتبت سنة ١٢٩٢هـ وهو بخط السيد احمد شاكر ابن المؤلف •

والكتاب بابان ، الباب الأول منه مقسم الى فصول وأما الباب الثاني ، فقد كتب منه شيئاً ولم يكمله •

بدأ الآلوسى فى الفصل الأول بالبحث فى قضية الامامة ، ورد الشيعة فى قولهم أن الله عين الامام ، وصرح الآلوسى أن هذه الفكرة مخالفة لطبع الانسان (ففى تعيين رجل لتمام العالم فى جميع الازمنة الى منتهى بقاء الدنيا ايجاب لتهييج الفتن وجر لأمر الامامة الى التعطيل ودوام الخوف ، والتزام الاختفاء كما وقع للجماعة الذين تعتقد الشيعة فى امامتهم[٣٧] • ثم يسوق الادلة العقلية على بطلان الاختفاء ، ويعتقد ان ذلك مخالف للكتاب والسنة ، والسنن الالهية فى المجتمع الانسانى ، ومناف لحكمة وجود الامام على الناس ، ويصرّح الآلوسى أن افكار الشيعة فى دعواهم افتراضية ، لاتستند لا على دليل نقلى ولا عقلي ، وان قياس اختفاء المهدى باختفاء الرسول فى الغار مخالف لابسط قواعد المقارنة المنطقية[٣٨] •

ويعقد الآلوسى فصلا فى انكار عصمة الامام ، ويقول ان شرط الامامة العدالة لا العصمة ، ثم يأتي بأدلة كثيرة من القرآن الكريم فى رفض هذه الفكرة[٣٩] • وينكر أن يكون امامة علي وجوبيا بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، يستند على بعض الادلة التاريخية[٤٠] ويعالج الآلوسى قضية لعن مخالفيهم ويبطلها ايضا[٤١] ويفند مزاعمهم فى ان مخالفة الامام كفر ،

---

(٣٧) النفحات القدسية ٣ مخطوطة مكتبة المرحوم هاشم الألوسي •
(٣٨) المصدر السابق ٣-٦ •
(٣٩) النفحات القدسية ٦ •
(٤٠) المصدر السابق ٧ •
(٤١) المصدر السابق ٨ ، ٩ •

واطاعته ايمان . ويعتمد فى ذلك على مسائل تاريخية وكتاب نهج البلاغة المعتبر عندهم[٤٢] ويناقشهم كذلك فى قولهم فى اغتصاب الامامة ، ويردهم بالأدلة العقلية والنقلية[٤٣] . ثم يأتى بادلة الشيعة فى نصب علي اماما ، ويفندها معتمدا على القواعد الاصولية والمنطقية ، مستشهدا بالآيات والاحاديث ، منبها على أن الآيات والاحاديث التى يعتمد عليها الشيعة فى هذا المجال غير دالة عليها ، لان النصوص عامة ، فلا تحمل الالفاظ على الخصوص . ولا ينسى الآلوسى رد بعض الاحاديث الموضوعة والمنكرة التى يستشهدون بها ، والتى تكلم عنها كبار الحفاظ من المحدثين وفندوها . ثم ان الآلوسى يهتم فى ردوده بالاعتبارات اللغوية فى التوصية والتأويل[٤٤] .

ويرد قول الشيعة فى ان الموافق والمخالف لم يرويا ما يطعن بالأمير ، ويورد مطاعن الناصبة على علي حتى يستدل بها على كذب هذا الرأى ، ثم رد هؤلاء الناصبة فى مطاعنهم ردا مفحما ، واعتبر الامير مجتهدا فى المسائل التى اعترضوا بها عليه[٤٥] .

ثم يعقد فصلا ثانيا حول عدم الرجعة بعد الموت فى الدنيا وفصلا ثالثا حول قول الشيعة (انه لا يدخل الجنة الا محبوه ولا يدخل النار الا مبغضوه) .

أما فى الباب الثانى ، فقد رد مطاعن اهل الاهواء للصحابة الكرام وخاصة التى وجهت للصديق[٤٦] ، ولم يستمر بعد هذا فى تتمة الكتاب .

---

(٤٢) المصدر السابق ١١ـ١٤ .
(٤٣) المصدر السابق ١٦ـ١٧ .
(٤٤) المصدر السابق ١٧ـ٣٥ .
(٤٥) المصدر السابق ٣٧ـ٤١ .
(٤٦) المصدر السابق ٤٢ـ٤٣ .

قال ابنه (الى هنا وقف قلم الوالد ، لازال فى رياض الجنان خالد ، فاشتغل بما هو اهم من تفسير كلام الله عزوجل ، ثم لم يتفرغ له لأمور اشغلته) •

ويظهر الآلوسى فى هذا الكتاب حقا بمظهر المجادل الممتاز الذى يبدى براعة فائقة فى الردود والزام الخصم •

٦ ـ نهج السلامة الى مباحث الامامة :ـ

وهو آخر مؤلفاته ، وتوفى ولم يكمله • توجد نسخة منه فى مكتبة المرحوم هاشم الآلوسى كتبت سنة ١٢٧٨هـ • ونسخة ثانية فى مكتبة الاوقاف العامة كتبت سنة ١٣١٤هـ •

اعتمد الآلوسى فى كتابه هذا على التحفة الاثنى عشرية من تأليف علامة الهندشاه عبدالعزيز غلام الدهلوى (ت ١٢٣٩هـ) المنقول من الفارسية الى العربية سنة ١٢٢٧هـ قسم الآلوسى الكتاب الى مقدمة ومقصد وخاتمة ، أما فى المقدمة فقد ذكر معنى الامامية وفرقها الأربعة :

أ ـ المخلصة : الذين كانوا مع علي من المهاجرين والانصار ، ولم يقدحوا فى الصحابة الكرام •

ب ـ التفضيلية : الذين يفضلون الامام علي دون سب الصحابة الكرام.

جـ ـ السبية : الذين يسبون الصحابة الكرام الا قليلا منهم •

د ـ الغلاة وهم القائلون بالوهية علي وينقسمون الى اربع وعشرين فرقة • أما الامامية فقد انقسموا الى تسع وثلاثين فرقة •

ويعتبر الآلوسى الاثنى عشرية اهون الفرق الامامية ، ويقول انهم متطفلون فى الاعتقاديات على المعتزلة[٤٧] •

---

(٤٧) نهج السلامة ـ المقدمة مخطوط الاوقاف العامة تحت رقم ٤/٦٧٨ ب •

ومن المهم فى هذا الكتاب أن الآلوسى أدرج فيه الفرق الجديدة التى فى زمانه وتفرعت من الاثنى عشرية ، وخرجت على الاسلام نهائيا وهى الشيخية والرشتية والبابية والقرتية[٤٨] ، وتنبأ الآلوسى بظهور فرق اخرى تتفرع من الأمامية .

أما المبحث الثانى فى المقدمة ففى حكم اهل القبلة ، من حيث تكفير من خالف منهم اهل السنة والجماعة ، وقد نقل آراء العلماء وهى عدم تكفير اهل القبلة ، ثم نقل اختلاف العلماء فى بيان منكر الاجماع[٤٩] . ورأى الآلوسي انه ينبغي أن لا تكفر فرقة من الفرق التي تخالف ما أتت عليه الا بعد الاطلاع على عقائدهم ، والوقوف على افكارهم مما علم ضرورة[٥٠] ثم يبين أدلة مكفرى الاثنى عشرية والذين لم يكفروهم ، وهو مع الفريق الثانى مع قوله بان الكفر منهم قريب جدا ، لعظم ما قالوه من تفضيل علي على الانبياء والملائكة ، وسبهم للصحابة[٥١] .

---

(٤٨) **الشيخية** : وهم اتباع احمد الاحسائى (ت ١٢٤٢ هـ) وكان مجددا للافكار الباطنية ، خارجا على الشيعة الامامية فى كثير من تعاليمه (انظر : الحسنى (عبدالرزاق) البابيون والبهائيون ١٠) .

الرشتية : وهم اتباع السيد كاظم الرشتى (ت ١٢٥٩ هـ) وهو تلميذ احمد الاحسائى ، ولكنه لم ير رأي شيخه فى مسائل كثيرة ، وانفرد بآراء وأفكار تختلف عن آرائه اختلافا جوهريا (المصدر السابق ١٠) .

البابية : وهم اتباع الميرزا على محمد الشيرازي الذى أعدم فى ايران سنة ١٢٦٥ هـ وهو تلميذ السيد كاظم الرشتى ، والذى ادعى انه نسخ الدين الاسلامى بكتابه المسمى و (البيان) المصدر السابق ١١ .

القرتية : نسبة الى امرأة آمنت بالميرزا محمدعلى وسميت بقرة العين (المصدر السابق ٢٠) .

(٤٩) نهج السلامة ٢٢ـ٢٧ .

(٥٠) المصدر السابق ٢٨ .

(٥١) المصدر السابق ٢٩ـ٣٢ .

أما المقصد ففى بابه الاول عالج معنى الامامة واقسامها ، فتكلم على وجوب نصب الامام ومعنى الوجوب وعدد المبايعين وشروط الامام وعدم نصب امامين فى وقت واحد ، وطاعة من ثبتت امامته وعزل الامام ومعنى الخلافة وعلى من يطلق[٥٢] .

ومن المؤسف ان الآلوسى لم يتم هذا الكتاب ، فلقد كتب سطرين من الباب الثانى نص على انه سيناقش فيه خلاف الشيعة لمسألة الامامة ، ونصب الامام واعتبر هذا البحث اهم بحث فى الكتاب ، فتوفى رحمه الله تعالى[٥٣] .

وفى رأيى انه من الممكن تكملة هذا الكتاب ، وذلك بأُخذ الموضوعات المركزه التى كتبها فى هذا الموضوع بالذات فى تفسيره واضافتها اليه ، وبهذا يكون كتابا مستقلا كما كان يريده الآلوسى .

ويمتاز هذا الكتاب الناقص بعدم تعصب الآلوسى واتباعه الحق دائما . والدليل على ذلك تبرئته للاثنى عشرية من الطعن فى عائشة ام المؤمنين[٥٤]. كما أن شخصيته واضحة وقوية فى اختيار الافكار[٥٥] .

---

(٥٢) نهج السلامة ٣٣ـ٤٤ .
(٥٣) المصدر السابق ٤٦ـ٤٧ .
(٥٤) المصدر السابق ٣٠ .
(٥٥) المصدر السابق ٣٩ـ ٤٢ .

ج ـ التراجم :

ليس للآلوسى فى التراجم الا كتاب واحد فى ترجمة شيخ الاسلام ، ولقد كان فى نيته أن يؤلف كتابا مفصلا عن مشايخه واساتذته[1] ، وكتابا آخر فى ترجمة رجال العراق من اهل القرن الثالث عشر كما يصرّح بذلك فى كتابه الى شيخ الاسلام السيد عارف حكمت[2] . على اننا لو جمعنا من كتبه التراجم المختصرة والمطولة لأساتذته وشيوخه ، والعلماء والوزراء والقواد الذين التقى بهم فى زمانه لكان حريا بأن يكون كتابا يفيد أهل التاريخ والباحثين عن تراجم الرجال .

شهى النغم فى ترجمة شيخ الاسلام عارف الحكم :ـ

توجد نسخة من هذا الكتاب بخط يد المؤلف فى مكتبة الاستاذ عباس العزاوى ونسخة اخرى كتبت سنة ١٢٦٨هـ فى مكتبة المرحوم هاشم الآلوسى ، ونسخة ثالثة فى مكتبة الاوقاف العامة ، وقدم حفيد الآلوسى السيد محمد درويش الآلوسى نسخة منه الى محمد شرف الدين بالتقيا باعتباره (رئيس الشؤون الدينية) فى الجمهورية التركية[3] .

بدأ الآلوسى كتابه هذا بقصة ذهابه الى اسطنبول ، والتقائه بشيخ الاسلام ، ثم دخل فى تعداد مآثره واخلاقه ، وتقواه وعبادته ، وعلمه وبلاغته ، باسلوب ادبى رفيع[4] .

ثم بدأ بترجمة حياة شيخ الاسلام ، وذكر تقلبه فى مناصبه القضائية المتعددة فى انحاء مختلفة من بلاد الدولة العثمانية الى ان صار شيخا

---

(١) غرائب الاغتراب ٢٠ .
(٢) حديقة الورود ٢/٢١٨ .
(٣) ذكرى ابى الثناء ٩٠ .
(٤) شهى النغم ١ـ١١ مخطوطة الاوقاف العامة تحت رقم ٥٩٣٣ .

للاسلام ، ثم ينقل القصائد التى قيلت فى مدحه بينها موشحة طويلة كان قد نظمها عبدالباقى العمرى فى تهنئته بالمشيخة العظمى[٥] . نقل الآلـــوسى تشطيرات وتخميسات كثيرة لبيتين قالهما شيخ الاسلام ، ويذكر قصائد من اشعاره قالها عند حجته الثانية [٦] .

ويذكر الآلوسى نص الرسالة الطويلة التى ارسلها الى شيخ الاسلام عام توليته المشيخة[٧] وبمناسبة سؤال احد العلماء عن كروية الأرض ، يدخل فى هذا الموضوع الفلكى ، ويذكر شيئاً عنه[٨] .

ويذكر الآلوسى تأليفات الشيخ الشعرية والنثرية ومن اجازوه ، وهم كبار علماء عصره[٩] ، ثم أتم كتابه بذكر شيىء من تعليقاته فى التفسير واللغة على بعض الكتب .

وهذا الكتاب وثيقة تاريخية أدبية مهمة عن حياة شيخ الاسلام السيد احمد عارف حكمت ، وشيوخه ، وعلاقاته مع شعراء عصره ، وتبرز اهميته من حيث ان الآلوسى لازمه ، وحضر مجالسه طيلة اقامته فىاسطنبول ، الأمر الذى اتاح له فرصة الاطلاع على جوانب من سيرته وعلمه وسلوكه .

ثانيا آثاره الادبية :ـ

أ ـ كتب الرحلات :

١ ـ نشوة الشمول فى السفر الى اسلامبول :ـ

وهو كتاب ادبي ممتع، يتحدث فيه الآلوسى عن رحلته الى(اسلامبول)

---

(٥) المصدر السابق ٦٥ .
(٦) المصدر السابق ١١ـ١٩ ، ١٠٥ ، ١١٩ .
(٧) المصدر السابق ٩٤ .
(٨) المصدر السابق ١٢٥ـ١٢٧ .
(٩) المصدر السابق ١٢٨ ، ١٢٩ـ١٦٦ .

وما جرى له في الطريق الى ان وصل اليها • توجد نسخة خطية من هذا الكتاب في مكتبة الاستاذ عباس العزاوي مؤرخـة في ١٩ ربيع الثاني سنة ١٢٧٩ هـ • وتوجد نسخة خطية اخرى في مكتبة المرحوم هاشم الآلوسي• وطبع في مطبعة الولاية (الزوراء) سنة ١٢٩١ هـ[١٠] •

افتتح الآلوسي كتابه بطائفة من الاشعار الطريفة في الرحلة والاغتراب لجماعـة من الشعراء فيهم ابو تمام (ت ٢٣١ هـ) ثـم ذكر مروره بمدينة كركوك واربيل والموصل واجتماعه بالعلماء الذين كانو يجتمعون حوله ، فيسألونه ويستمعون اليه[١١] • ويذكر الآلوسي أنه التقى في رحلته هذه في دير الزعفران ، بجماعـة من احبـار الرهبـان فبحث مع رئيسهم في الثالوث[١٢] وفي قرية (كچه بردو) التقى بكبير لهم فناقشه والزمه ، ثم تركه بعد ما رأى عدم الجدوى في جداله[١٣] •

ويذكر الآلوسي أنه مر بماردين ، والتقى هنالك بالشيخ حامد أحد خلفاء الشيخ خالد النقشبندي استاذه ، فمدحه كثيرا ومن اقواله فيه (ولم ينخذ حبات مسبحته بنادق يرمى بها آدم عيشته)[١٤] وابرز ملاحظـات الآلوسي في (آمد) هو الشكوى من جهل علمائها • وفي هذه المدينة كتب تقريظا على كتاب (مختارات ادبية) للسيد احمد افنـدى القلعلي ، ذكره بطوله في الكتاب[١٥] •

وبعد مروره بسلسلة من القرى دخـــل الى (ارضروم) فاجتمع

---

(١٠) ذكرى ابى الثناء ٩٠ •
(١١) المصدر السابق ٩ •
(١٢) نشوة الشمول ٦ـ٨ •
(١٣) المصدر السابق ٩ •
(١٤) المصدر السابق ٩ •
(١٥) المصدر السابق ١١ـ١٢ •

بطائفة من علمائها وأجازهم ثم يقول متحدثاً عن اجازات تلك المناطق (ثم اعلم أن اجازات هاتيك الارجاء التى رأيتها لا يعود عليها)[١٦] .

وهو يشكو من علماء هذه الاقطار جميعها وخاصة من المفتين والقضاة، ويصورهم حسادا حتى ان احدهم من حسده ارسل (الضبطية) اليه واصحابه وهم فى (الخان) ففتشوهم بعد اتهامهم بالسرقة[١٧] .

ويذكر الآلوسى انه زاره فى اسطنبول علماء وادباء من مختلف الاقطار ، وبعضهم انشد شعرا فى تقريظ تفسيره ، ومنهم الشيخ حسين الشرواني الذى الف كتابا فى علم التوحيد جاء به الى اسطنبول لينال جزاءاً عليه من الدولة[١٨] .

وانهى الآلوسى كتابه بتقديم نصائح الى ابنائه فى بغداد .

ان هذا الكتاب ، كتاب جليل على صغره ، لانه يصور جوانب متعددة من حياة المجتمع الاسلامي فى ذلك العصر ، من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والعمرانية ، وفيه اوصاف أدبية جميلة لمشاهدة المدن والقرى والجبال والوديان والاشجار .

٢ ـ نشوة المدام فى العود الى مدينة السلام :ـ

هذا هو الكتاب الثاني الذى يتحدث فيه الآلوسى عن رحلته ، وكان الأول وصفا للذهاب ، وهذا وصف للاياب . توجد نسخة منه فى مكتبة الاستاذ عباس العزاوى ، ونسخة اخرى فى مكتبة الاوقاف العامة . وطبع هذا مع الكتاب السابق فى مطبعة الولاية .

---

(١٦) المصدر السابق ١٥ـ٢٠ ، ٢٨ .
(١٧) نشوة الشمول ٣١ـ٣٢ .
(١٨) المصدر السابق ٥٠ـ٥٢ .

ذكر الآلوسي انه ركب سفينة (الطائف البحري) من اسطنبول الى (سامسون) والتقى في السفينة بالمشير سليم باشا والي (شهرزور) ومصطفى ظريف باشا والي (ارضروم) • ثم مر في طريقه بسيناب ، وذكر شيئا من احوال مسجدها ومفتيها وفي (سامسون) ذكر شيئا عن احوال حماماتها ودلاكيها(١٩) • ويتحدث عما لقيه من المتاعب في القرى التي مرّ بها وخاصة من البعوض وقمل الخشب والبرد في الطريق(٢٠) •

والآلوسي يصف في كتابه هذا الاماكن التي مرّ بها من حيث عذوبة الماء ، واعتدال الهواء ، وطيب التربة ، وجودة الفاكهة(٢١) • ويذكر الآلوسي كعادته التفاف العلماء حوله ، وسؤالهم منه في التفسير والقراءات ، ولقد هاجم من هؤلاء مفتي (توقات) مهاجمة عنيفة ، ورماه بالجهل والتكبر وقلة الآداب(٢٢) •

وهو في مروره بالمدن والقرى يصف كثيرا من احوال اهلها وحكامها ومأموريها من النواحي الدينية والاخلاقية والاجتماعية ، ويتطرق ما للنصارى من قرى وكنائس في تلك الارجاء • وهو معجب بأهل آمد وبعض علمائها فهو يقول (ولقد استبشر بي أهل البلد طراً كأني هلال أباح لهم وقد اجهدهم الصيام فطرا ، ولعمري لم أر مثلهم في مكارم الاخلاق احدا ولا من يسدي مع الغريب مثل اياديهم يدا)(٢٣) ويقول (ولم يزالوا يهرعون الي ، ويتهافتون تهافت الفراش علي ، حتى كادوا ينتهبون وقت منامي ، ويحلون بيني وبين طعامي وشرابي)(٢٤) •

---

(١٩) نشوة المدام ٦ـ٧ •
(٢٠) المصدر السابق ٨ـ١٤ •
(٢١) المصدر السابق ١٩ •
(٢٢) المصدر السابق ٢٠ـ٢٣ •
(٢٣) نشوة المدام ٤٨ •
(٢٤) المصدر السابق ٥٤

ويذكر الآلوسى فى هذه المدينة بعض ما صادفه ، ومن ذلك أنه حضر مجلسا للوزير نادر باشا عبدى ، فسمع بعض الالحان الموسيقية والغنائية قال عنها (ما نغمة معبد بالنسبة اليها الا صرير باب ، ولو سمعها باذنى (اسحق) لصبا ولا صبوة العشاق) ثم يعتذر لوجوده فى مثل هذا المجلس بأنـه لم يكن يدرى قبـل الحضور ، وعـــذره ما أصرّ من استغفر كما جاء فى الاثر(٢٥) .

وينقل لنـــا بعض ما دار من مناقشـات فى المجالس التي حضرها ، وخاصة مجلس المشير عبدى منها أن المشير فى ليلة من الليالى احضر كتابا فى الحكمة الطبيعية باللغة النمساوية فترجم لهم فصـلا فى علم النحـل ، ولكن الآلوسى لا يقر بجميع هذه المعلومات(٢٦) . ولم تكن هذه المناقشات لتقف عند النحل وانما كانت تنتقـل احيـانا الى مسائل فلسفية وكلاميـة وصوفية كوحـدة الوجـود ، وقضية المهدى المنتظر ، يسأل فيها الوزير ، ويجيب الآلوسى(٢٧)

ووصف الآلوسى حفلة ختـان للعساكر السلطانية بحضور امير اللواء (حافظ باشا) مما يمكن ان يستفيد منها عشاق الفـن الشعبي فى تسجيل الفن الشعبي لهذه الفترة فى تلك الاصقاع(٢٨) .

وللآلوسى فى هذا الكتاب اوصاف ادبية جميلة . فهـذا مثـلا وصفه لمدينة ماردين (وماردين بلدة على جبل متطاول ، وعلى ذروة قلعة تقصر عنها يد المتناول ، قد بعد فى السما مرتقاها ، حتى تساوى ثراها مع ثرياها ، فهي

---

(٢٥) المصدر السابق ٥٨ـ٥٩ .
(٢٦) المصدر السابق ٦٦ـ٦٧ .
(٢٧) المصدر السابق ٦٨ ، ٧٥ـ٧٨ .
(٢٨) المصدر السابق ٦٩ .

حمى لا يراع ،ومعقل لا يستطاع وتشتمل البيوت نحو الفين وخمسمائة ذراعا ، وفيها عدة جوامع ومدارس بلغت سكنتها من القلة النهاية ، وفيها ست كنائس للنصارى هي بجآدز النصارى آوانس ، والنصارى فيها اكثر من المسلمين . وتلك كثرة لا تضر . وفاكهتها كثيرة ، قليلة الاسعار ، واكثر مياهها مما فيها من الآبار ، وارتفاع ثلجها شتاء نحو ذراع ، وقد يبلغ فى بعض السنين مقدار باع ، وهي مراتع غزلان، ومرابع حور وولدان)[٢٩].

ولما وصل الى مشارف الموصل ، ارسل شعراء العراق قصائدهم فى تبجيله والترحيب به .

ويختم الآلوسى كتابه بتقاريظ العلماء كعبد الغني افندى المفتي الاسبق لبغداد ، وأبيات للشعراء عبدالباقي العمرى ومحمد امين افندى العمرى وعبد الله افندى الفيضى الموصلى ، والسيد داود افندى ابن السيد سليمان آل سيد جرجيس .

والخلاصة ان كتاب نشوة المدام كتاب طريف ، ورحلة ادبية ممتعة ، سجل فيها الآلوسى مشاهداته فى البلدان ، ورأيه فى اخلاق اهلها وعوائدهم وفى الوزراء والعلماء الذين التقى بهم ، وترك لنا فيها اوصافا رائعة لمظاهر الطبيعة من الشروق والغروب ، والصحو والمطر والنسيم ، والجبال والانهار والسهول والمراعي ، والكتاب يفيد علماء تقويم البلدان والمؤرخين الذين يدرسون تاريخ هذه الفترة ، فهو من المواد التي يمكن ان يعتمد عليها الباحثون فى مجالات كثيرة .

٣ ـ غرائب الاغتراب ونزهة الالباب :ـ

هذا الكتاب جمع بين الكتابين السابقين ، وتفصيل لما جرى له فى

---

(٢٩) المصدر السابق ٩٠ .

عاصمة الدولة (اسطنبول) ذكر فيه الآلوسى ما لم يذكره فيهما ، وبذلك تمت هذه السلسلة من كتبه فى الرحلات ٠

توجد نسخة منه بخط المؤلف فى مكتبة المرحوم هاشم الآلوسى ، ونسخة أخرى فى مكتبة الاستاذ عباس العزاوى ، ونسخة ثالثة فى مكتبة الاستاذ كوركيس عواد ٠ وهنالك نسخة رابعة فى مكتبة المرحوم ابراهيم الآلوسى ببغداد ، وطبع هذا الكتاب فى مطبعة الشابندر ببغداد سنة ١٣٢٧هـ(٣٠) ٠

يبدأ الآلوسى كتابه بالكلام عن تاريخ حياته ، واحوال دراسته ، وذكر شيوخه واخلاقهم ورأيه فيهم وبعض الكتب التي درسها عليهم(٣١) ٠

يهتم الآلوسى فى كتابه هذا بوصف المدن ، وبيان معانيها وتواريخها وبنائها وفتحها ، كما وصف شوارعها وعماراتها وحدائقها ومساجدها وجسورها ومناظرها وصفا ادبيا رائعا(٣٢) كما فعل ذلك فى الموصل وجزيرة ابن عمر وارضروم وسيواس وتوقات وسمسون ، وأفرد اسطنبول بأطول بحث(٣٣) ٠

ويسجل الآلوسى فى كتابه صورا قلمية للرجال الذين قابلهم وأرخ لبعضهم ، منهم مصطفى بك افندى الربيعي وسليمان بك بن ليث الوغا وعبدالرحمن افندى الكلاك مفتي الموصل وحسن افندى قاضى زادة أحد علماء الموصل(٣٤) ٠ أما فى اسطنبول فقد قابل جمعا كبيرا من العلماء

---

(٣٠) ذكرى ابى الثناء ٨٤ ٠
(٣١) غرائب الاغتراب ٥ـ٢٥ ٠
(٣٢) المصدر السابق ٦٥ـ١٠٢ ٠
(٣٣) المصدر السابق ١٠٤ ٠
(٣٤) المصدر السابق ٤١ـ٦٣ ٠

والفضلاء والوزراء والقادة ، فسجل رأيه في كل واحد منهم وعرض ببعض نواحي حياتهم الرسمية وغير الرسمية عرضا مفصلا[٣٥] . وتطرق الى اخلاق العلماء في اسطنبول وقدم بيانا وافيا عن احوال الطرق الصوفية ومشايخها ، بالاضافة الى تصويره لاحوال المجتمع السياسية والثقافية في تلك الفترة ، والذى يمكن أن يكون مصدرا من مصادر المؤرخين ، ومرجعا من مراجع الدارسين[٣٦] .

وفي الكتاب أجوبة مستفيضة عن الاسئلة التي كان يسأل فيها عن القرآن الكريم أو شرح بعض العبارات المغلقة . وتمتاز هذه الاجوبة بالمرونة وكثرة الاستشهاد بالكتاب والسنة ، وعدم الاستسلام الى الاقوال الشخصية والبدع المستحدثة ، كما تمتاز بقوة شخصيته العلمية[٣٧] .

ويحتوى الكتاب على مجموعة مناسبة من الاشعار له ولغيره كتخاميس السيد عبد الباقي العمرى فى الحنين الى بغداد ، وتخاميس السيد عبدالغفار الاخرس ، وتخاميس السيد عبدالغني افندى[٣٨] . ولم ينقطع الآلوسى عن احبائه واصدقائه فى بغداد ، فاقد جرت بينهم مراسلات دونها فى كتابه ، كالمراسلات التي جرت بينه وبين عبد الغني الجميل وعبد الباقي العمرى وابى بكر النقشبندى ومحمد فيضى الزهاوى وغيرهم ، وكان يراسلهم نثرا فيجيبونه شعرا ، ويسجل الآلوسى أن هنالك رسائل أخرى ضاعت منه[٣٩] .

ومن أهم القضايا العلمية التي سجلها الآلوسى فى كتابه اجازاته للعلماء فى اسطنبول مع تسجيل كامل لنصوصها ، فقد أجاز عبدالرحمن الأجهلى

---

(٣٥) المصدر السابق ١٣٢ـ٢٠٩ .
(٣٦) غرائب الاغتراب ٧١ـ٩٢ .
(٣٧) المصدر السابق ٢٧٧ .
(٣٨) المصدر السابق ٢١٤ـ٢١٨ .
(٣٩) المصدر السابق ٢٠٩ـ٢٧٥ .

ومحمد افندي الرافعي[٤٠] ، كما أجاز جماعة فى كتب ابى منصور الماتريدى[٤١] ، وآخرين فى مصنفات الامام ابى الحسن الاشعرى[٤٢] . وجماعة ثالثة ، فى كتب العقائد المشهورة المتداولة فى ذلك الزمان بين العلماء الاشعرية والماتريدية[٤٣] . وأجاز جماعة اخرى فى فقه الامام ابى حنيفة وفقه الشافعية وفقه الامام مالك واحمد[٤٤] . كما أجاز بعضهم فى كتب التفسير المشهورة وكتب الحديث المشهورة ، وكتب النحو والصرف[٤٥] .

ويذكر الآلوسى انه تبادل الاجازات العلمية مع جماعة من كبار العلماء منهم السيد الشيخ احمد عارف حكمت والعلامة محمد التميمي المغربي والشيخ المعمر حسين الداغستاني[٤٦] .

ويستطرد الآلوسى احيانا الى موضوعات ليست لها علاقة بموضوع الكتاب مباشرة ، فبمناسبة استخارته للسفر عقد تسعة فصول مبينا فيها الاستخارة ؛ معناها وأصلها وانواعها وأوقاتها، وما يقال فيها من الادعية وما يقال عقب الانتهاء منها وساق فيها أحاديث كثيرة رواها عن كبار المحدثين ، ونقل أقوال كبار الفقهاء فيها ، ثم انه ختم هذه الفصول بأشعار قديمة فى التشاؤم والتفاؤل[٤٧] .

وأهم ما فى الكتاب فى نظرى هو المحاورات التي جرت بين الآلوسى

---

(٤٠) المصدر السابق ٢٧٥ـ٢٧٧ .
(٤١) المصدر السابق ٢٨٢ .
(٤٢) المصدر السابق ٢٨٢ .
(٤٣) المصدر السابق ٢٨٣ .
(٤٤) المصدر السابق ٢٨٤ـ٢٨٦ .
(٤٥) المصدر السابق ٢٨٧ـ٢٩٥ .
(٤٦) المصدر السابق ٢٩٧ـ٣٠٤ .
(٤٧) غرائب الاغتراب ٢٦ـ٣٦ .

وبين شيخ الاسلام فى مختلف الموضوعات ، فالشيخ يعرض عليه معضلات فى التفسير واللغة ، والتصوف والادب ، والحكمة والكلام . فيبدأ هو بالجواب ، وعند عدم اقتناع الشيخ يذكر له جوابا آخر ، فتتعدد الاجوبة ينقد بعضها ، ويبطل البعض الآخر . والآلوسى حاد الذهن ، سريع التفكير ، حاضر الجواب . وهو يبذل قصارى جهده فى سبيل اثبات مقدرته العلمية الفائقة امام شيخ الاسلام ، وعلماء الاتراك . ومن أطرف الاشياء أن يقدم اليه سؤالا منظوما ، فيجيبه نظما على نفس البحر ونفس القافية[٤٨] .

ومن الاجابات المفيدة انه يوضح امرا لم يوضحه فى تفسيره كرده على الرازى فى قوله أن نور الفجر لا ينبعث من الشمس وانما نور يخلقه الله تعالى ابتداءاً[٤٩] .

واجابات الآلوسى دليل واضح نضيفه الى الادلة التي أوردناها على انه قد هضم المعارف الانسانية فى وقته ، فجوابه على الشيخ فى قضية المحكم والمتشابه وافعال العباد فى الجبر والتفويض وحشده لاقوال طائفة من العلماء من مختلف الاتجاهات الكلامية لدليل واضح على ما نقول[٥٠] .

وفى ختام الكتاب يدون تقاريظ شعرية للكتاب لمفتي بغداد الاسبق عبدالغني الجميل والشاعر عبد الباقي العمرى ومحمد امين افندى العمرى والسيد محمد سعيد .

وفى نظرى ان هذا الكتاب من أجل كتب الآلوسى ، خصب مادة ، وطرافة موضوع ، ودقة بحث وجمال اسلوب ، وسنعرض بعض عباراته عند الكلام عن اسلوب الآلوسى .

---

(٤٨) المصدر السابق ٣٩٩ .
(٤٩) المصدر السابق ٣٨٢-٣٨٤ .
(٥٠) المصدر السابق ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٩ ، ٤١٦ .

ب ـ المقامات

توجد نسخة منها فى مكتبة الاستاذ عباس العزاوى • وتوجد نسخة من المقامة الاولى فى مكتبة المرحوم هاشم الآلوسى قوبلت وصححت بقلم ابنه السيد نعمان خير الدين سنة ١٢٧١ هـ مع المسودة[٥١] • وطبعت طبعة حجرية فى كربلاء سنة ١٢٧٣هـ وهذه المقامات هي :

١ ـ انباء الابناء باطيب الانباء :ـ

هذه المقامة وصية لابنائه فهو يخاطبهم ويعظهم ويضع لهم المنهاج الذى يسيرون عليه ، يدعوهم اولا أن يشتغلوا بالفقه والحديث والتفسير وسائر علوم الدين اكثر من اشتغالهم بفلسفة المتفلسفين ، وينصحهم بأن يتمسكوا بعقيدة السلف لأنها أسلم وكذلك أعلم وأحكم • ثم يدعوهم الى أن يحسنوا الظن بالصوفية دون الاستسلام لظواهر ما قالوا من الضلالة ، فهم فى رأيه لا يقصدون ظواهرها • والمطلوب منهم دائما التمسك بعرى الشريعة[٥٢] •

ثم يوجههم الى عدم الاستسلام للبدع ، ويدعوهم الى الآداب الجميلة مثل مصاحبة الاخيار ، وحفظ الاسرار ، والاحتفاظ بالوقار والكرم ، وعدم الرد على السفيه ، والقناعة ، وعدم مجالسة الاعيان • ثم يأمرهم بصلة الرحم بالأم والأخوات والاقارب • ويطلب منهم أن يحفظوا جيد الشعر والنثر • وكأنه أراد أن يعين لهم نوعية هذا الشعر ، فقدم لهم باقات متنوعة من الاشعار التي تعمق فى نفوس الناس المفاهيم الاخلاقية التي دعاهم اليها •

٢ ـ الاهوال من الاخوال :ـ

يبدأ الآلوسى هذه المقامة بالتحدث عن حياته العلمية الاولى ودراسته.

---

(٥١) ذكرى ابى الثناء ٨٥ •
(٥٢) مقامات ابن الآلوسي ٣ـ٤ •

على والده وبعض العلماء ، وخاصة شيخه علاء الدين علي افندى الموصلي ، ويفيض كثيرا في وصفه[٥٣] . ويتطرق ايضا الى مؤامرات خصومه عليه ، وخاصة اخواله الذين اعلنوا الحرب عليه نتيجة لدس بعض اهل السوء ابياتا عليه في هجائهم[٥٤] . ويتحدث عن ايقاع هؤلاء به لدى الوزير داود باشا زاعمين انه سب العلامة ابن حجر ، وتدخل طائفة من اهل الخير للتوسط بينه وبين خصومه ثم كيفية صدور أمر داود باشا بتعيينه في مسجد بمحلة (سبع ابكار)[٥٥] .

٣ ـ قطف الزهر من روض الصبر :ـ

هذه المقامة تصور طرفا من حياته العلمية كدراسته في الكتاب ، وتردده على الشيخ علاء الدين ومدة دراسته ، ويسجل الآلوسي فيها قساوة الزمان ومجابهته الشدائد والصعوبات[٥٦] . ويروى كذلك بعض الحوادث التاريخية كمحاصرة علي رضا باشا لبغداد ايام داود باشا سنة ١٢٤٦ هـ وقيام أهل بغداد عليه ، ويذكر ما لحقه من الاذى الذى ادى به الى حبسه في دار النقيب محمود افندى نقيب الاشراف[٥٧] .

٤ ـ زجر المغرور عن رجز الغرور :ـ

يحذر الآلوسي في هذه المقامة الناس من الدنيا لانها خائفة غدارة ، ويمثل لذلك بحياته عندما ابتسمت له الدنيا ، حيث كان ذكره على كل لسان وكان الخير متوجها اليه من كل جانب ، ثم ذهب كل هذا ، وأحس الشر

---

(٥٣) المصدر السابق ٢٣ـ٢٥ .
(٥٤) المصدر السابق ٢٦ـ٢٧ .
(٥٥) المصدر السابق ٣٤ .
(٥٦) المصدر السابق ٣٥ـ٣٧ .
(٥٧) المصدر السابق ٣٩ .

عندما عزل علي رضا باشا[٥٨] فشكوه الى الوزير الجديد محمد نجيب ، فعزله عن افتاء الحنفية ، وسحب يده عن اوقاف المرجان ، ثم يذكر انه توجه مع الوزير المعزول عبد الكريم باشا الى اسطنبول[٥٩] .

٥ ـ سجع القمرية فى ربع العمرية :ـ

هذه مقامة فى شكل قصة رمزية ينحو فيها الآلوسى منحى صوفيا ، ويعرض فيها كثيرا من الاخلاق الاجتماعية السيئة ، والعادات الفاسدة فى المجتمع الصوفى البكتاشى ، وهم طائفة مغالية فى التصوف ، وفرقة من الفرق الهدامة فى تاريخ الاسلام[٦٠] . ويدعو الآلوسى فى مقامته الى العزلة مع الاعتراف بأن الانسان لا يسلم من الناس ، فالشيخ الذى رافقه الى زيارة جماعة من اصدقائه اودع السجن ، لأنه كن حاضرا وذكر فيه اسم الوالى فلفق أحد الخبثاء التهمة عليه[٦١] .

وفى هذه المقامة لفتات عن احوال الولاة ومعاداتهم للعلم ، وصلة بعض الموظفين بهم والتي تقوم على المراوغة والختل والنفاق .

وينهي الآلوسى مقامته بالدعوة الى الزهد فى الحياة ، ويذكر الانسان بالموت ، ثم يدعو الى توبة (تغسل الاوزار قبل أن تحل بنان الغاسل الازرار)[٦٢] .

ولا تخلو هذه المقامة من تصوير علاقات الآلوسى بتلامذته فى المدرسة العمرية .

---

(٥٨) مقامات ابن الآلوسي ٤٤ـ٤٦ .
(٥٩) المصدر السابق ٤٦ـ٤٩ .
(٦٠) ذكرى ابى الثناء ٦٧ .
(٦١) مقامات ابن الآلوسي ١١٨ـ١١٩ .
(٦٢) المصدر السابق ١٢٦ .

وللآلوسى عدا الكتب التي ذكرناها كتاب (شـرح سلم العروج فى المنطق) الذى فقـد وضاع فى حياتـه وله حـواش وتعليقات على كتاب (عبدالحكيم حاشية الشمسية) فى علم المنطق ، وكتاب الفوائد السنية فى الحواشى الكلنبوية ، وله تعليقات على الالفية ، وعلى كتب اخرى فى المعقول والمنقول والفروع والاصول[٦٣] • كما ان له رسالة فى بضع ورقات فى شجرة نسبه سماها (شجرة الانوار) •

وقد أسند الى الآلوسى كتاب (دقائق التفسير) خطـأ • ومن هؤلاء الاستاذ محمد بهجت الاثرى فى كتابه (اعلام العراق) والاستاذ خير الدين الزركلى فى (قاموس الاعلام) والدكتور محمد مهدى البصير فى (نهضة العراق الادبية) • وظهر لي هذا الخطأ اثناء مراجعتي للكتاب المخطوط فى مكتبة المرحوم هاشم الآلوسى ، حيث وقعت على ورقة بخط وامضاء الأستاذ منير القاضى[٦٤] انقل منها مايلى (طالعت كتاب دقائق التفسير وهي مخطوطة ملك الاستاذ السيد هاشم الآلوسى ورثها عن المرحوم ابيه عن المرحوم جـد أبيه المفسر الشهير العلامة السيد محمود الآلوسيالكبير مفتي بغداد ، وعلامة العراق فى عصره ، فتحصل عندى ان المخطوطة ليست من مؤلفات المفسر العلامة الآلوسى ، بل هي مجموعة عنى بجمعها رجل من أهل العلم اسمه (مصطفى) وقد كان كاتبا فى المحكمة الكبرى فى مدينة سلانيك وتم جمعها سنة ١٠٨٥ هـ جمعها من رسائل وبحوث فى تفسير آيات من الذكر الحكيم كتبها طائفة من كبار علماء الدين مثـل الزمخشرى والبيضاوى والرازى

---

(٦٣) روح المعانى ١٦٦/١٢ • حديقة الورود ٢٦٨/٢ــ٢٧٣ • ذكرى ابى الثناء ٨٥ــ٩٠ •

(٦٤) الاستاذ منير القاضي من كبار رجالات العلم والادب والقانون فى العراق ، تقلب فى عدة مناصب منها (عميد كلية الحقوق) و (وزير المعارف) و (رئيس المجمع العلمي العراقى) •

وجـلال الدين الدواني وعصام جلبي زادة وابي السعود وابن الكمـال ، وصدر الدين وابن سينا واضرابهم من كبار علماء الاسـلام على اختـلاف عصورهم وعناصرهم • علق فى بعض حواشي المجموعة بخطـه اللطيف المنسق تعليقات قيمة اكثرها من كلام عـلامة العراق فى وقته صبغة الله الحيدرى الكبير وعلق فى موضعين فقط من كلام شيخه علاء الدين علي افندى الموصلي ، وتعليقات اخرى قليـلة من كـلامه أو من كـلام فضلاء آخرين • عنى عليه الرحمة والرضوان عناية كبرى فى تصحيح المجموعة من محض فكره الصائب بدلالة مقتضى السابق واللاحق من الكلام وعـزا الاقوال الى اصحابها فى أكثر المواضع التي عبر عنها الجامع بكلمة (قيل) (كتبت فى ٢٨ صفر من سنة ١٣٨٣ هـ المصادف لليوم ٢٠-٧-١٩٦٣م) •

والظاهر أن تسمية الكتاب بـ (دقائق التفسير) هو من عمل الآلوسى كما صرح به هو نفسه[٦٥] ولعل هذا هو الذى دفع هؤلاء الفضلاء الى أن يعدوا الكتاب ضمن مؤلفات الآلوسى •

---

(١) غرائب الاغتراب ٤٣١ •

ثالثا : دراسة فنية لادبه :ـ

أ ـ دراسة لاسلوبه العلمي :

اسلوب الآلوسى العلمى تبدو عليه آثار اسلوبه الأدبى ، من اختيار الالفاظ ، والانسجام بين التراكيب وخاصة فى تفسيره ، اذ ان ذوقه ، العالى يتحكم فى تعبيره ، فيختار اجمل الكلمات للتعبير عن ادق الحقائق والنظريات العقلية التى يقررها • يقول فى تفسير قوله تعالى (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) أى بسبب تعاطيهما ، لان السكران يقدم على كثير من القبائح التى توجب ذلك ولا يبالى واذا صحـا ندم على ما فعل ، والرجل قد يقامر حتى لا يبقـى له شيىء وتنتهى بـه المقامرة الى ان يقامر بولده واهله فيؤدى به ذلك الى ان يصير أعدى الأعداء لمن قمره وغلبه ، وهذه اشارة الى مفاسدهما الدنيوية)[1] •

واساليب الآلوسى العلمية منتشرة فى كثير من كتبه وتفسيره ، ولكن كتابه (الأجوبة العراقية على الأسئلة الايرانية) هو اوضح نموذج عـلى هذا الاسلوب ، ونستطيع ان نستخرج مميزات اسلوبه من هذا وهـى كمايلي :

١ ـ الآلوسى فى تقريره للحقائق لايدع لعاطفته سبيلا للسيطرة على عقله ، ولهذا اهمية كبيرة فى الوصول الى الحقيقة ، لان العاطفة الذاتيـة هى المانعة من رؤية الحق ، والقائدة الى الهوى • فبالرغم من أنه يعـادى افكار المعتزلة ، الا انه يشيد بعلم بعض علمائهم • ويعتمد عليهم فى كثير من مسائل اللغة ، وقضايا الاعجاز القرآنى •

٢ ـ يعتمد فى تقريره الحقائق على الظروف والقواعد التى قيدت

---

(١) روح المعانى ١٦/٧ •

اصحابها والتى دفعتهم الى ما قالوه ، أى انه يريد معالجة موضوع مـــن الموضوعات فى نطاق مصطلحاته ، فهو مثلا يعالج قضية وحدة الوجـــود والحلول والفناء عند الصوفية فى نطاق مقاصدهم .

٣ ـ انه فى تحقيقه لفكرة من الافكار يلجأ الى كتبها ورسائلها المحققه فيها ، والمعتبرة من قبل المؤمنين بها ، فاذا كان يبحث قضية تخص الشيعة مثلا ، فانه يستخرجها من كتب كبار علمائهم المعترف بهم من قبلهـــم ، وينقل كلامهم نقلا امينا لفظا او معنى ثم يردّ عليها .

٤ ـ عند بحث الآلوسى فى فكرة من الافكار يبسط جميع الآراء ، ولا يخفى شيئاً حتى اذا كن طعنا مباشرا فى العقائد التي يؤمن بها .

٥ ـ واسلوبه العلمى غير مغلق على عادة علماء ذلك الوقت الذيـن كانوا يعتبرون الاغلاق والغموض فى الكلام دليلا على العلمية ، وبرهانـا على التعمق . فهو يعبر عن افكاره بوضوح ، ولم يحاول ان يصطنع اسلوب الاغلاق والغموض فى كتاب من كتبه او رسالة من رسائله .

٦ ـ أما اسلوبه فى ردوده ، فهو ان يستنبط الأدلة اولا من كـــلام خصمه ، أى انه يحاول ان يرد كلامه بكلامه ، ثم يوجه النقد اليه مـــن وجهة نظره ، فالآلوسى من هذه الناحية مجادل بارع لايملك الانسان الا ان يعجب بنقاشه مع خصومه حتى وان لم يكن مؤيدا له فى ذلك النقاش .

ان الذى يمكن أن آخذه هنا على اسلوب الآلوسى انـه لا يخلو من رواسب أفكار بعض العلماء الذين كانوا يجدون فى الهجــوم بالسب عـلى الخصوم نشوة ولذة ، فهو كثيرا ما يستعمل الكلمات القاسية ضد بعض من يناقشهم وخاصة الزمخشرى وأضرابه من المعتزلة على الرغـم من اعترافـه بامامته فى العربية ، الا اننا نلاحظ ان هذا النوع من الكلام يأتى بعد انتهائه من مناقشته العلمية مع خصمه ، وكأن العاطفة الحبيس طيلة مدة المناقشة

تنفس عن نفسها بهذه الوسيلة بعد أن تضع حرب القلم أوزارها •

دراسة لاسلوبه الادبي :ـ الآلوسي كاتب كبير وأديب من الطراز الرفيع ، تشهد له براعته الفائقة في التعبير عن أفكاره وتجاربه • وقد ساعده على ذلك امتلاكه لاداة التعبير ، ومصداق هذا ما قررناه من قبل من انه كان نحويا ولغويا • وانه كان كثير القراءة لادب العرب شعرا ونثرا • وقدرة الآلوسى على التعبير ملكة قبل أن تكون مكتسبة ، ولاجله حلق فى أجواء التعابير الجمالية ، وانشاء الموضوعات الحيوية المتنوعة •

ولقد اعترف الكتاب والباحثون بهذه الحقيقة ، ففضله الاستاذ الاثرى على الحريرى والصاحب وابن العميد ، وعده فى الرعيل الاول بين أئمة الانشاء ، فهو يقول (ما الحريرى فى مقاماته ، ولا الصاحب فى سجعاته ، استغفر الله ! بل ما ابن العميد فى ترسلاته ، والموفق عبداللطيف فى وصفياته ، أشد للقلوب خلبا ، وأكثر بالالباب لعبا ، مما يطرزه أبو الثناء من بدائع الانشاء • اذا كان لكل من هؤلاء المنشئين وغيرهم ممن هم فى طبقتهم العليا اسلوب خاص به اذا حاد عنه ربما أبهم عليه الامر ، والتوى عليه القصد ، وخانه الامكان ، فجدير بأبى الثناء ـ وقد برز فى جميع أبواب الانشاء ـ ان يفضل على هؤلاء أجمعين ، ويعد فى الرعيل الاول بين أئمة الانشاء المحلقين فى ميادين الفصاحة ، وحلائب البراعة ، فهو من أقدر الكتاب لا فى عصره فحسب بل فى العصور المتقدمة أيضا على تكييف مناحي الكتابة وتصريف عنانها ، واجرائها فى ميادينها ، فيما كتب وحبر فى علوم الدين واللغة والادب)[٢] •

وأما الدكتور محمد مهدى البصير فقد عده كاتبا كبيرا على نمط بديع الزمان والحريرى ، ويعتقد كذلك أن (نثرأبى الثناء فى مقاماته وكتبه التى وصف بها سياحته شعر لا يكاد ينقصه سوى الوزن ، فليس من شك

(٢) اعلام العراق ٣٢ـ٣٣ •

فى ان قوله فى وصف الموصل مثلا (وانها تنبت العلماء المحققين كما تنبت الاقحوان والنسرين ، وتخرج الاخيار كما تخرج الازهار) شعر لا ينقصه سوى الوزن)[3] .

ولقد لمست خلال قراءتى له أنه لا يقل فى الكتابة عن كبار كتـــاب الطبقة الاولى ، وهو فى نظرى أشبه الكتاب بأبى حيان التوحيدى من حيث طول النفس فى الوصف ، واتيان الجمل المتنوعة القصيرة فيه . يقول أبو حيان فى وصف رسالة أبى سليمان المنطقى فى الوزير أبى عبدالله العارض (وقد عمل رسالة فى وصفك ذكر فيها ما آتاك الله وفضلك به من شرف اعراقك ، وكرم أخلاقك ، وعلو همتك ، وصدق حدسك ، وصواب رأيك ، وبركة نظرك ، وظهور غنائك ، وخصب فنائك ، ومحبة اوليائك ، وكمد أعدائك ، وصباحة وجهك ، وفصاحة لسانك ، ونبل حسبك ، وطهارة غيبك)[4] ويقول الآلوسى فى وصف شيخه على السويدى (وكان لاهل السنة برهانا ، وللعلماء المحدثين سلطانا ، ما رأيت أكثر منه حفظا ، ولا أعذب منه لفظا ، ولا أحسن منه وعظا ولا أفصح منه لسانا ، ولا أوضح منه بيانا ، ولا أكمل منه وقارا ، ولا آمن منه جارا ، ولا أكثر منه حلما ، ولا أكبر منه بمعرفة الرجال علما ولا أغزر منه عقلا ، ولا أوفر منه فى فنه فضلا ، ولا ألين منه جانبا ، ولا آنس منه صاحبا)[5] ويقول فى وصف الوزير (عبدالكريم باشا النادر) (وكان سلمه الله ، زكى الاعراق ، طاهر الثياب ، نقى الاهاب ، لين الجانب ، مكرم الصاحب ، اذا دقق بهر ، واذا فكر شـق الشعـر ، يحب الكرم ، ويكره الظلم .. الخ)[6] .

---

(٣) نهضة العراق الادبية ٢٤٢ .
(٤) الامتاع والمؤنسة ١/٢٩ .
(٥) غرائب الاغتراب ١٦ .
(٦) المصدر السابق ٤٠ .

ومع ذلك فان روح العصر فرضت نفسها على الآلوسى ، فقيدته وحالت بينه وبين الانطلاق فى الكتابة على سجيته ، اذ ان الخضوع التام للسجع والمحسنات البديعية كالجناس والمطابقة والتورية ، واللعب بالالفاظ والتصنع فى الاغراب ، والاهتمام بالالفاظ على حساب المعنى كان من سمة هذا العصر، لم يتخلص منه كاتب من الكتاب ولا أديب من الادباء •

اذن فالآلوسى يخضع لمتطلبات عصره فى الخضوع للسجع والاهتمام بالمحسنات • ولكنه والحق يقل سجع خفيف الروح ، قصير النفس ، بعيد عن الاغراب والتصنع قريب الى الروح الشاعرية من حيث هذه الموسيقى الممتزجة بالمشاعر الصادقة • استمع اليه وهو يصف مدينة الموصل (وهي عذبة الماء ، طيبة التربة والهواء ، طعامها هني ، وشرابها مريء ، واسطة البلاد وسرتها ، ووجهها الصبيح وغرتها ، تلد الربيع فى السنة مرتين، فهي بين البلاد أم الربيعين، فاراضيها فى فصلين قد علا جنسها ، وتجرد عن عوارضها الكدر انسها ••• ولعمرى ان من اختبر وامتحن ، حكم بأن كل روضة بالنسبة الى رياضها خضراء الدمن ، وانها تنبت من العلماء المحققين كما تنبت الاقحوان والنسرين ، وتخرج الاخيار كما تخرج الازهار)[٧] •

وهذا نموذج آخر من تفسيره (فالناس اذا أظلتهم المحنة ، ونالتهم الفتنة ، ومستهم البلية ، وانكسرت نفوسهم ، وسكنت دواعيها ، وتخلصت أرواحهم عن أسر ظلمة شهواتها رجعت أرواحهم الى الحضرة ، ووافقتها النفوس على خلاف طباعها ، فدعوا ربهم منيبين اليه ، فاذا جاء سبحانه عليهم بكشف ما نالهم ، ونظر جلا وعلا باللطف فيما اصابهم ، عاد منهم من تمرد الى عادته المذمومة ، وطبيعته الدنية المشؤومة[٨] •

وعلى الرغم من اتباع الآلوسى لاسلوب العصر ، ينطلق احيانا عندما

---

(٧) المصدر السابق ٦٥ •

(٨) روح المعانى ٢١/٦٤ •

يعطى لنفسه الحرية في القول ، ويفتح لقريحته باب الابداع ، فيرسل الكلام على سجيته ارسالا ، طليقا من القيود التى يقيد بها نفسه فى كتاباته المسجوعة ، يقول (وذلك ان الحمد مبادى حركة المريد ، فان نفس السالك اذا تزكت ومرآة قلبه اذا انجلت ، فلاحت فيها انوار العناية الموجبة للولاية تجردت النفس الزكية للطلب فرأت آثار نعم الله فيها سابغة ، والطافه متناهية ، فحمدت على ذلك ، واخذت فى الذكر ، فكشف لها من وراء الحجاب واستار العزة عن معنى رب العالمين ، فشاهدت ما سوى الله سبحانه على شرف الفناء مفتقرا الى المبقى محتاجا الى التربية ، فترقت لطلب الخلاص من وحشة الأدبار ، وظلمة السكون الى الاغيار ، فهبت لها من نفحات جناب القدس نسائم ألطاف الرحمن الرحيم ، فعرجت للمعات بوارق الجلال من وراء الجمال الى الملك الحقيقى [٩] .

أما اهتمام الآلوسى بالمحسنات البديعية فواضح فيما كتب ، ولكنه لم يكثر منها على عادة كتاب ذلك العصر . يقول فى اصطناع الجناس فى تفسير قوله تعالى (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) ، بان قال اكرمنى الله تعالى بالكرامات وهو الذى بالكرى مات)[١٠] او (وان يصلح حاله حالى ، وان لا يجعل افعاله افعى له)[١١] او (وحب المرء وبغضه يقلبان لديه الحقائق ، ويفسدان عليه بيض النظر فى الدقائق) [١٢] . والآلوسى مغرم بالاستعارات ، وله قدرة عجيبة على توليد انواعها ، وهذه نماذج منها على سبيل الأمثلة (تثنى من خدر الغيب قصيدة فريدة) .[١٣] و (فانى عينه فى أنوار شمسه)[١٤] و (لما انحلت عن صدر غانية الشمس الازرار ،

---

(٩) المصدر السابق ١/٨٨ .
(١٠) المصدر السابق ٨/١٣١ .
(١١) غرائب الاغتراب ٢٠٥ .
(١٢) المصدر السابق ١٦٢ .
(١٣) الخريدة العينية ٢ .
(١٤) المصدر السابق ٤ .

واختلط في كأس الجو مسك الليل بكافور النهار) و (ولما طرز قميص الليل بغرة الصباح)[١٥] و (حتى اذا قبلت الشمس بشفاه اشعتها وجنات الجبال وأفواه الوديان تاقت انفسنا لرشف قهوة البن في فم الفنجان)[١٦] •

يقول الدكتور البصير (وصوغ عشرات الصور بل مئاتها على هذا النحو دليل ناهض على سعة الخيال ، وخصب القريحة ، وعظم المقدرة على التفنن في التعبير[١٧] •

وسعة خيال الآلوسي تظهر بصورة واضحة في اوصافه لمختلف المواقف والمناظر ، وتحديد ملامح الاشخاص المتنوعة • ها هو ذا يصف ساعة الفراق عند سفره الى اسطنبول (وعندما وضعت رجلي بالركاب ، وتنادت بالرحيل الاصحاب ، تشبث باذيالي عيالي واطفالي ، وقالت لا نطيق الفراق ، ولا نقدر على علاج آلامه ولو جئنا بالف راق ، ودونك فادفنا أحياء ان لم تجد في هذه الاحياء لداء حاجتنا دواء ، وجعلت تذرى دموعا حمرا وتذكى في كانـون فؤادى عوفيت جمرا ، وكادت تصرخ بالويل ، وتشق الجيوب الى الذيل) ثم قال (وشيعني احبه ، وقد اغرورقت منهم بالدمع عيون المحبة ، وآخرون قد خنقتهم حبال العبرة ، وحرقتهم من خيال البين جمرة ، حتى اذا ودعتهم ، ولله تعالى اودعتهم انفصمت منهم عرى الاجفان ، فجادت عزاليها بوابـل هتان ، فسرت وانسان عيني بالدمع غريق ، وبين حنايا ضلوعي من نيـران الفراق حريق ، واعترتني دهشة ، واضل طائر عقلي عشه ، فلم أدر أيمنة اضرب أم شآمة ، ونجدا اقصد ام تهامة)[١٨] •

وله في اوصاف المدن قطع جميلة منها وصفه الرائع لمدينة (اسطنبول) .

---

(١٥) نشوة المدام ١٤ •
(١٦) المصدر السابق ١٧ •
(١٧) نهضة العراق الادبية ٢٤٣ •
(١٨) غرائب الاغتراب ٤٨ •

حيث يقول (وانا اقول غير مبالغ بمقول ، انها بلدة مونقة الارجاء ، رائقة الانحاء ، ذات قصور تضيق عن قصورها سعة الاذهان ، وتتجاذب الحسن هي وقصور الجنان ، قد تغنت اطيارها ، فتمايلت طربا اشجارها • وبكت امطارها ، فتضاحكت ازهارها ، وطاب روح نسيمها ، فصح مزاج اقليمها ، وليتك رأيت ما فيها من الرياض الانيقة ، والاشجار المتهدلة الوريقة وقد ساقت اليها ارواح الجنائب زقاق خمر السحائب ، فسقت مروجها مدام الطل ، فنشأ على ازهارها حباب اللؤلؤ المنحل ، فلما رويت من الصهباء اشجارها ، رنحها مع النسمات المسكية خمارها • فتدانت ولا تداني المحبين • وتعانقت ولا تعانق العاشقين ، يلوح من خلالها شقيق • كأنه جمرات من آثار حريق • ويتخللها بهار يبهر ناظره ، فيرتاح اليه ناظره[١٩] •

والآلوسي ساخر في اسلوبه ، يسري في ثناياه مرح خفيف • يقول في تبرير تنويعه ي أساليب الكتابة (فالطعام الواحد يمل ، وان حلى وجل ، واكثر الاسماع اليوم[٢٠] طبيعتها اسرائيلية ، فهيهات ان تصبر على طعام واحد وان كان من اطعمة شهية) وقد مرت بنا امثلة توضح اتجاهه هذا عند الكلام على ملامح شخصيته الاجتماعية •

والآلوسي متأثر الى حد ما باساليب الصوفية في التعبير ففي لفظة (المساكين) مثلا يقول (هم الذين سكنوا الى جمال الانس ونور القدس حاضرين في العبودية بنفوسهم غائبين في انوار الربوبية بقلوبهم فمن رآهم ظنهم بلا قلوب ولم يدر انها تسرح في رياض جمال المحبوب)[٢١] •

والاسلوب الجمالي عند الآلوسي لا يفارقه حتى في تفسيره ، يقول في تفسير قوله تعالى (ان الله فالق الحب والنوى) : وفي ذلك دلالة على كمال

---

(١٩) المصدر السابق ١١٣ •
(٢٠) المصدر السابق ٥ •
(٢١) روح المعاني ١٠/١٤١ •

القدرة لما فيه من العجائب التى تصدح اطيارها على افنان الحكم ، وتطفح انهارها فى رياض الكرم)[٢٢] .

واسلوبه فى تفسيره مترسل ، ينطلق فيه على سجيته ، ولكن التطبع يعاوده احيانا فيلجأ الى التفنن فى الاسلوب كتفسيره لقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون) ، ألم ترى أن الشعراء فى كل وادية من اودية القيل والقال، وفى كل شعب من شعاب الوهم والخيال ، وفى كل مسلك من مسالك الغى والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبل ، بل يتحيرون فى سباسب الغواية ، ويتيهون فى تيه الصلف والوقاحة ، ديدنهم تمزيق الاعراض المحمية ، والقدح فى الانساب الطاهرة السنية ، والنسيب والغزل والابتهار ، والتردد بين طرفى الافراط والتفريط فى المدح والهجاء)[٢٣] .

اما الخصائص الفنية لاسلوب مقاماته فهى :

(١) اصطناع السجع والتفنن فى القول ، ونرى ذلك فى مقاماته كلها. قال فى مقامته (سجع القمرية) لما سمع خبر موت الشيخ بطل المقامة (فياله من خبر عز على النفوس مسمعه . واثر فى القلوب موقعه ، فكادت له القلوب تطير ، والعقول تطيش ، والنفوس تطيح . واوشك أن تسقط له الحبالى ، وتصحو منه السكارى وتغدو الارض واجفة ، وتضحى الشمس كاسفة ، وتمور السماء مورا ، وتسير الجبال سيرا) [٢٤] .

٢ ــ كثرة استعماله الشعر ، فهو يمثل به على كل فكرة ، ويستعين به على كل موعظة ويظهر ذلك من المقامة الاولى . يقول الدكتور البصير (على ان ابرز ما فى اسلوب ابى الثناء اكثاره من الاستشهاد بالشعر حتى لقد حيل

---

(٢٢) المصدر السابق ٢٢٦/٧ .
(٢٣) المصدر السابق ١٤٦/١٩ .
(٢٤) مقامات ابن الآلوسى ١٢٢ .

لى وانا اقرأ مقامته الاولى انى اقرأ بابا من ابواب حماسة ابى تمام او ابواب حماسة البحترى)[٢٥] .

٣ ـ ان المقامات جميعها محاولة من الآلوسى لنقل مضمون المقامات الى موضوعات الواقعية الجدية بدل مواضيع الهزل والسخف ، وأما المقامة الاخيرة (سجع القمرية) فهى فى الحقيقة قصة لم تكتمل عناصرها الفنية ، ولكنها محاولة لاعطاء القصة مضمونا حيويا أى ان الآلوسى له هدف معين ، يوجه القصة بموجبها ، وهذا الهدف هو اصلاح الحالة الاجتماعية ، والتنبيه الى بعض المفاسد الاخلاقية . وفى هذه المقامة لون من اسلوبه فى كتابة الرسائل الاخوانية ، كتب الى الشيخ بطل القصة يقول (مولاى انا وحياتك صب بك ، ولوع اليك ، معمور القلب بشكرك ، رطب اللسان بذكرك ، متشوف الى قربك ، متشوق الى رؤيتك ومفاوضتك ، وقد طالت الايام على ما أعد به نفسى من الاجتماع معك ، ومن قضاء الوطر منك ، فالمرجو من اياديك ومزايا جمعت فيه ، أن تشرف مع جماعتك دارى ، لا فرق بالاجتماع بكم اكدارى ، واجمع ما تفرق من اوطارى واطفى بزلال منادمتكم أوارى)[٢٦].

ان مقامات الآلوسى ليست تقليدا اجوفا للمقامات القديمة ، وانما استطاع الآلوسى ان يحتفظ بشخصيته ، وبالخصائص العامة لاسلوب كتابته وتفكيره فيها.ومن الجدير ان نعقد موازنة بين هذه المقامات والمقامات القديمة كى نستطيع أن نضع ايدينا على مواطن الالتقاء والافتراق بينها وبين تلك المقامات ، ولنتخذ مقامات بديع الزمان (ت ٣٩٨هـ) والحريرى (ت ٥١٦هـ) ميدانين لأجل الوصول الى هذا الغرض اولا : ان لمقامات البديع والحريرى

---

(٢٥) نهضة العراق الادبية ٢٣٢ .

(٢٦) مقامات ابن الآلوسى ١٠٨ .

بطلين خياليين احدهما راو والآخر محتال ، فراوى البديع اسمه (عيسى بن هشام) ومحتاله يدعى (ابو الفتح الاسكندرى) بينما راوى الحريرى اسمه (الحارث بن الهمام) ومحتاله (ابو زيد السروجي)[٢٧] • والحال ان بطل مقامات الآلوسى واحد هو نفسه ما عدا المقامة الاخيرة(سجع القمرية) فان بطلها رجل صوفى يزور ابا الثناء فى ساعة متأخرة من الليل ويحدثه حديثا طويلا• يقول الاستاذ عباس العزاوى (كتب هذه القصة وأبدى فيها اوضاع رجال هذه الطريقة (البكتاشية) ممثلة فى واحد منهم وهو شيخ البكتاشية خليل دده)[٢٨] •

٢ ـ ان مقامات البديع والحريرى على تصويرهما لبعض جوانب الحياة الادبية والنفسية والعلمية ، ليست لها غاية اصلاحية صريحة ، وانما جانب الهزل والسخرية لقضاء الوقت واضح فيها[٢٩] ، وبعكس ذلك مقامات الآلوسى : فمقامته الأولى خطاب مباشر لاولاده فى التربية والتعليم ، ومقاماته الثانية والثالثة والرابعة تمثل حياته الخاصة العلمية منها والاجتماعية ، واقبال الدنيا عليه ، وادبارها عنه ، مقدما عظاته الصادقة المنتزعة من اختباراته وتجاربه • ومقامته الاخيرة نقد لجوانب من فساد المجتمع بشكل قصة رمزية[٣٠]•اذن فنحن لا نجد فى مقامات الآلوسي السخرية الاجتماعية، الترف العقلى ، والتعليم اللغوى وانما نجد الدروس القيمة فى فلسفة الحياة والمجتمع • وليس من المستبعد كما يشير كلام الاستاذ العزاوى ان يكون تنبيه لخطر طائفة البكتاشية فى مقاماته الاخيرة ، قد اسرع فى القضاء عليهم من قبل الدولة سنة ١٢٤١هـ • علما بان الآلوسى قد كتب هذه المقامة سنة ١٢٣١[٣١] •

---

(٢٧) مقامات الهمدانى • مقامات الحريرى• شوقى ضيف (الدكتور) الفن ومذاهبه فى النثر العربى ١٧٣ •

(٢٨) ذكرى أبى الثناء ٦٧ •

(٢٩) مصطفى جواد (الدكتور) الاساس فى تاريخ الادب العربى •

(٣٠) ذكر ابى الثناء ٦٧ •

(٣١) الفن ومذاهبه ١٧٩ ، ٢١٩ ـ ٢٢٣ •

٣ ـ ان مقامات الآلوسى متأثرة من حيث شكلها باسلوب المقامات القديمة ، فنحن لا ننتهى من مقاماته كلها الا ونجد انفسنا امام السجع الملتزم والمجانسات والمطابقات والتشابيه والاستعارات ، ولكن الفرق بينه وبين الهمداني والحريري ، انه لا يحشد مقاماته بالغريب ولا ينشغل عن المعاني الاخلاقية بتدبيج الاساليب ، واللعب بالالفاظ ، والتصعيب فى الآداء كما كانا يفعلان وخاصة الحريرى(٣٢) .

والآلوسى فى اسلوبه اقرب الى التأثر بمقامات الهمدانى منـه الى مقامات الحريرى . وهو يجارية احيانا ، ويقتبس عنه عبارات معينة فـى الموضوعات المتشابهة . يقول الآلوسى فى وصف المائدة التى اعدها للشيخ فى مقامته (الرمزية) (سجع القمرية) (ثم قدمت مائدة كدارة البـدر اللطيفة ، محفوفة بكل ظريفة ، عليها ارغفة تصفع القضا ، وتشير باكفهـا للجالسين بالشروع . وان تسأل عن اللوزينج فى اواني الفيروزج فهو ليلى العمر ، يومى النشر رقيق القشر ، كثيف الحشو ، لولبى الدهن ، كوكبى اللون يذوب كالصمغ قبل المضغ)(٣٣) . وجمله القصيرة الاخيرة مقتبسة من المقامة البغدادية لبديع الزمان الهمدانى (زن لابى زيد من اللوزينـج رطلين فهو أجرى فى الحلوق ، وامضى فى العروق ، وليكن ليلى العمر ، يومى النشر ، رقيق القشر ، كثيف الحشو ، لؤلؤى الدهن ، كوكبى اللون ، يذوب كالصمغ قبل المضغ)(٣٤) .

٤ ـ والآلوسى يسير على منوال الهمدانى والحريرى فى كثـرة الاستشهاد بالشعر كما اشرنا الى ذلك من قبل(٣٥) .

---

(٣٢) مقامات ابن الآلوسى ٥٩ .
(٣٣) مقامات ابن الآلوسى ١١٢ .
(٣٤) مقامات بديع الزمان الهمدانى ٦٨ .
(٣٥) الفن ومذاهبه ١٧٩ .



الباب الثاني

الفصل الاول

الصورة العامة للكتاب

(١) تاريخ كتابته وفراغه منه

(٢) نسخة المخطوطة والمطبوعة

(٣) وصفه

(١) **تاريخ كتابته وفراغه منه :ـ** ذكر الآلوسى أنه منذ الصغر لم يزل متطلبا لاستكشاف سر كتاب الله المكتوم ، مترقبا لارتشاف رحيقه المختوم ، وانه طالما فرق نومه لجمع شوارده ، وفارق قومه لوصال خرائده ، لا يرفل فى مطارف اللهو كما يرفل اقرانه ولا يهب نفائس الاوقات لخسائس الشهوات كما يفعل اخوانه ، وبذلك وفقه الله للوقوف على كثير من حقائقه، وحل وفير من دقائقه . واضاف انه قبل ان يكمل العشرين من عمره ، شرع يدفع كثيرا من الاشكالات التى ترد على ظاهر النظم الكريم ، ويتجاهر بمالم يظفر به فى كتاب من دقائق التفسير . ثم ذكر انه استفاد من علماء عصره واقتطف من ازهارهم واقتبس من انوارهم واودع علمهم صدره ، وافنى فى كتابة فوائدهم حبره ، وذكر انه كثيرا ما خطر له ان يحرر كتابا يجمع فيه ما عنده من ذلك ، وانه كان يتردد فى ذلك الى ان رأى فى ليلة من ليلى الجمعة من شهر رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين والف من الهجرة ، أن الله جل شأنه امره بطى السموات والارض ورتق فتقهما على الطول والعرض ، فجعل يفتش لرؤياه عن تعبير ، فرأى فى بعض الكتب انها اشارة الى تفسير القرآن الكريم ، فبدأ به فى السادس عشر من شعبان سنة اثنتين وخمسين ومائتين بعد الالف ، وكان عمره اربعاً وثلاثين سنة ، وكان ذلك ايام السلطان محمود خان العدلى[١] . وظل الآلوسى حائرا لا يعرف ماذا يسمى تفسيره ، الى ان سماه الوزير على رضا باشا بـ(روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى)[٢] .

فرغ الآلوسى من المجلد الاول من تفسيره الذى يشمل الفاتحة والبقرة وآل عمران فى غرة محرم سنة (١٢٥٤هـ)[٣] وارسله الى الدولة العلية ، ثم ارسل المجلد الثانى والمجلد الثالث ، فوصله السلطان محمود

---

(١) روح المعانى ١/٤ .
(٢) المصدر السابق ١/٤ .
(٣) المصدر السابق ١٧٨/٤ .

بوسام ، وهنأه الشعراء على ذلك[٤] ، ثم اتم المجلد الرابع سنة (١٢٥٨هـ) وصادف ذلك عزل الوزير على رضا وتولية نجيب باشا ، فارسل ذلك المجلد الى اسطنبول فى ايامه[٥] ، وحينذاك وجه اليه قضاء ازمير بفرمان سلطانى سنة (١٢٥٩هـ) • وكتب المجلدات الخمس الأخرى فقدمها الى السلطان عبدالمجيد الثانى ، وكان قد انتهى منه ليلة الثلاثاء لاربع خلون من شهر ربيع الآخر ١٢٦٧هـ • وهذه النسخ محفوظة الى الآن فى خزانة راغب باشا فى اسطنبول تت رقم ١٨٥ ، ١٩٣[٦] •

استغرق تاليفه لهذا التفسير اربع عشرة سنة وسبعة اشهر واحدعشر يوما وتحدثوا ان سلوكه فى تفسيره كان امرا عظيما ، وسرا من الاسرار غريبا ، فان نهاره كان للافتاء والتدريس ، واول ليله لمنادمة مستفيد وجليس ، فيكتب بآواخر الليل منه ورقات فيعطيها صباح اليوم التالى للكتاب الذين وظفهم فى داره فلا يكملونها تبيضا الا فى نحو عشر ساعات[٧] • والحق ان الآلوسى قد كرس حياته لهذا التفسير ، فعلى الرغم من ان حياته الخاصة كانت مضطربة كما علمنا ، وعلى الرغم من أن حياته الاجتماعية كانت حافلة بوجوه النشاط ، وعلى الرغم من انه كان مشغولا بالافتاء والتدريس ، والكتابة والتأليف فى مختلف نواحى العلم كما يتبين لنا من دراسة تفسيره ، فقد اتم تفسيره على احسن ما يكون ، حتى احتل مكانه فى العالم الاسلامى ، ووضع بين كتب التفسير الشهيرة لكبار المفسرين •

(٢) **نسخة المخطوطة والمطبوعة :** توجد مخطوطات متباينة لهذا التفسير فى المكتبات المختلفة فى بغداد واسطنبول منها ما هو بخط الآلوسى ومنها ما هو بخط تلامذته او خطاطى عصره • وسأبدا بعرض المجلدات

---

(٤) حديقة الورود ١/١٤٤ ـ ١٥٦ •
(٥) المصدر السابق ١/١٥٧ •
(٦) ذكرى أبى الثناء ٨٦ •
(٧) اريج الند والعود ٣ •

ومكان وجودها •

المجلد الاول :ـ توجد نسخة منه فى مكتبة المرحوم هاشم لآلوسى. ببغداد ، وهي مسودة المؤلف • كتب الآلوسي الآيات والتفسير بخط اسود جميل ، ثم عدل عن هذه الطريقة فكتب الآيات بخط احمر اعتبارا من الآية الكريمة (اولئك لا خلاق لهم فى الآخرة)•وقد فرغ المؤلف منه فى ٥ محرم سنة ١٢٥٢هـ • وتوجد نسخة اخرى من هذا المجلد فى مكتبة المرحوم ابراهيم الالوسى وهو مجلد مع المجلد الثانى ، وكتب على ظهره (المجلد الاول والثانى من روح المعانى يوجد ايضا فى مدرسة الشروانى فى مكة المكرمة • وفى اسلامبول بمدرسة الراغب كامل ومنه عند حضرة عاكف باشا ة وحضرة عبدى باشا السردار الاكرم وعند المغربى قريب الشيخ طاهر فى الاسكندرية • كتب هذا المجلد (الاول والثانى معا) سنة ١٢٩٢ هـ بخط ملا محمد بن علي سينه • والنسخة الثالثة فى بغداد توجد فى مكتبة الاوقاف العامة • وهي تشمل كذلك المجلدين الاول والثانى • وفى بداية هذه النسخة تقريظان احدهما للشيخ الأزهرى يوسف النابلسى الحنبلى يدعو ابناء مصر الى طبعة • وقد احضر هذه النسخة الى مصر ابنه نعمان خيرالدين سنة ١٢٩٥هـ • والتقريظ الثانى للشيخ الازهرى محمد الاشمونى ، وفى بداية المجلد التقاريض التى نشرت فى اول طبعة بولاق • والظاهر ان طبعة بولاق قد اخذت من هذه النسخة وهى نسخة مذهبة مكتوبة بخط جيد من اول البقرة الى آخر سورة الانعام • كتب هذا المجلد السيد محمد امير خطيب الحضرة القادرية •

المجلد الثانى : مرّ بنا ان المجلد الثانى يوجد مع المجلد الاول فى مكتبة المرحوم ابراهيم الآلوسى وفى مكتبة الاوقاف العامة ، وتوجد نسخة اخرى من المجلد الثانى هذا بخط الآلوسى مع المجلد الثالث فى مكتبة المرحوم هاشم الآلوسى ، وهو خط صغير وجميل يكاد لا يقرأ بالعين المجردة • وفى هذه

النسخة شطب كثير واضافات وتعليقات كثيرة اضافها الآلوسى بخط يده فيما بعد • وتوجد نسخة اخرى من هذا المجلد فى مكتبة ابراهيم الآلوسى كتب على الصفحة الاولى (بهذا الجزء يوجد نظير له فى اسلامبول بمدرسة كتبخانه راغب باشا ، وفى مكة المكرمة بمدرسة شروانى زاده وعند عبدى باشا السردار الاكرم فلا تغفل) •

المجلد الثالث : توجد نسخة من هذا المجلد بخط المؤلف مع المجلد الثانى فى مكتبة المرحوم هاشم الآلوسى كما مرّ بنا ، وتوجد نسخة ثالثة من هذا المجلد مع المجلد الرابع فى مكتبة الاوقاف العامة كتب على الصفحة الاولى (روح المعاني كتب لحضرة المؤلف ، وهناك عبارة اخرى بخط ابنه نعمان نصها (ثم وصل الى بالأرث من تركته قدس سره وعمنا بره • انا الفقير نعمان بن المؤلف المبرور السيد محمود المفتى ببغداد آلوسى زادة وذلك سنة ١٢٧٥هـ) • وهذه النسخة مذهبة فى غاية الجودة ، خطها ممتاز تحتوى على سور (الاعراف والانفال والتوبة ويونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم وحجر والنحل والاسراء) اما كاتب هذا المجلد فهو محمد الجواد ، كتبه سنة ١٢٧٠ هـ وهناك عبارة تقول (على مسودة المؤلف بامره العالىسنة السبعين بعد المائتين والالف) •

المجلد الرابع : توجد نسخة من هذا المجلد مع المجلد الخامس فى مكتبة المرحوم هاشم الآلوسى • وخط هذا المجلد اوضح من المجلدات السابقة التى هى بخط يده ، والشطب فيه قليل اتمه مع المجلد الخامس فى ٥ ذى الحجة سنة ١٢٦٠ هـ • وتوجد نسخة اخرى منه مع المجلد الثالث فى مكتبة الاوقاف العامة كما مرّ بنا ، ولم أجد المجلد الرابع فىمكتبة المرحوم ابراهيم الألوسى •

المجلد الخامس : توجد نسخة منه بخط المؤلف كما مرّ بنا مع المجلد الرابع فى مكتبة المرحوم هاشم الآلوسى • وتوجد نسخة اخرى من هذا

المجلد فى مكتبة المرحوم ابراهيم الآلوسى ، استكتبه ابنه نعمان وهو يحتوى على سورة الكهف الى سورة المؤمنين . فرغ منه الآلوسى سنة ١٢٦٠ هـ . كتب هذا المجلد محمد بن على سبنة سنة ١٢٩٢ هـ .

المجلد السادس : توجد نسخة منه بخط المؤلف فى مكتبة الاوقاف العامة ، كتب الآلوسى هذا المجلد على ورق ابيض جيد بخط جميل صغير ، عليه تعليقات واضافات ومحا الآلوسى منـــه كثيرا من الاسطر والعبارات . وصل هذا المجلد الى ابنه عبد الباقي سنة ١٢٧٥هـ ثم الى اخيه نعمان سنة ١٢٩٣ هـ . كتب الآلوســى الآيات بخط احمر ، اتمه فى سبع بقين مـــن ذى الحجة الحرام ختام السنة الثانية والستين بعد الالف والمائتين الى آخر سورة السجدة .

المجلد السابع : لم أجد هذا المجلد فى احدى هذه المكتبات .

المجلد الثامن : توجد نسخة من هذا المجلد فى مكتبة المرحوم ابراهيم الآلوسى كتبت سنة ١٢٩٤ هـ على مسودة المؤلف بطلب من ابنه نعمان خيرالدين وكاتبه هو محمد بن على سينه . وتوجد نسخة ثانية ايضا فى هـذه المكتبة مجلدة مـــع المجلد التاسع كتب سنة ١٢٨٨ هـ بقلم محمد جعفر بن ميرزا احمد الاصفهاني .

المجلد التاسع : وهو مـــع المجلد الثامن موجود فى مكتبة المرحوم ابراهيم الآلوسى . انتهى الآلوسي من هذا المجلد وهو الاخير ليلة الثلاثاء لاربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٦٧ هـ . وخط هذا المجلد دون خطوط المجلدات الاخرى فى الجودة .

أما النسخ الخطية الموجودة فى تركيا ، فهي التي كان الآلوسي قد أرسلها الى السلطان محمود خان الثاني والسلطان عبدالمجيد الثاني وهي محفوظة الآن فى مكتبة راغب باشا فى اسطنبول تحت رقم ١٨٥ ، ١٩٣ .

وقد كتبت الى من أثق به فى الضبط ، اطلب منه ان يصف لي المجلدات المودعة فى مكتبة راغب باشا فكتب لي مشكورا :

المجلد الاول : كتب فى محرم ١٢٥٤ هـ وعدد أوراقه ٥٤٦ ورقة ، كل صفحة تتكون من ٣١ سطرا ، استنسخه محمد امين الموصلي •

المجلد الثاني : كتب فى سنة ١٢٥٥ هـ ويتكون من ٤٠٣ ورقات ، استنسخه الموصلي •

المجلد الثالث : كتب فى سنة ١٢٥٧ هـ ويتكون من ٤٢٧ ورقة ، استنسخه الموصلي •

المجلد الرابع : كتب فى سنة ١٢٥٩ هـ ويتكون من ٤١٤ ورقة ، استنسخه الموصلي •

المجلد الخامس : كتب فى سنة ١٢٦٠ هـ ويتكون من ٤٢٩ ورقة ، استنسخه الموصلي •

المجلد السادس : كتب فى سنة ١٢٦٢ هـ ويتكون من ٤٤٠ ورقة ، استنسخه الموصلي •

المجلد السابع : كتب فى سنة ١٢٦٤ هـ ويتكون من ٤٢٥ ورقة ، استنسخه عبدالرحيم •

المجلد الثامن :كتب فىسنة ١٢٦٦ هـ ويقع فى٣٠٣ ورقات، استنسخه علي بن محمد الشريف •

المجلد التاسع : انتهى منه فىسنة ١٢٦٧ هـ وعدد أوراقه ٣٠٤ ورقات المستنسخ غير معلوم •

ان المجلد الاول يحتوي على عدة مقدمات شغلت ١٤ ورقة تبدأ بمقدمة الموصلي مستنسخ المجلدات الستة الاولى ، فمقدمة نظامالدين عبدالغفور وملا محمد الراوي وملا ابراهيم واعظ جامع مرجان وأحمد الحافظ

قايمغجي زادة ومحمد سعيد المفتي ومحمـد طبقچلي زادة مدرس العنيـة.
والسيد محمد أمين خطيب الحضرة العادلية وواعظها ومقدمة شعرية لمحمـد
المكي العـزلي الموصلي وأسـعد مدرس آل صـنعة ، ومحمـد الكـردي
السهرودري البوكاني ومقدمة شعرية لعبدالحميد ، ويلي تلك المقدمات بحث
للآلوسي تحت عنوان الفوائد السبعة تستغرق عشرين ورقة ، يأتي بعـدها
التفسير . اودع الكتاب فى مكتبة راغب باشا فى اسطنبول يوم الاربعاء شهر
جمدى الاولى من سنة ثمان وستين ومائتين وألف .

اما نسخه المطبوعة فهي :

١ ـ النسخة المطبوعة فى مطبعة بولاق لاول مرة سنة ١٣٠١ هـ بمصر
وهي فى تسعة مجلدات ضخام ، طبعت فى مقدمة هـذه الطبعة تسعة عشر
تقريظا لكبار العلماء والشعراء الذين عاصروا الآلوسي ، ويليها كتاب (أريج
الند والعود) فى ترجمة شيخنا ابى عبدالله شهابالدين السيد محمود ، وهو
مختصر كتاب حديقة الورود . وعيب هذه الطبعة أن الآيات القرآنية غـير
مضبوطة بالشكل .

٢ ـ الطبعة الثانية من هذا التفسير كانت فى المطبعة المنيرية فى مصر
وهي فى اثنى عشر مجلدا ، على ورق أبيض صقيل ، حروفها واضحة والآيات
القرآنية مشكولة وأكبر حجما من الكتابة الاعتيادية فى التفسير . وطبعت
باذن علامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي ، وليس عليها تاريخ .

ملاحظـة :

طرق سمعي وأنا أبحث فى هذا الموضوع أن التفسير المطبوع للآلوسي
فيه تحريف فى بعض الامور التي تخص مذهب السلف ومعتقدات الصوفية
وزعموا ان الذي قام بهذا التحريف هو ابنه السيد نعمان خيرالدين وانا
أقول ان هذا قول باطل لا يستند على دليل ، فالنسخة المخطوطة موجودة
فى مكتبة الاوقاف العامة ومكتبات البيوتات الآلوسية ـ كما أشرنا اليها ـ

قرأتها وقارنت بينها وبين المطبوع فى مثـل تلك الاماكن التي زعمـوا ان التحريف دخل فيها فوجدت مطابقة تامة بين ما هو مخطوط وما هو مطبوع ، وهذا يكفي لرد هذه الفرية العجيبة •

ولقد عرضت هذه المسألة على الاستاذ محمد بهجت الاثري فانكرها نهائيا وقال ان المقارنة بين المخطوط والمطبوع تكفي لدحض هذه الدعوى • كما عرضته ايضا على الاستاذ منير القاضي فانكر علمه بها •

(٣) **وصفـه :ـ** بدأ الآلوسى تفسيره الضخم بخطبة الكتاب ، ثـم ذكر ان العلوم الدينية أرقى العلوم[٨] وبين انه شغل منذ الصغر بدراسـة التفسير وحل مسائله ، وأقوال العلماء فى ذلك[٩] • ثم ذكر تاريخ تفسيره وبين معنى التفسير والفرق بينه وبين التأويل[١٠] • ثم ذكر شرف هـــذا العلم[١١] ثم ذكر شروط المفسر[١٢] ومناهج أهل الرأي والمتصوفة فى التفسير[١٣] • وبعده دخل فى موضوع كلامي طويل حول القرآن ومراتب الكلام ونقل آراء العلماء ، ورد اعتراضاتهم بعضهم على بعض[١٤] • ثـم انتقل الى الكلام عن القراءات السبع وجمع القرآن وترتيبه[١٥] ، ثم تكلم فى أعجاز القرآن وعرض آراء العلماء فى ذلك[١٦] •

ثم بدأ تفسير السور ، وعادته ان يقطع الآيات كلمة أو جملة ناقصة أو تامة دون أن يكتب حزبا أو نصف حزب أو ربع حزب أو آيات معينة •

---

(٨) روح المعانى ١/٢ •
(٩) المصدر السابق ١/٣ •
(١٠) المصدر السابق ١/٤ •
(١١) المصدر السابق ١/٥ •
(١٢) المصدر السابق ١/٥ ، ٦ •
(١٣) المصدر السابق ١/٧ ، ٨ •
(١٤) المصدر السابق ١/١٠ ـ ٢٠ •
(١٥) المصدر السابق ١/٢٠ ـ ٢٧ •
(١٦) المصدر السابق ١/٢٧ ـ ٣٣ •

والذي نلاحظه أن الآلوسي قد صبّ مقدرته العلمية فى الاجزاء الاولى من تفسيره ، فهي أصعب الاجزاء فهما ، وأكثرها تفصيلا ، وكأن الآلوسي أراد أن يبين للقارىء فهمه العميق واطلاعه الواسع على كتاب الله • وهذا مما لا يؤاخذ عليه لان الانسان بفطرته يحاول أن يبدأ أعماله بكل ما أوتي من قـــوة •

والذي لاحظته أيضا أن المؤلف يحاول أن يتجنب التكرار ، فهو كثيرا ما يحيلك فى الآيات المتشابهات الى الآية الاولى حيث بسط الكلام فيها أما اذا حصل على شيء جديد أو رأي لم يكن قد ذكره ، فانه يذكره فى أقرب فرصة مناسبة • ولذلك فان الذي يريد ان يدرس رأي الآلوسي فى مسألة معينة فما عليه الا ان يجمع الآيات فى ذلك الموضوع ثم ينظر فى تفسيرها جميعـا •

وتفسير الآلوسي ملتقى التفاسير ، يجمع فيه الآراء ، وينسق فيه الافكار ، مقارنا مرجحا مفندا ، أي انه أراد أن يجمع المناهج المختلفة فى منهج واحد ، نستطيع أن نسميه بـ (المنهج الجمعي) فى التفسير أو (المنهج الموسوعي) •

والذي ليست له خبرة بهذا التفسير يظن أن الآلوسي متناقض فى تفسيره للآيات بسبب جمعه بين المناهج والحال ان شخصيّة الآلوسي تتضح امـــام الباحث اذا قرأالتفسير كله ، وأرجو أن أوفق فى الفصول القادمة أن أضع يدي على هذه الشخصية العلمية الغريبة •

وهذا المنهج الذي اصطنعه الآلوسي منهج جديد حقا ، اذ كان المفسرون قبله ذوي مناهج معينة ، كل له منهج خاص • ولم يحاول أحد منهم أن يجمع تلكم المناهج جميعا وبنفس القوة فى تفسيره • لقد أكد المفسرون أمثال ابن جرير والسمرقندي والثعلبي والبغـوي وابن عطيـة وابن كثـير والثعالبي والسيوطي على الجانب المأثور من التفسير[١٧] • وأكد الزمخشري على

---

(١٧) التفسير والمفسرون ١/٢٠٥ ـ ٢٨٧ • التفسير ورجاله ٦٩ •

المذهب البياني[١٨] والرازي على المذهب العلمي والكلامي[١٩] والبيضاوي جمع بين مذهب الزمخشري والرازي[٢٠] وأبو حيان أكد على الجانب النحوي[٢١] وأبو السعود عني بالكشف عن بلاغة القرآن وسر اعجازه[٢٢]. وكذلك مفسرو المذاهب الفقهية والصوفية والباطنية ، كل صب جل اهتمامه على ناحيته الخاصة[٢٣] . ولكن المفسر الوحيد ـ كما أرى ـ الذي جمع بين تلكم المناهج جميعها هو الآلوسي فانت تقرأ تفسيره وتراه يهتم بالمذهب العقلي كما يهتم بالمذهب النقلي وانه يعنى بالمذاهب الفقهية كعنايته بالمسائل اللغوية ، ولا يترك عرض آراء الملل والنحل ومناقشتها كما لا يترك عرض الاخبار والقصص والتاريخ . وجدير بنا ونحن نقرر هذه الفكرة ان نرجع الى هذا التفسير ونقتبس منه بعض النماذج التي توضح لنا ما ذهبنا اليه توضيحا كاملا .

قال الآلوسي مبينا وجوه القراءات المختلفة في قوله تعالى (مالك يوم الدين) (قرأ مالك كفاعل محفوضا عاصم والكسائي وخلف في اختياره ويعقوب ، وهي قراءة العشرة الا طلحة والزبير وقراءة كثير من الصحابة منهم أبي وابن مسعود ومعاذ وابن عباس ، والتابعين منهم قتادة والاعمش . وقرأ ملك كفعل بالخفض ايضا باقي السبعة وزيد وأبو الدرداء وابن عمرو والمسور وكثير من الصحابة والتابعين وقرأ ملك على وزن سهل ابو هريرة وعاصم والجحدري ورواها الجعفي وعبدالوارث عن ابى عمرو وبكر بن وائل وقرأ

---

(١٨) التفسير والمفسرون ٤٤٣/١ . التفسير ورجاله ٧٧ .
(١٩) التفسير والمفسرون ٢٩٤/١ . التفسير ورجاله ٦٩ .
(٢٠) التفسير والمسرون ٢٩٧/١ . التفسير ورجاله ١٠٣ .
(٢١) التفسير والمفسرون ٣١٨/١ .
(٢٢) التفسير والمفسرون ٣٤٩/١ . التفسير ورجاله ١١٩.
(٢٣) التفسير والمفسرون ٣/٢ ، ٢٣٥ ، ٣٠٥ . ٤٥/٣ ، ٨٣ ، ٩٨ . مناهج التفسير الاسلامى جولدزيهر ٧٣ ، ١٢٠ ، ٢٠١ ، ٢٨٦ . مناهل العرفان فى علوم القرآن ٤٩٦ ، ٥٣٣ ، ٥٣٧ ، ٥٤٢ ، ٥٤٤ .

ملكي باشباع كسرة الكاف احمد ابن صالح عن ورش عن نافع وقرأ ملك عجل ابو عثمان والشعبي وعطية ، وقرأ أنس بن مالك وأبو نوفل عمرو بن مسلم البصري ملك يوم الدين بنصب الكاف من غير الف وقرأ كذلك الا انه رفع الكاف سعد بن أبي وقاص وعائشة ، وقرأ ملك فعلا ماضيا أبو حنيفة على ما قيل وأبو حيوة وجبير بن مطعم وأبو عاصم عبيد بن عمير الليثي وينصبون اليوم ، وذكر ابن عطيه أن هذه قراءة علي بن أبى طالب كرم الله وجهه والحسن ويحيى بن يعمر ، وقرأ مالك بالنصب الاعمش ايضا وابن السميقع وعثمان بن ابى سلمان وعبدالملك قاضى الهند • وذكر ابن عطية أنها قراءة عمر بن عبدالعزيز وابى صالح السمن ، وروى ابن عاصم عن اليماني مالكا بالنصب والتنوين ، وقرأ مالك برفع الكاف والتنوين • ورويت عن خلف وابن هشام وابى عبيد وابى حاتم بنصب اليوم • وقرأ مالك يوم بالرفع والاصافة أبو هريرة وأبو حيوة وعمر بن عبدالعزيز بخلاف عنهم ، ونسبها صاحب النوامع الى شداد العقيلي البصري • وقرأ مليك كفعيل أبو هريرة فى رواية وأبو رجاء والعطاردي وقرأ مالك بالامالة البليغة يحيى بن يعمر وأيوب السختياني ••• والمتواترة منها قراءة مالك وملك فهما نيرا سواريهما وقطب فلك داريهما)[24] •

وقال موضحا الجوانب النحوية المتصلة بقوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) : (يا) حرف لا اسم فعل على الصحيح ، وضع لنداء البعيد ، وقيل لمطلق النداء أو مشتركة بين أقسامه • وعلى الاول ينادي بها القريب لتنزيله منزلة غيره ، اما لعلو مرتبة المنادى أو المنادى ، وقد ينزل غفلة السامع وسوء فهمه منزلة بعده • وقد يكون ذلك للاعتناء بأمر المدعو له ، والحث عليه لان نداء البعيد وتكليفه الحضور لامر يقتضي الاعتناء والحث ، فاستعمل فى لازم معناه على انه مجاز مرسل أو استعارة تبعية فى الحرف أو مكنية

(٢٤) روح المعانى ١/٨٢ •

وتخييلية • وهو مع المنادى المنصوب لفظا أو تقديرا لنيابته عن نحو ناديت الانشائي أو بناديت اللازم الاضمار لظهور معناه مع قصد الانشاء كلام يحسن السكوت عليه كما يحسن فى نحو (لا ، ونعم) و (أي) لها معان شـهيرة والواقعة فى النداء نكرة موضوعة لبعض من كل ، ثم تعرفت بالنداء وتوصل بها لنداء ما فيه (أل) لان (يا) لا يدخل عليها فى غير الله الا شذوذا لتعذر الجمع بين حرفي التعريف ، فانهما كمثلين وهما لا يجتمعان الا فيما شـذ من نحو

فـــلا والله لا يلفى لمـــا بي ولا للمـا بهـم ابـدا دواء

وأعطيت حكم المنادى وجعل المقصود بالنداء وصفا لها والتزم فيه هذه الحركة الخاصة المسماة بالضمة خلافا للمازني ، فانه أجاز نصبه ، وليس له فى ذلك سلف ولا خلف لمخالفته للمسموع ، وانما التزم ذلك اشعارا بانه المقصود بالنداء ولا ينافي هذا كون الوصف تابعا غير مقصود بالنسبة لمتبوعه ، لان ذلك بحسب الوضع الاصلي حيث لم يطرأ عليه ما يجعله مقصودا فى حد ذاته ككونه مفسرا لمبهم • ومن هنا لم يشترطوا فى هذا الوصف الاشتقاق مع ان النحويين الا النذر كابن الحاجب اشترطوا ذلك فى النعوت على ما بين فى محله • و (ها) التنبهية زائدة لازمة للتأكيد والتعويض عما تستحق من المضاف اليه أو ما فى حكمه من التنوين كما فى (أيا ما تدعو) وان لم يستعمل هنا مضافا أصلا وكثر النداء فى الكتاب المجيد على هذه الطريقة لما فيهـا من التأكيد الذى كثيرا ما يقتضيه المقام بتكرر الذكر والايضاح بعد الابهام والتأكيد بحرف التنبيه واجتماع التعريفية • هذا ما ذهب اليه الجمهور وقطع الاخفش – لضعف نظره – بان ايا الواقعة فى النداء موصولة حذف صدر صلتها وجوبا لمناسبة التخفيف للمنادى وأيد بكثرة وقوعها فى كلامهم موصولة ، وندرة وقوعها موصوفة ، واعتذر عن عدم نصبها حينئذ مع انها مضارعة للمضاف بانه اذا حذف صدر صلتها كان الاغلب فيها البناء على الضم • فحرف النداء عـلى

هذا يكون داخلا على مبني على الضم ولم يغيره ، وان كان مضارعا للمضاف ، ويؤيد الاول عدم الاحتياج الى الحذف وصدق تعريف النعت والموافقة مع هذا وانها لو كانت موصولة لجاز ان توصل بجملة فعلية أو ظرفية الى غير ذلك مما يقطع المنصف معه بارجحية مذهب الجمهور[٢٥] .

وقال مفصلا جوانب بلاغية فى الآية الكريمة (على هدى) استعارة تمثيلية تبعية حيث شبهت حال اولئك وهي تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحال من اعتلى الشيء وركبه ثم استعير للحال التي هي المشبه المتروك كلمة الاستعلاء المستعملة فى المشبه به والى ذلك ذهب السعد وأنكر السيد اجتماع التمثيلية والتبعية لان كونها تبعية يقتضي كون كل من الطرفين معنى مفردا لان المعاني الحرفية مفردة ، وكونها تمثيلية يستدعي انتزاعها من امور متعددة وهو يستلزم تركبه وابدى قدس سره فى الآية ثلاثة أوجه : الاول انها استعارة تبعية مفردة بان شبه تمسك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه فى تبعية مفردة بأن شبه تمسك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه فى التمكن والاستقرار فاستعير له الحرف الموضوع للاستعلاء . الثاني أن يشبه هيئة منتزعة من التقى والهدى وتمسكه به بالهيئة المنتزعة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه فيكون هناك استعارة تمثيلية تركب كل من طرفيها ، لكن لم يصرح من الالفاظ التي بازاء المشبه به الا بكلمة (على) فان مدلولها هو العمدة فى تلك الهيئة وما عداه تابع له ، ملاحظ فى ضمن ألفاظ منوية وان لم تقدر فى نظم الكلام فليس فى (على) استعارة أصلا بل هي على حالها قبل الاستعارة كما اذا صرح بتلك الالفاظ كلها . الثالث أن يشبه الهدى بالمركوب على طريق الاستعارة بالكناية وتجعل كلمة (على) قرينة لها على عكس الوجه الاول . وهذا الخلاف بين الشيخين فى هذه المسألة مما سارت به الركبان ، وعقدت له المجالس ، وصنفت فيه

---

(٢٥) روح المعانى ١/١٨١ ، ١٨٢ .

الرسائل[٢٦]

وقال مبينا نكاح المتعة فى قوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) : وقيل الآية فى المتعة ؛ وهي النكاح الى اجل معلوم من يوم أو أكثر ، والمراد (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به) من استئناف عقد آخر بعد انقضاء الاجل المضروب فى عقد المتعة بان يزيد الرجل فى الاجر وتزيده المرأة فى المدة والى ذلك ذهبت الامامية والآية أحد ادلتهم على جواز المتعة • وأيدوا استدلالهم بها بانها فى حرف ابى (فما استمتعتم به منهن) الى اجل مسمى ، وكذلك قرأ بن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم ، والكلام فى ذلك شهير ولا نزاع عندنا فى انها حلت ثم حرمت وذكر القاضي عياض فى ذلك كلاما طويلا • والصواب المختار أن التحريم والاباحة كانا مرتين • وكانت حلالا قبل يوم خيبر ثم حرمت يوم خيبر ، ثم ابيحت يوم فتح مكة وهو يوم أوطاس لاتصالهما ثم حرمت يومئذ بعد ثلاث تحريما مؤبدا الى يوم القيامة ، واستمر التحريم ، ولا يجوز أن يقال ان الاباحة مختصة بما قبل خيبر والتحريم يوم خيبر للتأكيد ، وان الذي كان يوم الفتح مجرد توكيد التحريم من غير تقدم اباحة يوم الفتح اذ الاحاديث الصحيحة تأبى ذلك وفى صحيح مسلم ما فيه مقنع) وبعد أن ساق بعض الروايات المأثورة قال (وهذه لا تدل على الحل والقول بانها نزلت فى المتعة غلط ، وتفسير البعض لها بذلك غير مقبول ؛ لان نظم القرآن الكريم يأباه حيث بين سبحانه اولا المحرمات ثم قال عز شأنه (وأحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم وفيه شرط بحسب المعنى فيبطل تحليل الفرج واعارته ، وقد قال بهما الشيعة • ثم قال جل وعلا (محصنين غير مسافحين) وفيه اشارة الى النهى عن كون القصد مجرد قضاء الشهوة ، وصب الماء واسفراغ أوعية المني • فبطلت المتعة بهذا القيد لانه مقصود المتمتع الا ذاك دون التأهل والاستيلاء وحماية الذمار والعرض •

---

(٢٦) المصدر السابق ١٢٤/١ •

ولذا تجد المتمتع بها فى كل شهر تحت صاحب وفى كل سنة بحجر ملاعب ، فالاحصان غير حاصل فى امرأة المتعة اصلا • ولهذا قالت الشيعة ان المتمتع الغير الناكح اذا زنى لا رجم عليه ، ثم فرع سبحانه على حال النكاح قوله عز من قائل (فاذا استمتعتم) وهو يدل على أن المراد بالاستمتاع هو الوطء والدخول لا الاستمتاع بمعنى المتعة التي يقول بها الشيعة • والقراءة التي ينقلونها عمن تقدم من الصحابة شاذة • وما دل على التحريم كآية (الا على أزواجهم أو مالكت أيمانهم) قطعي فلا تعارضه على أن الدليلين اذا تساويا فى القوة وتعارضا فى الحل والحرمة قدم دليل الحرمة منهما • وليس للشيعة أن يقولوا ان المرأة المتمتع بها مملوكة لبداهة بطلانه أو زوجة لانتفاء جميع لوازم الزوجية كالميراث والعدة والطلاق والنفقة فيها ، وقد صرح بذلك علماؤهم • وروى ابو نصير منهم فى صحيحه عن الصادق رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن امرأة المتعة أهي من الاربع قال لا ولا من السبعين ، وهو صريح فى انها ليست زوجة والا لكانت محسوبة فى الاربع ، وبالجملة الاستدلال بهذه الآية على حل المتعة ليس بشيء كما لا يخفى[٢٧].

وقال شارحا مسألة الصفات وهي من المواضيع الكلامية (ثم أعلم أن كثيرا من الناس جعل الصفات النقلية من الاستواء واليد والقدم والنزول الى السماء الدنيا والضحك والتعجب وأمثالها من المتشابه ومذهب السلف والاشعري رحمه الله تعالى من اعيانهم ـ كما ابانت عن حالة الابانه ـ أنها صفات ثابتة وراء العقل ما كلفنا الا اعتقاد ثبوتها مع اعتقاد عدم التجسيم والتشبيه لئلا يضاد النقل العقل ، وذهب الخلف الى تأويلها وتعيين مراد الله تعالى منها فيقولون الاستواء مثلا بمعنى الاستيلاء والغلبة ، وذلك أثر من آثار بعض الصفات الثمانية التي ليس لله تعالى عندهم وراءها صفة ، حتى ادعى السكوتي ـ وليته سكت ـ أن ما وراء ذلك ممتنع اذ لا يلزم من نفيه محال ،

(٢٧) روح المعاني ٥/٥ ـ ٧ .

وكل ما لا يلزم من نفيه محال لا يكون واجبا • والله تعالى لا يتصف الا بواجب وذكر الشعراني فى الدرر المنثورة أن مذهب السلف أسلم وأحكم اذ المؤل انتقل عن شرح الاستواء الجسماني على العرش المكاني بالتنزيه عنه التشبيه السلطاني الحادث وهو الاستيلاء على المكان ، فهو انتقال عن التشبيه بمحدث ما الى التشبيه بمحدث آخر ، فما بلغ عقله فى التنزيه مبلغ الشرع فيه قوله تعالى (ليس كمثله شيء) ألا ترى أنه استشهد فى التنزيه العقلي فى الاستواء • يقول شاعر :

قد استوى بشر على العراق   من غير حرب ودم مهراق[٢٨]

وقل وهو يخوض موضوعا فلكيا عند تفسيره لقوله تعالى (وهو الذي مد الارض) : واستدل بالآية على انها مسطحة غير كريه ، والفلاسفة مختلفون فى ذلك ، فذهب فريق منهم الى انها ليست كريه • وهؤلاء طائفتان فواحدة تقول انها محدبة من فوق مسطحة من أسفل فهي كقدح كب على وجه الماء • واخرى تقول بعكس ذلك ، وذهب الاكثرون منهم الى انها كرية فى الطول فلان البلاد المتوافقة فى العرض أو التي لا عرض لها كلما كانت أقرب الى الغرب كان طلوع الشمس وسائر الكواكب عليها متأخرا بنسبة واحدة ، ولا يعقل ذلك الا فى الكرة وأما فى العرض فلان السالك فى الشمال كلما أوغل فيه ازداد القطب ارتفاعا عليه بحسب ايغاله فيه على نسبة واحدة بحيث يراه قريبا من سمت رأسه ، وكذلك تظهر له الكواكب الشمالية وتخفى عنه الكواكب الجنوبية والسالك الواغل فى الجنوب بالعكس من ذلك ، وأما فيما بينهما فلتركب الامرين ، وأورد عليهم الاختلاف المشاهد فى سطحها ، فاجابوا عنه بان ذلك لا يقدح فى أصل الكرية الحسية المعلومة بما ذكر • فان نسبة ارتفاع أعظم الجبال على ما ستقر عليه استقراؤهم وانتهت اليه اراؤهم ، وهو جبل دماوند فيما بين الري وطبرستان أو جبل

---

(٢٨) روح المعانى ٨٨/٣ •

في سرنديب الى قطر الارض كنسبة سبع عرض شعيرة الى ذراع • واعترض ذلك بانه هب أن ما ذكرتم كذلك ، فما قولكم فيما هو مغمور في الماء ! فان قالوا : اذا كان الظاهر كريا فالباقي كذلك لانها طبيعة واحدة • قلنا فالمرجع حينئذ الى البساطة واقتضاؤها الكرية الحقيقية ولا شك انه يمنعها التضاريس وان لم تظهر للحس لكونها في غاية الصغر • لكن انت تعلم ان أرباب التعليم يكتفون بالكريه الحسية في السطح الظاهر فلا يتجه عليهم السؤال عن المغمور ولا يليق بهم الجواب بالرجوع الى البساطة ، والحق الذي لا ينكره الا جاهل أو متجاهل ان ما ظهر منها كرى حسا • ولذلك كرية الفلك تختلف أوقات الصلاة في البلاد ، فقد يكون الزوال ببلد ولا يكون ببلد آخر وهكذا الطلوع والغروب وغير ذلك وكرية ما عدا ما ذكر لا يعلمها الا الله تعالى • نعم انها لعظم جرمها الظاهر يشاهد كل قطعة وقطر منها كأنه مسطح ، وهكذا كل دائرة عظيمة ، وبذلك يعلم انه لا تنافي بين المد وكونها كرية(٢٩) •

وقال مفسرا آيات (المر) تفسيرات اشارية صوفية : (المر) أي الذات الاحدية واسمه العليم واسمه الاعظم ومظهره الذي هو الرحمة (تلك آيات) علامات (الكتاب) الجامع الذي هو الوجود المطلق (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) أي بغير عمد مرئية بل بعمد غير مرئية • وجعل الشيخ الاكبر قدس سره عمادها الانسان الكامل • وقيل النفس المجردة التي تحركها بواسطة النفس المنطبعة وهي قوة جسمانية سارية في جميع اجزاء الفلك ، لا يختص بها جزء دون جزء لبساطته وهي بمنزلة الخيال فينا وفيه ما فيه • وقيل رفع سموات الارواح بلا مادة تعميرها بل مجردة قائمة بنفسها) ثم استوى على العرش (بالتأثير والتقويم ، وقيل عرش القلب بالتجلي (وسخر الشمس) شمس الروح بادراك المعارف الكلية واستشراف الانوار العالية (والقمر) قمر القلب بادراك ما في العالية

(٢٩) روح المعاني ١٣/١٩ •

والاستمداد من فوق ومن تحت ، ثم قبول تجليات الصفات (كل يجري لاجل مسمى) وهو كماله بحسب الفطرة (يدبر الامر) فى البداية بتهيئة الاستعداد وترتيب المبادىء (يفصل الآيات) فى النهاية بترتيب الكمالات والمقامات (لعلكم بلقاء ربكم) عند مشاهدة آيات التجليات (توقنون) عين اليقين(٣٠) .

ان هذه النماذج المتنوعة من تفسير الآلوسى لا تعطينا فكرة واضحة عن المنهج الجمعي فى هذا التفسير ، الامر الذي يجعلنا ان نرفض وضعه تحت منهج معين كما فعل بعض الباحثين ، فالاستاذ محمد عبدالعظيم الزرقاني ادرج تفسيرالآلوسي مع التفاسير الاشارية(٣١) . والاستاذ محمد حسين الذهبي أدرجه مع التفاسير بالرأي(٣٢) . وكلاهما فى نظري مخطآن ، اذ انهما لم يستطيعا أن يتبينا المنهج الحقيقي للآلوسي فى تفسيره ، لانهما لم يقرآ التفسير بكامله كما تدل على ذلك الصفحة الواحدة التي كتبها الاول والصفحات العشر التي كتبها الثاني عن هذا التفسير . فالذي يقرأ تفسير الآلوسي يجد انه يفسر ـ الآيات كما قدمنا من خلال النماذج السابقة ـ تفسيرا جامعا شاملا يشمل مذاهب التفسير كلها .

لقد وجد الآلوسى أنه من الصعوبة على الباحث او العالم ان يطلع على مختلف انواع التفاسير ، فقدم تفسيره هذا ليكون جامعا او ليكون موسوعة تجد فيها الشىء الذى تريد . فنحن نجد في هذا التفسير مختصرا لتراث الامة الاسلامية فى التفسير والحديث واللغة وفروعها ، والعقائد والفلسفات وعلوم المنطق والكلام والفلك وغيرها من المعارف الانسانية .

لقد اتبع الآلوسى فى تفسيره هذا الطريقة العلمية . فقد بدأ من حيث

---

(٣٠) المصدر السابق ١٣/١٣٥ .
(٣١) مناهل العرفان ٥٥٢ .
(٣٢) التفسير والمفسرون ١/٣٥٢ .

انتهى المفسرون السابقون ثم زاد عليه من نظراته الخاصة وآرائه فى مختلف المسائل . وهو فى تفسيره طالب للحق ، لا يتعصب لرأى ، ولا يميل مع الهوى . ولو انه يتظاهر احيانا بذلك وخاصة فى مناصرته للحنفية المذهب الرسمي الذى كان يفتى به ، وهو لذلك يتراجع امام الحق . فهو يقرر فكرة فى بداية تفسيره ، ثم يتراجع عنها فى مكان آخر ، فمثلا يعتقد بايمان ابى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى سورة الانعام[٣٣] ثم يتراجع عن هذا الخطأ فى صورة الممتحنة[٣٤] . ويذهب الى ان ابا ابراهيم مات مشركا . ويمتدح السيد رشيد رضا موقفه هذا بقوله (وهذا هو اللائق بعلمه واستقلاله فى الفهم . وهذا شأن علماء السنة اذا قال احدهم قولا ثم ظهر له الدليل من الكتاب أو السنة الصحيحة على خلافه فانه يرجع عن قوله اليهما سواء كان الدليل من احدهما أو كليهما ، وهو من الخطأ الذى يغفره الله تعالى للمخلصين[٣٥] .

ومن سمات هذا التفسير انه يدل على مصادره ، فنحن خلال قراءتنا له نمر على مئات من الكتب . فالآلوسى فيه يعزو كل رأى الى صاحبه ، وقلما يذكر فى تفسير آية دون ذكر صاحبه . والآلوسى لم يصنع تفسيره للعوام وانما وضعه للعلماء الباحثين . ولذلك فان فهم هذا التفسير ومسائله يحتاج الى المعرفة الجيدة بمصطلحات العلوم المعروفة فى زمانه . وهذا لا يعني أن عباراته مغلقة أو انه اصطنع الغموض فى تفسيره . فالآلوسي كان أديبا كبيرا ، فكتابته لتفسيره كانت باسلوب أدبى مشرق يضرب على أوتار القلوب ، ويحبب كتاب الله الى النفوس . يقول عند كلامه على بعض معتقدات الصوفية (وعن بعض السادة قدس الله تعالى اسرارهم أن القرآن المنزل على

---

(٣٣) روح المعانى ١٩٥/٧ .
(٣٤) المصدر السابق ٧٢/٢٨ .
(٣٥) المنار ٥٥٣/٧ .

النبي المرسل صلى الله عليه وسلم ذو صفتين : صفة قهر وصفة لطف ، فمن تجلى له القرآن بصفة اللطف يزيد نور بصيرته بلطائف حكمته ، وحقائق أسراره ، ودقائق بيانه ، ويزيد بذلك نور ايمانه وتوحيده ، ويعرف بذلك ظاهر الخطاب وباطنه ، ومن يتجلى له بصفة القهر تزيد ظلمة طغيانه ، وينسد عليه باب غرفاته بحيث لا يدرك سر الخطاب فتكثر عليه الشكوك والاوهام والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (هدى للمتقين) وقوله سبحانه (يضل بـه كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين) وشبه بعضهم ذلك بنـور الشمس ، فانه ينتفع به من ينتفع ، ويتغرر به الخفاش ونحوه • ومن ذلك كتب كثير من الصوفية قدس الله تعالى أسرارهم ، فانه قد هدى بها أرباب القلوب الصافية ، وضل بها الكثير حتى تركوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات وعطلوا الشرائع ، واستحلوا المحرمات ، وزعموا والعياذ بالله تعالى أن ذلك هو الذى يقتضيه القول بوحدة الوجود التى هى معتقد القوم نفعنا الله تعالى بفتوحاتهم •



الفصل الثانى

مصادره ومنهجه

(١) مصـــادره

(٢) منهجـــه

مصـــادره :

ان مصادر تفسير الآلوسي هي التراث الاسلامي كله ، فلقد اتعب الرجل نفسه كثيرا في دراسة ذلك التراث ، وصب ما قرأ ووعى في تفسيره، بل ان حياة الآلوسي العلمية هي حياة هذا التفسير . فقد كلفه اكثر من اربعين سنة ، بضمنها المدة التي قضاها في كتابته . وسأذكر اولا التفاسير التي اعتمد عليها اكثر من غيرها :

١ ـ ابن عباس : هو من كبار المفسرين في عصر الصحابة ، وهو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يدعو له فيقول (اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل) ويقول (اللهم آته الحكمة) وسماه في رواية بترجمان القرآن . وكان الصحابة والتابعون يسمونه حبر الامة . والبحر لكثرة علمه[١] . ويسميه الآلوسي في تفسيره رئيس المفسرين واذا صح عنده ما نقل عنه فلا يعدل عنه[٢] .

استشهد به (٣٥٦٣) مرة في ظروف التنزيل وتأويل الآيات وشرح معاني الكلمات . وقد كثرت الروايات عن ابن عباس كثرة فائقة لأن تلامذته الذين سمعوا عنه ، والعلماء من الصحابة والتابعين الذين عاصروه ، نقلوا عنه ما سمعوه ، ونشروا علمه بين الناس .

كان ابن عباس رئيس مدرسة كبيرة في التفسير بمكة ، ضمت المفسرين الكبار امثال مجاهد بن جبر وعكرمة البربري وعطاء بن ابي رباح وطاوس بن اليمان وسعيد بن جبير[٣] .

وهنالك طرق كثيرة نقلت عن ابن عباس ، انتقد العلماء منها طريق

---

(١) الاتقان ٢/١٨٧ .
(٢) روح المعاني ١٣/١٢١ .
(٣) الاتقان ٢/١٨٩ .

الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس • يقول السيوطي (وأوهى طرقه طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فان انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير فهي سلسلة الكذب)[٤] •

والتفسير المنسوب الى ابن عباس باسم (تنوير المقياس من تفسير ابن عباس) من رواية محمد بن مروان السدى الصغير[٥] • فهو اذن ليس لأبن عباس • ولا يعتمد الآلوسى على هذا الطريق ، ويرد الروايات الضعيفة عنه ، ويقدم عليها ما قال به اكثر المفسرين[٦] • فمثلا نقل عنه فى تفسير الآية الكريمة (الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) بأنهم اليوم احياء سترهم الله عن اعين الناس ، وسيظهرون مع المهدى ويكونون من جملة انصاره ثم يموتون • ثم قال الآلوسى مفندا (والكل مما لا صحة له)[٧] •

وروى عن ابن عباس قال (كان لصاحبة سليمان اثنا عشر الف قيل ، تحت يد كل قيل مائة الف ، وقيل كن تحت يدها اربعمائة ملك كل ملك على كورة تحت كل ملك اربعمائة الف مقاتل ولها ثلثمائة وزير ، يدبرون ملكها ، ولها اثنا عشر الف قائد ، كل قائد تحت يده اثنا عشر الف مقاتل) يقول الآلوسى (وهذه الاخبار الى الكذب اقرب منها الى الصدق ، ولعمرى ان ارض اليمن لتكاد تضيق عن العدد الذى تضمنه الخبران الاخيران • وليت شعرى ما مقدار عدد رعيتها الباقين الذين تحتاج الى العسكر والقواد والوزراء لسياستهم وضبط امورهم وتنظيم احوالهم[٨] •

---

(٤) المصدر السابق ٢/١٨٩ •
(٥) التفسير والمفسرون ١/٨٢ •
(٦) روح المعاني ٧/١٨٠ •
(٧) المصدر السابق ١١/١٩٢ •
(٨) المصدر السابق ١٩/١٩٧ ، ١٩٨ ، انظر ١٢/٥٣ـ٥٥ و ١٣/٨٧ ، ٢٤٠ حيث يرد روايات اخرى لابن عباس •

ويلجأ الآلوسى احيانا بعد ذكر الروايات التي تسند الى ابن عباس الى عرض اقوال رجال الحديث فيها حتى يطلع القارىء على قيمتها العلمية[٩] .

والذى نلاحظه أن الآلوسى لم يقم تماما بغربلة جميع هذه الروايات ولعله كان مقتنعا بما نعتبره الآن مخالفا للحقيقة العلمية . اخرج ابن ابي حاتم وابو الشيخ فى العظمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال (الشمس بمنزلة الساقية تجرى بالنهار فى السماء فى فلكها فاذا غربت جرت فى الليل فى فلكه تحت الارض حتى تطلع من مشرقها وكذلك القمر[١٠] . فهذا القول مرفوض علما ولو صح اسناده الى ابن عباس ، لأن مبلغ العلم بالنجوم فى زمن ابن عباس لم يكن قد بلغ اكثر من هذا . فالآلوسى مخطىء فى نظرى عندما يقول انه لا يعدل عما صح عن ابن عباس ، فليس هنالك دليل لا من الكتاب ولا من السنة يثبت ان ابن عباس هو حجة على المسلمين فى المسائل الاجتهادية ، ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له لا يقوم دليلا ايضا على عصمته من الخطأ .

ويكثر الآلوسى من اقتباس النواحي اللغوية فى التفسير من ابن عباس ، لأنه قد اشتهر بذلك ، وكان على اطلاع واسع على لغة العرب وأدبهم ، كثير الاستشهاد بالشعر ، ولذلك اعتبره جولدزيهر أول من ابدع الطريقة اللغوية فى تفسير القرآن[١١] . قال تعالى (أو من كان ميتا فأحييناه) قال الآلوسى (المأثور عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه أن المراد بالميت الكافر الضال وبالاحياء الهداية وبالنور القرآن وبالظلمات الكفر والضلالة[١٢] .

وينقل عنه ايضا اسباب النزول ، ففي قوله تعالى (وجعلوا مما ذرأ من

---

(٩) المصدر السابق ٢١/١٦٩ .
(١٠) المصدر السابق ١٣/٢٢٤ و ٢١/٨٨ .
(١١) مذاهب التفسير الاسلامي ٦٩ . التفسير والمفسرون ١/٧٤ ، ٧٥ .
(١٢) روح المعاني ٨/١٨ .

الحرث والانعام نصيبا) قال (اخرج ابن ابي حاتم عن طريق العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى الآية : (انهم كانوا اذا احترثوا حرثا أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله تعالى منه جزءاً وجزءاً للوثن فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الاوثان حفظوه وأحصوه ، فان سقط شيء مما سمى للصمد ردوه الى ما جعلوه للوثن وان سبقهم الماء الذى جعلوه للوثن فسقى شيئا مما جعلوه لله تعالى جعلوه للوثن وان سقط شيء من الحرث والثمرة الذى جعلوه لله تعالى فاختلط بالذى جعلوه للوثن قالوا هذا فقير ولم يردوه الى ما جعلوا لله وان سبقهم الماء الذى سموا لله تعالى فسقى ما سموا للوثن تركوه للوثن ، وكانوا يحرمون من انعامهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي فيجعلونه للاوثان ويزعمون انهم يحرمون لله سبحانه[13] •

ويأخذ الآلوسى بجانب ابن عباس عن عبد الله بن مسعود وعلي بن ابي طالب وابي بن كعب ومدارسهم التفسيرية فى المدينة والكوفة التي ينتمي اليها أمثال علقمة بن قيس ومسروق الاجدع واسود بن يزيد ومرة بن شراحيل وعامر بن شراحيل الشعبي والحسن البصرى ورفيع بن مهران الرياحي وقتادة بن دعامة السدوسى ومحمد بن كعب القرظي وزيد بن أسلم العدوي •

وبذلك فان الآلوسى قد نقل لنا فى تفسيره ما أثر عن الصحابة الكرام من المفسرين ، ولكنه لم يكن ناقلا فقط وانما كان ناقدا ومرجحا •

٢ ـ أبو حيان :

هو اثير الدين ابو عبدالله محمد بن يوسف الاندلسى الغرناطي الجياني (ت ٦٥٤ هـ) • كان قارئا وشاعرا ونحويا من أعاظم النحويين ، ولذلك فان الاتجاه النحوي طغا على تفسيره المسمى (البحر المحيط) الذى يقع فى

---

(١٣) المصدر السابق ١٨/٣١ •

ثمانية مجلدات كبار[١٤] .

استشهد الآلوسي به في تفسيره (٢٣٨٠) مرة اى ان اعتماده عليه يأتي في الدرجة الثانية بعد ابن عباس . ومعظم ما أخذه عنه في مسائل النحو والاعراب ومسائل الخلاف بين علماء النحو والتخريجات النحوية . ففي قوله تعالى مثلا (شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان) اختار وجهين في تخريج (شهادة) لأبي حيان (الاول أن تكون شهادة منصوبة على المصدر النائب مناب الفعل) و (اثنان) مرتفع به والتقدير ليشهد بينكم اثنان فيكون من باب ضربا زيدا الا ان الفاعل في ضربا يستند الى ضمير المخاطب لأن معناه اضرب ، وهذا يستند الى الظاهر لأن معناه ما علمت ، والثاني أن تكون مصدرا لا بمعنى الامر ، بل خبرا ناب مناب الفعل في الخبر وان كان ذلك قليلا كقوله :

ـ وقوفا بها صحبي علىّ مطيّهم ـ فارتفاع صحبي وانتصاب مطيّهم بقوله وقوفا فانه يدل من اللفظ بالفعل في الخبر والتقدير : وقف صحبي على مطيّهم ، والتقدير في الآية : يشهد اذا حضر أحدكم الموت اثنان[١٥] .

وينقل عنه احيانا وجه مناسبة الآيات بعضها مع بعض ، ففي قوله تعالى (وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) قال : ووجه مناسبتها لما تقدم على ما في البحر أنه تعالى لما ذكر النساء والنشوز والمصالحة ، عقبه بالقيام لأداء الحقوق والشهادة حقوق[١٦] . وينقل رأيه في فصاحة بعض الآيات ، ففي قوله تعالى (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين،

---

(١٤) التفسير والمفسرون ١/٣١٧ـ٣٢١ .
(١٥) روح المعاني ٧/٤٧ ، ٤٨ .
(١٦) المصدر السابق ٥/١٦٩ .

وان يكن منكم الف يغلبوا الفين بأذن الله) نقل قوله (انظر الى فصاحة هذا الكلام ، حيث اثبت قيدا فى الجملة الاولى وهو صابرون وحذف نظيره من الجملة الثانية وأثبت قيدا فى الثانية وهو (من الذين كفروا) وحذفه من الاولى ، ولما كان الصبر شديد المطلوبية أثبت فى جملتي التخفيف وحذف من الثانية لدلالة السابقة عليه ، ثم ختم الآية بقوله سبحانه (والله مع الصابرين) مبالغة فى شدة المطلوبية ولم يأت فى جملتى التخفيف بقيد الكفر اكتفاءاً بما قبله[١٧] .

والآلوسى شديد التقدير لأبي حيان حتى انه ينزل نفسه تواضعا منزلة تلميذه فيقول (وتعقبه شيخنا ابو حيان)[١٨] .

ومع ذلك فانه يناقشه فى مسائل كثيرة ، ويفند كلامه ، أو يرده غير معتمد عليه ، ففي قوله تعالى (هل هذا الا بشر مثلكم) رفض اعرابه لهل فى كونه استفهاميا تعجبيا وأعربه بأنه بمعنى النفي[١٩] . وفى قوله تعالى (ولتجدنهم احرص الناس على حياة) يقول ابو حيان (ان كلمة (حياة) على تقدير مضاف أو صفة أو طول حياة أو حياة طويلة) والآلوسى يرى ان الكلام لا يحتاج الى ذلك[٢٠] .

ويفسر ابو حيان الأجر العظيم فى الآية الكريمة (وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما) بالخلود ، فرده الآلوسى وقال (التعميم اولى)[٢١] .

ويرفض توجيه أبى حيان لوجه ارتباط الآية الكريمة (قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا)

---

(١٧) المصدر السابق ٣٢/١٠ .
(١٨) المصدر السابق ٢١٩/١٢ .
(١٩) المصدر السابق ٨/١٧ .
(٢٠) روح المعاني ٣٢٩/١ .
(٢١) المصدر السابق ١٧٩/٥ .

بالآيات السابقة ابتداءا من قوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنـا من الارض ينبوعا) الذى يقول فيه (المناسب فى وجه الارتباط أن يقال انه عليه الصلاة والسلام قد منحه الله تعالى ما لم يمنحه لأحد من النبوة والرسالة الى الانس والجن فهو صلى الله عليه وسلم أحرص الناس على ايصال الخير اليهم وانقاذهم من الضلال يثابر على ذلك ويخاطر بنفسه فى دعائهم الى الله تعالى ، ويعرض ذلك على القبائل واحياء العرب سمحا بذلك لا يطلب منهـم اجرا ، وهؤلاء اقرباؤه لا يكاد يجيب منهم أحد الا الواحد بعد الواحد ، قد لجوا فى عناده وبغضائه فلا يصل منهم اليه الا الاذى • فنبه تعالى شأنه بهذه الآية على سماحته عليه الصلاة والسلام وبذل ما آتاه الله تعالى وعلى امتناع هؤلاء ان يصل منهم شيء من الخير اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ، فهي قد جاءت مبينة تبيان ما بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من حرصه على نفعهم وعدم ايصال شيء من الخير منهم اليه) بقوله (فالارتباط بين الآية ومجموع الآيات السابقة من حيث انها تشعر بحرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم ولعمري ان هذا مما يأباه الذوق السليم والذهن المستقيم • ويحتمل انيكون وجه الارتباط اشتمالها على ذمهم بالشح المفرط كما ان ما قبلها مشتمل على ذمهم بالكفر كذلك وهما صفتان ضرر احداهما قاصر وضرر الاخرى متعد ، فتأمل فلمسلك الذهن اتساع والله تعالى أعلم بمراده)[٢٢] •

ويفند بعض ما يرويه أبو حيان بقوله (وحكاية ابي عنه (أى عن ابن عباس) أنه لما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الى اصحابه فقال بتر محمد عليه الصلاة والسلام فانزل الله تعالى (ان شانئك هو الأبتر) لا تكاد تصح ، لأن هلاك اللعين ابى جهل على التحقيق قبل وفاة ابراهيم عليه السلام)[٢٣] •

---

(٢٢) المصدر السابق ١٥/١٨٢ •
(٢٣) المصدر السابق ٣٠/٢٤٨ •

٣ ـ الزمخشري :

هو ابو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي ، صاحب التفسير المشهور (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل)[٢٤] (ت ٥٢٨ هـ) وهو مفسر معتزلى ، يؤمن بالعقل ويمجده ، ويهتم بدراسة النواحي اللفظية والبيانية من القرآن الكريم[٢٥] ، ولذلك جاء تفسيره فريدا فى بابه ، معترفا به من قبل العلماء الذين تلقوه بالقبول برغم ما فيه من الاعتزال[٢٦] .

استشهد الآلوسى بالزمخشرى فى تفسيره (١٤٤٨) مرة ، واكثر ما ينقل عنه النحو ففي الآية الكريمة مثلا (الا من ظلم) قال (وجوز الزمخشرى أن يكون مرفوعا بالابدال فى فاعل يحب فى (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) كأنه قيل لا يحب الجهر بالسوء الا الظالم[٢٧] .

وينقل عنه المعنى ، ففي قوله تعالى (أوفوا بالعقود) قال الآلوسى (واستظهر الزمخشرى كون المراد بها عقود الله تعالى عليهم فى دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه)[٢٨] .

ويترسم الآلوسى خطى الزمخشرى احيانا فى بيان جمال النظم القرآني ، واثارة بعض المسائل البلاغية ، ثم الجواب عنها . قال تعالى (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) قال الآلوسى (فان قيل لم لم يقل جعل لكم الليل ساكنا ليكون فيه المبالغة المذكورة ، وتخرج القرينتان مخرجا واحدا فى المبالغة قلت : اجيب عن ذلك بان نعمة النهار أتم واعظم من نعمة

---

(٢٤) التفسير والمفسرون ٤٢٩/١ .
(٢٥) منهج الزمخشري فى تفسير القرآن ٢٧٦ .
(٢٦) التفسير والمفسرون ٤٣٣/١ .
(٢٧) روح المعاني ٢/٦ .
(٢٨) المصدر السابق ٤٨/٦ .

الليل ، فسلك مسلك المبالغة فيها ، وتركت الاخرى على الظاهر تبنيها على ذلك)[٢٩] ومن المعلوم أن اسلوب قيل وقلت من خصائص اسلوب الزمخشرى فى اثارة المسائل[٣٠] والالوسى متأثر باسلوب الزمخشرى فى نواحى الاعجاز ، فبمقارنة نصين من تفسير الزمخشرى وتفسير الآلوسى يتبين هذا التأثر . قال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) أي ليس فيها الا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها ، فكأنها فى ذاتها حياة ، والحيوان مصدر حي وقياسه حييان ، فقلبت الياء الثانية واواً كما قالوا : حياة فى اسم رجل وبه سمى ما فيه حياة ، قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان . وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة ، وهى ما فى فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان واللهبان وما اشبه ذلك . والحياء حركة كما ان الموت سكون ، فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة ، ولذلك اختيرت على الحياة فى هذا الموضع المقتضى للمبالغة)[٣١] وقال الآلوسى (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى لهى الدار الحقيقية ، اذ لا يعرض الموت والفناء لمن فيها ، أو هى ذاتها حياة للمبالغة و(الحيوان) مصدر حى ، سمى به ذو الحياة فى غير هذا المحل وأصله حييان ، فقلبت الياء الثانية واواً على خلاف القياس فلامه ياء ، والى ذلك ذهب سيبويه ... وهو أبلغ من الحياة لما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحياة ، ولذلك اختير عليها فى هذا المقام المقتضى للمبالغة ، وقد علمتها فى وصف الحياة الدنيا المقابلة للدار الآخرة)[٣٢] وعلى الرغم من الاختلاف الطفيف فى الاسلوبين يظهر لنا ان الآلوسى نقل

---

(٢٩) المصدر السابق ٨٢/٢٤ .

(٣٠) راجع على سبيل المثال ٣/١ ، ١٠ من الكشاف .

(٣١) الكشاف ٣٦٤/٣ ، ٣٦٥ .

(٣٢) روح المعاني ١٣/٢١ .

المعنى بترتيبه عن الزمخشري .

مثال اخر : قال تعالى (وما تدرى نفس باى أرض تموت) قال الزمخشري (وجعل العلم لله والدراية للعبد لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة) [٣٣] وقال الآلوسي (وفى العدول عن لفظ العلم الى لفظ الدراية لما فيها من معنى الختل والحيلة)[٣٤] وبجانب ذلك فان الآلوسي يدخل في مناقشات حادة مع الزمخشري في قضية الاعتزال ففي قوله تعالى (من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) قال والزمخشري لما رأى تخرق عقيدته الفاسدة ، رام رقعها كما هو دأبه فقال معنى (يضلله) يخذله ولم يلطف به (و يجعله) يلطف به[٣٥] . وكثيرا ما ينكر عليه تأويله للآيات فيقول (وليس هذا اول خوض من الزمخشري في تأويل الآيات بل ذلك دأبه)[٣٦] ففى قوله تعالى (فلا تلوموني ولوموا انفسكم) قال (وفى الكشاف أن فى هذه الآية دليلا على ان الانسان هو الذى يختار الشقاوة والسعادة ويحصلهما لنفسه وليس من الله تعالى الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال : فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله تعالى قد قضى عليكم الكفر واجبركم عليه ثم رد عليه فقال (الجواب ان اهل الحق لا ينكرون توجه اللائمة عليهم وان الله تعالى مقدس عن ذلك ، وحجته البالغة وقضاؤه سبحانه الحق ، حيث اثبتوا للعبد القدرة الكاسبة التى يدور عليها فلك التكليف وجعلوا لها مدخلا فى ذلك ، فانه سبحانه انما يخلق أفعاله حسبما يختاره ، وسلبهم التأثير الذاتي عن قدرته لا ينفى اللوم عنهم كما بين فى محله) [٣٧] .

---

(٣٣) الكشاف ٣/٣٩٩ .
(٣٤) روح المعاني ٢١/١١٠ .
(٣٥) المصدر السابق ٧/١٤٨ .
(٣٦) المصدر السابق ٧/١٤٨ .
(٣٧) المصدر السابق ٧/١٨٤ .

وعلى الرغم من خصومة الآلوسى للاعتزال ، وهجماته الشديدة على الزمخشرى فى كثير من المواطن ، فانه يوافقه عندما يعتقد فى موافقته الحق ، ففى الآية الكريمة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) وافق الزمخشرى فى ان المقصود بهذا الايمان هو المشفوع بالعمل الصالح[٣٨] . ويعترف له الآلوسى اذا احسن التأويل والتفسير والتوجيه . فلقد قال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) ما نصه (قد الزمهم الحجة فى هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذى أرسل اليهم رجل معروف أمره وحاله ، مخبور سره وعلنه ، خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعى بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ، ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ، ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذى هو الصراط المستقيم، مع ابراز المكنون من أدوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان ، وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة ، وكراهتهم للحق ، واعراضهم عما فيهم حظهم من الذكر ، يحتمل ان هؤلاء وصفتهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة (لناكبون) أى عادلون عن هذا الصراط المستقيم) يقول الآلوسى (وهو من الحسن بمكان)[٣٩] وردود الآلوسى على الزمخشرى لا تقف عند حد الاعتزال بل تتعداه الى علم القراءات ايضا ، فكثيرا ما نجده يرد عليه متهما اياه بالجهل فى القراءات . ففي قوله تعالى (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم) فقد رفض الزمخشرى قراءة ابن عامر ببناء (زين) للمفعول الذى هو القتل ، ونصب الأولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وقال : انه شىء لو كان فى مكان الضرورات وهو

---

(٣٨) المصدر السابق ١١/٧٣ ، ٧٤ .

(٣٩) روح المعاني ١٨/٥٤ . الكشاف ٣/١٥٤ ، ١٥٥ .

الشعر لكان سمجا مردودا • قال الآلوسى (وقد ركب فى هذا الكلام عمياء وتاه فى تيهاء ، فقد تخيل أن القراء ائمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفا قرأ به اجتهادا لا نقلا وسماعا كما ذهب اليه بعض الجهلة ، فلذلك غلط ابن عامر قراءته هذه وأخذ يبين منشأ غلطه ، وهذا غلط صريح يخشى منه الكفر والعياذ بالله تعالى • فان القراءات السبعة متواترة جملة وتفصيلا عن انصح من نطق بالضاد صلى الله عليه وسلم ، فتغليظ شيء منها فى معنى تغليظ رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تغليظ لله عزوجل نعوذ بالله سبحانه[٤٠] •

٤ ـ ابن جرير الطبري :

هو مؤلف التفسير الكبير المسمى ب (جامع البيان فى تفسير القرآن) الذى يقع فى ثلاثين مجلدا (ت ٣١٠ هـ) وهذا التفسير هو أقدم التفاسير ، حفظ لنا فيه أقوال المفسرين الذين تقدموا عليه من مدرسة ابن عباس ومدرسة ابن مسعود ومدرسة علي بن ابي طالب ومدرسة ابى بن كعب والذين جاءوا بعدهم من أهل التفسير المأثور • ومن هنا كان هذا التفسير اعظم مرجع مدون للتفسير بالرواية[٤١] • ولذلك فانه من مصادر تفسير الآلوسى المهمة فى هذا الباب • فقد استشهد به (١١٣٠) مرة فى نقل الروايات المختلفة فى اسباب النزول ومعنى الالفاظ والقراءات المتنوعة والآراء والترجيحات الشخصية • ففى قوله تعالى (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) قال (واخرج ابن جرير عن الحسن أنه سئل أتتزوج الرجل المرأة من أهل الكتاب ؟ فقال ما له ولأهل الكتاب ، وقد أكثر الله تعالى المسلمات فان كان لابد فاعلا فليعمد اليها احصانا غير مسافحة • قال الرجل وما المسافحة؟ قال : هى التى اذا لمح

---

(٤٠) المصدر السابق ٢٣/٨ •

(٤١) المصدر السابق ٢٢٢/١ • التفسير والمفسرون ٢٠٧/١ •

الرجل اليها بعينه اتبعته[٤٢] • وفى قوله تعالى (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) اخرج ابن جرير عن السدى قال (ان اهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة فبلغوها وجدوا عند بابها شجرة فى اصل ساقها عينان ، فيشربون من احداهما فينزع ما فى صدورهم من غل ، فهو الشراب الطهور ، ويغتسلون من الاخرى ، فتجرى عليهم نضرة النعيم ، فلن يشعثوا ولن يشحبوا بعدها ابدا[٤٣] • ونقل رواية ابن جرير عن ابن جريج أن رفع الصوت بالدعاء من الاعتداء المشار اليه بقوله تعالى (انه لا يحب المعتدين) [٤٤] ويستبعد الآلوسى بعض ما رواه عن مجاهد • ففى قوله تعالى (وميثاقه الذى واثقكم به) اخرج ابن جرير عن مجاهد قال (هو الميثاق الذى واثق به بنى آدم حين اخرجهم من صلب ابيهم عليه السلام) قال الآلوسى وفيه بعد[٤٥] •

ويرفض روايات اسرائيلية رواها ابن جرير • ومنها ما اخرجه عن مجاهد أن النقباء لما دخلوا على الجبارين وجدوهم يدخل فى كم أحدهم اثنان منهم ، ولا يحمل عنقود عنبهم الا خمس أنفس بينهم فى خشبة ويدخل فى شطر الرمان اذا نزع فيها خمس انفس أو اربع[٤٦] •

ويرفض احيانا توجيهاته لبعض الآيات ، ففى قوله تعالى (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) قال : وقول الطبرى انهم امروا هنا بالصلاة والزكاة ليحيط ما تقدم من ميلهم الى قول اليهود (راعنا) منحط عن درجة الاعتبار[٤٧] •

---

(٤٢) روح المعاني ٦٦/٦ •
(٤٣) المصدر السابق ١٢٠/٨ •
(٤٤) المصدر السابق ١٣٩/٩ •
(٤٥) المصدر السابق ٨٢/٦ •
(٤٦) المصدر السابق ٨٦/٦ •
(٤٧) المصدر السابق ٣٥٨/١ •

ومن الجدير بالذكر انني لاحظت ان الآلوسي يذكر (ابن جرير) اذا كان ما ينقله عنه رواية عن السلف كما أسلفنا • ويذكر (الطبرى) اذا كان ينقل عنه رأيا خاصا به أو ترجيحا بين الروايات • ففى قوله تعالى (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) قل (قال الطبرى فى الآية الكريمة ان الجملة الثانية توكيد للأولى من حيث المعنى لانه يقال انزلته فنزل وانزلته فلم ينزل اذا عرض له مانع من النزول ، فجاءت الجملة الثانية مزيلة لهذا الاحتمال[٤٨] •

٥ ـ الرازي :

هو ابو عبدالله محمد بن عمر التميمى البكرى الطبرستانى الرازى الملقب بفخر الدين (ت ٦٠٦) • وهو صاحب التفسير المشهور باسم (مفاتيح الغيب) المشهور بكثرة الاستطراد الى العلوم الرياضية والطبيعية والمناقشات الفلسفية والكلامية ، والاهتمام بعلم الهيئة[٤٩] •

استشهد الآلوسى بالرازى (٨٣٦) مرة • واكثر هذه الاستشهادات فى الأمور الفلكية والكلامية والطبيعية ، وينقل احيانا عنه مسائل فقهية ومعانى الآيات ووجوه القراءات والتصوف • ففي قوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) قال الآلوسى (قيل ولا يمكن أن يراد به الزكاة المفروضة لانها فرضت بالمدينة والسورة مكية ، واجاب الامام ـ الرازى ـ عن ذلك بانا لا نسلم أن الزكاة ما كانت واجبة فى مكة ، وكون آيتها مدنية لا يدل على ذلك على أنه قد قيل ان هذه الآية مدنية ايضا)[٥٠] وفى قوله تعالى (وان هم الا يخرصون) نقل قول الرازى (المراد ان هؤلاء الكفار الذين ينازعونك فى

---

(٤٨) المصدر السابق ١٥/١٨٧ •

(٤٩) التفسير والمفسرون ١/٢٩٠ ، ٢٩٤ •

(٥٠) روح المعاني ٨/٣٨ •

دينك ومذهبك غير قاطعين بصحة مذاهبهم ، بل لا يتبعون الا الظن وهم خراصون كاذبون فى ادعاء القطع[٥١] • وفى قوله تعالى (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) نقل عنه فى القراءة قوله (وجه قراءة ابن عامر انه الحق الفعل علامة التأنيث ، لما كان الفاعل مؤنثا فى اللفظ ، ووجه قراءة ابن كثير ان (ميتة) اسم (يكن) وخبره مضمر اى ان يكن لهم أو هناك ميتة ، لان الميتة فى معنى الميت)[٥٢] •

أما فى التصوف فنقل عنه الآلوسى مثلا مايلى (وقد صرح الامام فى شرح الاشارة عند ذكر مقامات العارفين أن الناس فى العبادة ثلاث طبقات • فالأولى فى الكمال والشرف الذين يعبدونه سبحانه وتعالى لذاته لالشىء آخر • والثانية وهى التى تلى الاولى فى الكمال الذين يعبدونه لصفة من صفاته ، وهى كونه تعالى مستحقا للعبادة ، والثالثة وهى آخر درجات المحققين الذين يعبدونه لتكمل نفوسهم فى الانتساب اليه)[٥٣] •

وينقل عنه احيانا بعض التعليلات (وذكر الامام فى اصل عبادة الاصنام أن الناس رأوا تغيرات احوال هذا العالم الاسفل مربوطة بتغيرات أحوال الكواكب فزعموا ارتباط السعادة والنحوسة بكيفية وقوعها فى الطوالع ، ثم غلب على ظن اكثر الخلق أن مبدأ حدوث الحوادث فى هذا العالم هو الاتصالات الفلكية والمناسبات الكوكبية فبالغوا فى تعظيم الكواكب • ثم منهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذاتها ، ومنهم من اعتقد حدوثها وكونها مخلوقة للاله الاكبر الا انهم قالوا انها مع ذلك هى المدبرة لاحوال العالم وعلى كلا التقديرين اشتغلوا بعبادتها • ولما رأوها قد تغيب عن الابصار ، اتخذوا لكل كوكب صنما من الجوهر المنسوب اليه بزعمهم ، واقبلوا على عبادته ، وغرضهم من

---

(٥١) المصدر السابق ١٢/٨ •
(٥٢) المصدر السابق ٣٦/٨ •
(٥٣) المصدر السابق ٧٨/٧ •

ذلك عبادة تلك الكواكب والتقرب اليها[٥٤] .

ويعجب الآلوسى ببعض توجيهات الرازى للآية فينقلها ويطيل احيانا في النقل . ففى قوله تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة ... الآيات) نقل عنه (انه تعالى ذكر فى المثل الأول شجرة موصوفة بأربع صفات ثم شبه الكلمة الطيبة بها . الصفة الأولى كونها (طيبة) وذلك يحتمل كونها طيبة المنظر وكونها طيبة الرائحة وكونها طيبة الثمرة بمعنى كونها لذيذة مستطابة وكونها طيبة الثمرة بمعنى كثرة الانتفاع بها ، ويجب ارادة الجميع اذ به يحصل كمال الطيب . والثانية كون (اصلها ثابتا) وهو صفة كمال لها لان الشيء الطيب اذا كان فى معرض الزوال فهو وان كان يحصل الفرح بوجدانه الا انه يعظم الحزن بالخوف من زواله واما اذا لم يكن كذلك فانه يعظم السرور به من غير ما ينغص ذلك . والثالثة كون (فرعها فى السماء) وهو ايضا صفة كمال لها لانها متى كانت مرتفعة كانت بعيدة عن عفونة الارض وقاذورات الابنية فكانت ثمرتها نقية صالحة عن جميع الشوائب والرابعة كونها (دائمة الثمر) لا ان ثمرها حاضر فى بعض الاوقات دون بعض وهو صفة كمال ايضا . اذ الانتفاع بها غير منقطع حينئذ . وذكر تعالى فى المثل الثانى شجرة ايضا الا انه تعالى وصفها بثلاث وصفات . الصفة الاولى كونها خبيثة وذلك يحتمل ان يكون بحسب الرائحة ، وان يكون بحسب الطعم وان يكون بحسب الصورة وان يكون بحسب اشتمالها على المضار الكثيرة ، ولا حاجة الى القول بانها شجرة كذا او كذا فان الشجرة الجامعة لتلك الصفات وان لم تكن موجودة الا انها اذا كانت معلومة الصفة كان التشبيه نافعا فى المطلوب والثانية (اجتثاثها من فوق الارض) وهذه فى مقابلة اصلها ثابت فى الاولى والثالثة ، نفى ان يكون لها قرار ، وهذه كالمتممة

---

(٥٤) مفاتيح الغيب ٨٢/٧ . روح المعاني ١١/٢٣ وما بعده .

للصفة الثانية ، والمراد بالكلمة المشبهة بذلك الجهل بالله تعالى والاشراك به سبحانه فانه اول الافات وعنوان المخالفات ورأس الشقاوات • فخبثه اظهر من ان يخفى وليس له حجة ولاثبات ولا قوة بل هو داحض غير ثابت) قال الآلوسى وهو كلام حسن ، لكنه فيه مخالفة لظواهر كثير من الآثار فتأمل(*) •

والآلوسى لا يتقيد بما فى تفسير الرازى من ابحاث علم الهيئة ، وانما ينوسع فيذكر اقوال السلف الصالح والمرويات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآراء اهل الفلك بعد الرازى • فقد نقل فى تفسير الآية الكريمة (والشمس تجرى لمستقر لها الآيات) ما اخرجه احمد والبخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى وابن ابى حاتم وابو الشيخ وابن مردوية والبيهقي عن ابى ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (والشمس تجرى لمستقر لها) قال مستقرها تحت العرش(٥٥) •

وقال ايضا (وايضا يجوز ان تكون السيارات اكثر من سبع فيحتاج الى ازيد من سبع سموات • ويقرب هذا ظفر اهل الارصاد الجديد بكوكب سيار غير السبع سموه باسم من ظفر به وادركه وهو هرشل) وبالجملة لا قاطع فيما قالوه (٥٦) •

وهناك خطأ كبير علق ببعض الاذهان ، وورد فى بعض الكتب نتيجة لجهل عظيم بتفسير الآلوسى ، ألا وهو أن تفسير الآلوسى مختصر تفسير الرازى أو ان الآلوسى متأثر بالرازى تأثرا كبيرا • يقول الشيخ قاسم القيسى فى كتابه تاريخ التفسير (وقد اصاب هذا التفسير الجليل -يعنى روح المعانى- من جانب صاحب التعليم والارشاد السيد بدر الدين الحلبى بعض القدح اذ

(*) روح المعانى ٢٣/١١ وما بعده •
(٥٥) روح المعاني ٢٣/١٢ •
(٥٦) المصدر السابق ٢٣/٢٥ •

قال : وجاء الآلوسي من متأخري اهل العراق فاخذ تفسيره من تفسير الامام فخر الدين الرازي الا انه حذف منه كثيرا من الزوائد واضاف اليه واحسن غاية الاحسان شيئاً من اقوال المفسرين)[٥٧] .

وابدأ في ازالة هـذه الشبهة التي لا تستند على أساس من الدراسة والعلم ، فاقول :

١ ـ ان الآلوسي لم يستشهد بتفسير الرازي الا (٨٣٦) مرة ضمن استشهاده الوف المرات بعشرات التفاسير ، فكيف يمكن ان يقال بعدئذ ان تفسير الآلوسي مأخوذ من تفسير الرازي .

٢ ـ أن الآلوسي يدخل في مناقشات طويلة مع الرازي مفندا اقواله ، متهما اياه بالتساهل في نقل الاخبار . فنحن لا نكاد ندخل في تفسير البسملة حتى نرى الآلوسي وجها لوجـه أمام الرازي يرد قوله ان البسملة آية من الفاتحة ، فيأتي بادلته الستة عشر فيردها دليلا دليلا ، فيضعف الاحاديث التي يوردها . ويؤول البعض الاخر ، ويتخذ من بعض ادلة الرازي ادلة له . كل ذلك لانه يريد ان يثبت ان البسملة آية من القرآن وليست آيـة من الفاتحة مناصرا بذلك رأي الامام ابي حنيفة[٥٨] .

ويرفض الآلوسي كثيرا من اقوال الرازي فيقول (وزعم الامام اجماع المسلمين على المعاد بجمع الاجزائية بعد افتراقها ، وليس بذلك لما سمعت من الخلاف في كيفيته ، وهو مذكور في المواقف وغيره)[٥٩] .

لقد ذكر الرازي ادلة العلماء الذين يقولون بتأثير الكواكب في الحياة الانسانية ثم عقب عليه الآلوسي قائلا (ولعمري لقـــد نثر الكنانة ، ونفض

---

(٥٧) ص ١٤٦ .

(٥٨) روح المعاني ١/٤٠ـ٤٦ .

(٥٩) المصدر السابق ٢٣/٦١ .

الجبة ، واستفرغ الوسع ، وبذل الجهد ، وروج وبهرج ، وقعقع وفرقع ، ومن غير طحن جعجع ، وجمع ما يعلم بالضرورة انه خطأ في تأويل كلام الله تعالى ومعرفة مراده سبحانه • ولا يروج ما ذكره الا على مفرط في الجهل او مقلد لأهل الباطل من المنجمين[٦٠] ثم ذكر الآلوسي بحثا قيما في الرد على هذه المزاعم ، استعمل فيه الادلة العقلية والنقلية والشواهد التاريخية والتجارب الرصدية للعلماء المسلمين واهل الفلك المحدثين في اوربا • وهذا البحث يمكن ان يقوم رسالة كاملة في هذا الموضوع • ولقد نبه الآلوسي نفسه الى خطورة بحثه هذا فقال (وقد جمعت لك مالم اعلم اسه جمع في تفسير)[٦١] •

وتستطيع أن تنظر ايضا في مناقشات الآلوسي للرازي في تفسيره قوله تعالى (فطفق مسحا بالسوق والاعناق)[٦٢] •

ويسحب الآلوسي ثقته من الرازي الى درجة أنه يعتبره اماما في نقل ما لا يعول عليه من الاخبار عن أئمة الحديث ، ويحذر الاقتداء به في هذا المجال)[٦٣] •

ان الباحث في تفسير الآلوسي يستطيع بسهولة ان يقول ان الآلوسي حطم الرازي في كثير من المسائل على الرغم من احترامه له باعتباره من كبار علماء الاسلام من اهل السنة والجماعة •

ان الآلوسي أراد ان يكون تفسيره منتدى الآراء ، والرازي باعتباره من المفسرين الكبار اقتبس منه ، فاذا كان قد أيده في شيء فقد عارضه في اشياء • وتأتي مكانة تفسير الرازي عند الآلوسي من حيث الاقتباس في الدرجة

---

(٦٠) روح المعاني ٢٣/١٠٩ •
(٦١) المصدر السابق ٢٣/١٠٩-١٢٣ •
(٦٢) المصدر السابق ٢٣/١٩٥-١٩٧ •
(٦٣) المصدر السابق ٣٠/٢٢٨ •

الخامسة • أبعد هذا كله يمكن لانسان ان يقول ان تفسير الآلوسى هـــو تفسير الرازى مع حذف واضافة[٦٤] •

هذا وعـلى القارىء ان يلاحظ ان الآلوسى عنـدما يستشهد بالأمـام الرازى يقول غالبا : قال (الامام) ويمكن ان يختلط هذا بلفظة (الأمام) الذى يطلقه الآلوسى على الامام ابى حنيفة ، وخاصـة فى المسائل الفقهية ، ولكن الانتباه الى سياق العبارة يحدد قصده •

٦ ـ ابو السعود :

هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادى ، صاحب التفسير الشـهير ب (ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم) (ت ٩٨٢هـ) واتجاهـه فى تفسيره هو كشف جمال العبـارة القرآنية واسرارها البلاغية ، بما لـم يسبقه أحد اليه[٦٥] •

يعظم الآلوسى صاحب هذا التفسير فيسميه احيانا ب (شيـخ الاسلام) واحيانا ب (مفتى الديار الرومية) ويستعمل كلمة (مولانا) كثيرا ، وقـد يسميه باسمه •

استشهد به (٥٥٩) مرة • وأكثر ما يأخذ عنه النواحى البيانية ومـا يتعلق باللغة ، ولا يناقشه الا قليلا ، لأن الموضوعات التى يطرقها ابو السعود لا تثير مناقشات فكرية مهمة ، فهى موضوعات لغوية وبلاغية ، فلكل مفسر وجهة نظر معينة فى بيان جمال النظم القرآني فى حـــدود قواعد اللغـــة العربية • وقد فعل الآلوسى ذلك مع الزمخشرى حيث ينصب اكثر مناقشاته معه على نواحى الاعتزال •

---

(٦٤) أرجو ان يوفقني الله تعالى الى العودة الى الموضوع فى بحث آخر لاعرضه بالتفصيل معتمدا على مقارنات أكثر من التفسيرين •

(٦٥) التفسير والمفسرون ١/٣٤٥ ، ٣٤٧ •

يأخذ الآلوسى عنه تحديد معاني بعض الكلمات • ففى الآية الكريمة (جعل الظلمات والنور) قال : والجعل كما قال شيخ الاسلام الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكويني(٦٦) •

ويأخذ عنه الربط البلاغي بين الآيات ففي قوله تعالى (عفا الله عنكم) بعد قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا •••) قال (والذي ذهب اليه شيخ الاسلام عليه الرحمة هو الاستئناف لا غير)(٦٧) • وفى قوله تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ، وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) قال (وقال شيخ الاسلام : انه لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجب ذلك من انزال الكتاب الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه ، وكمال عدله فى أحكامه ، وامتناع وجود من يبدل شيئا منها ، واستبداده سبحانه بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك بيان أن الكفر متصفون بنقائض تلك الكمالات من النقائض التي تقود الى الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشيء من الجهل والكذب على الله تعالى ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرمونه ، وتحذيرا عن الركون اليهم والعمل بآرائهم فقال سبحانه ما قال)(٦٨) •

وينقل عنه تحليله لبعض الآيات بلاغيا • ففي قوله تعالى (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) قال (مثل اريد به من بقى فى الضلالة بحيث لا يفارقها أصلا ، كما ان الاول مثل اريد به من خلقه الله تعال على فطرة الاسلام وهداه بالآيات البينات الى طريق الحق ، يسلكه كيف شاء ، لكن لا على ان يدل على كل

---

(٦٦) روح المعاني ٨١/٧ •
(٦٧) المصدر السابق ٤٠/٧ •
(٦٨) المصدر السابق ١١/٨ •

واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة فى المثلين بواسطة تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية على معانيها الاصلية ، بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة المعتبرة فى كل واحد من جانب المثلين هيئة على حدة ، فشبهت بهما الادلتان ونزلتا منزلتهما ، فاستعمل فيهما ما يدل على الاخيرتين بضرب من التجوز)[٦٩] .

ويرفض الآلوسي أحيانا بعض أقواله . فقد نقل ان ابا السعود حمل الآية الكريمة فى (وان يروا كل آية) على الآيات القرآنية . أى وان يروا شيئا من ذلك بان يشاهدوا بسماعه لا يؤمنوا به . فيرد هذا بقوله (ولعل ما قدمناه أحلى لدى الذوق السليم) . ولقد سبق له ان حمل الآية على المعجزات الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم كانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة ، وتكثير القليل من الطعام[٧٠] . وفى الآية الكريمة (وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا ، وسع ربنا كل شيء علما ، على الله توكلنا) قال الآلوسي (وفى الآية دلالة على ان لله تعالى ان يشاء الكفر) وادعى شيخ الاسلام ابو السعود أن المراد استحالة وقوع ذلك كأنه قيل : وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله تعالى العود هيهات ذلك ، ولا يكاد يكون كما ينبيء عنه التعرض لعنوان الربوبية ، وقولهم (بعد اذ نجانا الله) فان تنجيته تعالى اياهم منها من دلائل عدم مشيئته سبحانه لعودهم فيها . وفرع على قوله تعالى (وسع) الخ بعد ان فسره بما فسره محالية مشيئته العود لكن لطفا . قال الآلوسي : ولعل ما ذهبت اليه اولى[٧١].

٧ ـ الزجـاج :ـ

هو ابو اسحق ابراهيم بن السري بن سهل ، العالم النحوي اللغوي

---

(٦٩) معجم الادباء ١/١٥١ . قاموس الاعلام ١/٣٣ .
(٧٠) روح المعاني ٨/١٨ .
(٧١) المصدر السابق ٧/١٢٥ ، ١٢٦ .

صاحب كتاب (معاني القرآن) في التفسير اللغوي والاعراب ٠ (ت ٣١١ هـ)[٧٢] ٠

استشهد الآلوسي بالزجاج (٥٥٦) مرة ٠ وأكثر ما يقتبسه منه هو اللغة والاعراب ٠ ففي قوله تعالى (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) نقل زعم الاخفش أن (ثم) هنا بمعنى الواو ، ثم ذكر تعقيب الزجاج عليه بانه خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه ولا من يوثق بعلمه لان ثم للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غيره ، وانما المعنى انا ابتدأنا خلق آدم عليه السلام من تراب ثم صورناه أي هذا أصل خلقكم ثم بعد الفراغ من أصلكم قلنا ٠٠ الخ[٧٣] وفى قوله تعالى (فسجدوا الا ابليس) نقل قول الزجاج (الفاء الافادة مسارعتهم فى الامتثال وعدم تثبطهم فيه ، و (ابليس) اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ووزنه فعليل)[٧٤] ٠ وفى قوله تعالى (وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) قال الزجاج : وأصله من النقب وهو الثقب الواسع والطريق في الجبل[٧٥] ٠

وقليلا ما يأخذ عنه شرح مفهوم معين ٠ ففي قوله تعالى (فثبتوا الذين آمنوا) نقل قوله (كان باشياء يلقونها فى قلوبهم ، تصح بها عزائمهم ويتأكد جدهم ، وللملك قوة الخير فى القلب ويقال لها الهام كما ان للشيطان قوة القاء الشر ويقال له وسوسة)[٧٦] ٠

وكذلك تعليلاته للقراءات ٠ ففي قوله تعالى (الا ان تكونا ملكين) قرأ ابن عباس ويحيى بن كثير (ملكين) بكسر اللام ٠ قال الزجاج : ويشهد

---

(٧٢) المصدر السابق ٩/٤ ٠
(٧٣) المصدر السابق ٨/٨٦ ٠
(٧٤) المصدر السابق ١/٢٢٩ ٠
(٧٥) المصدر السابق ٦/٨٥ ٠
(٧٦) روح المعاني ٩/١٧٧ ٠

لهذه القراءة قوله تعالى حكاية عن اللعين (هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى)[77] .

٨ ـ السيوطي :ـ

هو الحافظ جلال الدين ابو الفضل عبدالرحمن (ت ٩١١ هـ) وصاحب التفسير الشهير بـ (بالدر المنثور فى التفسير المأثور) الذى سرد فيه الروايات عن السلف فى التفسير دون نقد لها أو تجريح[78] .

استشهد الآلوسي بالسيوطي (٣٣٨) مرة ، واعتماده بالدرجة الاولى عليه فى الربط بين السور[79] ففي وجه المناسبة بين سورة الانعام وسورة المائدة نقل قوله (انه تعالى لما ذكر فى آخر المائدة (لله ملك السموات والارض وما فيهن) على سبيل الاجمال افتتح جل شأنه هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله فبدأ سبحانه بذكر السموات والارض ، وضمه تعالى اليه أنه جعل الظلمات والنور ، وهو بعض ما تضمنه ما فيهن ، ثم ذكر عز اسمه أنه خلق النوع الانساني ، وقضى له اجلا وجعل له أجلا آخر للبعث ، وانه جل جلاله منشأ القرون قرنا بعد قرن . ثم قال تعالى (قل لمن ما فى السموات) الخ . فاثبت له ملك جميع المظروفات بظرف المكان . ثم قال عز من قائل (وله ما سكن فى الليل والنهار) فاثبت أنه جل وعلا ملك جميع المظروفات لظرف الزمان . ثم ذكر سبحانه خلق سائر الحيوان من الدواب والطير . ثم خلق النوم واليقظة والموت . ثم أكثر عز وجل فى أثناء السورة من الانشاء والخلق لما فيهن من النيرين والنجوم . وخلق الاصباح وخلق الحب والنوى ، وانزال الماء واخراج النبات والثمار بانواعها وانشاء جنات معروشات وغير معروشات

---

(٧٧) المصدر السابق ٨/٩٩ .
(٧٨) التفسير والمفسرون ١/٢٥١ ، ٢٥٤ .
(٧٩) روح المعاني ٨/٧٤ .

الى غير ذلك مما فيه تفصيل ما فيهن (٨٠) .

ويرفض الآلوسى بعض أقواله فى هذا المجال على عادته فى الاستقلال بالرأي وعدم التقليد . فقد قال السيوطي ان ذكر سورة الانفال بعد الاعراف ليس بتوقيف من الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله تعالى عنهم ، كما هو المرجح فى سائر السور ، بل باجتهاد من عثمان رضي الله تعالى عنه . فردّ عليه الآلوسي بقوله (ثم ما ذكره من عدم التوقيف فى هذا الوضع فى غاية البعد كما يفهم مما قدمناه فى المقدمات) (٨١) .

ولا يقتصر استشهاد الآلوسي بالسيوطي على تفسيره ، وانما ينقل من كتبه الاخرى ففي تفسير لقوله تعالى (فان فعلت فانك اذاً من الظالمين) قال (وقد ذكر الجلال السيوطي عليه الرحمة فى جمع الجوامع ـ بعد أن بين أن اذا الظرفية قد يحذف جزء الجملة التي اضيفت هي اليها أو كلها فيعوض عنه التنوين وتكسر للساكنين لا للاعراب خلافا للاخفش وقد تفتح ـ أن شيخه الكافيجي الحق بها (اذن) ثم قال فى شرحه همع الهوامع : وقد أشرت بقولي : والحق شيخنا بها فى ذلك (اذن) الى مسألة غريبة قل من تعرض لها ؛ وذلك انى سمعت شيخنا عليه الرحمة يقول فى قوله تعالى (ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذاً لخاسرون) ليست (اذن هذه الكلمة المعهودة وانما هي اذا الشرطية حذفت جملتها التي يضاف اليها وعوض عنها التنوين كما فى يومئذ وكنت استحسن هذا جدا وأظن ان الشيخ لا سلف فى ذلك ، حتى رأيت بعض المتأخرين جنح الى ما جنح اليه الشيخ ، وقد أوسعت الكلام فى ذلك فى حاشية المغنى) (٨٢) .

---

(٨٠) المصدر السابق ٧٦/٧ .
(٨١) روح المعاني ١٥٨/٩ ، ١٥٩ .
(٨٢) المصدر السابق ١٩٩/١١ .

٩ ـ الطبرسي :ـ

هو ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المشهدي ، صاحب التفسير الشيعي المعتدل المشهور بـ (مجمع البيان لعلوم القرآن (ت ٥٣٨ هـ)[٨٣] .

استشهد به الآلوسي (٢٦٥) مرة • فهو ينقل عنه أحيانا القراءات ففي قوله تعالى (قال الله اني منزلها عليكم) قال (وقرأ الباقون كما قال الطبرسي (منزلها) بالتخفيف وجعل الانزال والتنزيل بمعنى واحد)[٨٤].

وينقل عنه وجه اتصال بعض الآيات • ففي قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) قال (وذكر الطبرسي في ذلك ثلاثة أوجه الاولى انها متصلة بقوله تعالى (لعلكم تفلحون) لان من الفلاح ترك السؤال بما لا خير فيه • والثاني انها متصلة بقوله سبحانه (ما على الرسول الا البلاغ) أي فانه بلغ ما فيه المصلحة فلا تسألوه عما لا يعنيكم • والثالث انها متصلة بقوله جل وعلا (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) أي فلا تسألوا عن تلك الاشياء فتظهر سرائركم)[٨٥] .

وينقل عنه ايضا معاني الكلمات • ففي قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) قال (وفرق الطبرسي بين العقد والعهد ، بان العقد فيه معنى الاستيثاق والشد ، ولا يكون الا بين اثنين ، والعهد قد ينفرد به واحد)[٨٦].

والآلوسي يرد الطبرسي كلما حاول تفسير الآيات على اسس مذهبه.

---

(٨٣) التفسير والمفسرون ٢/٩٩ •
(٨٤) روح المعاني ٧/٦٢ •
(٨٥) المصدر السابق ٧/٤٠ •
(٨٦) روح المعاني ٦/٤٨ •

(الامامية) ويعتبره حاطب ليل يجمع الغث والسمين[٨٧] ، وكثيرا ما يفند روايات له فيقول (وقول الطبرسي انه المروى عن أبى عبدالله رضي الله تعالى عنه كذب لا أصل له)[٨٨] .

١٠ ـ البيضاوي :ـ

هو عبدالله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي (ت ٦٩١ هـ) وصاحب التفسير المتداول بين العلماء (أنوار التنزيل واسرار التأويل)[٨٩] . والذي هو فى الحقيقة مختصر لتفسيري الرازي والزمخشري[٩٠] .

استشهد به الآلوسي (٢٠٧) مرة ، وأكثر ما يستقى منه النواحي الكلامية والبلاغية . ففي الآية الكريمة (ونادى أصحاب الجنة) قال الآلوسي : ففي الآية الكريمة استعارة تبعية كما يفهمه كلام العلامة البيضاوي[٩١] .

ويرد الآلوسي فى بعض الموضوعات البيضاوي ردا قويا على نحو ما نرى فى الآية الكريمة (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) حيث يقول (وقول العلامة البيضاوي بعد تعريف الجن فى سورتهم بما عرف فيه دليل على انه صلى الله وعليه وسلم ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض أوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله تعالى بذلك ناشيء عن عدم الاطلاع على الاحاديث الصحيحة الكثيرة المصرحة برؤيته صلى الله عليه وسلم وقراءته عليهم وسؤالهم منه الزاد لهم ولدوابهم على كيفيات مختلفة ، وعندي انه

---

(٨٧) المصدر السابق ١٤٣/٩ .

(٨٨) المصدر السابق ٤٢/٨ .

(٨٩) التفسير والمفسرون ٢٩٦/١ .

(٩٠) المصدر السابق ٢٩٧/١ .

(٩١) روح المعاني ٨٤/١ .

لا مانع من رؤيته صلى الله عليه وسلم للجن على صورهم التي خلقوا عليها فقد رأى جبريل عليه السلام بصورته الاصلية مرتين ، وليست رؤيتهم ورؤية كل موجود عندنا فى حيز الامكان(٩٢) .

١١ ـ ابن عربي :

هو شيخ الصوفيةالاكبر ، وصاحب نصوص الحكم والفتوحات المكية ، أبو بكر محيالدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله الحاتمي الطائي الاندلسى (ت ٦٣٨ هـ)(٩٣) .

استشهد الآلوسي فى تفسيره بابن عربي فى تفسيراته الصوفية والاشارية ، وهو يؤول له ، ويدافع فى أكثر الاحيان ، ويدعو الى حسن الظن به . ففي تفسير سورة الفاتحة مثلا ينقل عنه (فاذا وقع الجدار وانهدم الصور ، وامتزجت الانهار ، والتقى البحران ، وعدم البرزخ ، صار العذاب نعيما ، وجهنم جنة ، ولا عذاب ولا عقاب الا نعيم وأمان بمشاهدة العيان) ثم يقول (وهذا وأمثاله محمول على معنى صحيح ، يعرفه أهل الذوق ، ولا ينافي ما وردت به القواطع ، واياك أن تقول بظاهره مع ما أنت عليه ، وكلما وجدت مثل هذا لاحد من أهل الله تعالى ح فسلمه لهم بالمعنى الذي أرادوه ، مما لا تعلمه أنت ولا انا ، لا بالمعنى الذي ينقدح فى عقلك المشوب بالاوهام ، فالامر والله وراء ذلك)(٩٤) .

ويذكر الآلوسى أن آراء ابن عربي بمعزل عن آراء المحدثين ، نقلة الدين(٩٥) . وهو ان ناقشه فمناقشة برفق وحذر شديدين مراعيا ظروف

---

(٩٢) المصدر السابق ١٠٥/٨ .
(٩٣) التفسير والمفسرون ٧٣/٣ .
(٩٤) روح المعاني ١٤٢/١ .
(٩٥) المصدر السابق ٢٢/١٤ .

زمانه • ففي تفسيره لقوله تعالى (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) نقل رأي ابن عربي الذي ينص على ان فرعون مات على الايمان ، ثم أخذ يرد على هذا الرأي الخطير المخالف للكتاب والسنة واجماع الامة • ومنه قوله (وما ذكره الشيخ الاكبر قدس سره في توجيه آية (حتى اذا أدركه الغرق •• الخ) خارج عن ذوق الكلام العربي وتجشم تكلف لا معنى له) ثم أردف به قوله (على انه لو لم يكن الا القول بقبول ايمانه لا يلزمنا اتباعه في ذلك ، والاخذ به لمخالفته ما دل عليه الكتاب والسنة ، وشهدت به أئمة الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المجتهدين ، وجلالة قائله لا توجب القبول ، فقد قال مالك وغيره : ما من أحد الا مأخوذ عنه من قوله ومردود عليه الا صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم[٩٦] •

وعدا هؤلاء فان الآلوسي يستشهد بغيرهم من المفسرين على اختلاف مناهجهم فمنهم :

١ ـ داود الظاهري الاصبهاني (ت ٢٧٠ هـ) •
٢ ـ سهل بن عبدالله التستري (ت ٢٨٣ هـ) •
٣ ـ ابو علي الجبائي (ت ٣٠٣ هـ) •
٤ ـ ابو هاشم بن علي الجبائي (٣٢١ هـ (•
٥ ـ ابو مسلم الاصفهاني (ت ٣٢٢ هـ) •
٦ ـ احمد بن علي الرازى المعروف بالجصاص (ت ٣٧٠ هـ) •
٧ ـ ابو الليث السمرقندي (ت ٣٧٣ هـ) •
٨ ـ علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ) •
٩ ـ محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) •
١٠ـ ابو اسحق احمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧ هـ) •

---

(٩٦) المصدر السابق ١١/١١٨ •

١١ ـ السيد الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) •

١٢ ـ علي بن احمد الواحدى (ت ٤٦٨ هـ) •

١٣ ـ الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) •

١٤ ـ عماد الدين ابو الحسن علي بن محمد المعروف بـ (الكيا الهراسى) (ت ٥٠٤ هـ) •

١٥ ـ الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠ هـ) ويذكره الآلوسي على الاكثر بـ (محي السنة) •

١٦ ـ القاضى ابو محمد بن عبدالله المعروف بابن العربى الاندلسى المالكي (ت ٥٤٣ هـ) •

١٧ ـ عبدالحق بن غالب بن عطية الاندلسى (ت ٥٤٦ هـ) ويكثر استشهاده به بعد النصف الاخير من القرآن الحكيم •

١٨ ـ ابو عبدالله محمد بن احمد الانصارى الاندلسى القرطبى (ت ٦٧١ هـ) •

١٩ ـ عبدالله بن احمد بن محمود النسفى (ت ٧٠١ هـ) •

٢٠ ـ نظام‌الدين الحسن‌بن الحسين‌الخراساني النيسابوري(ت٧٢٨هـ)

٢١ ـ علي بن محمد بن ابراهيم الخازن (ت ٧٤١ هـ) •

٢٢ ـ ابن كثير اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ) •

٢٣ ـ اسماعيل حقي (ت ١١٢٧ هـ) •

ويعتمد الآلوسي في الشروح والردود المشهورة على التفاسير ، على شرح شهاب بن احمد بن محمد بن عمر الخفاجي علي البيضاوى (ت ١٠٦٩ هـ) ولقد استشهد به (٤٩٦) مرة وعلى شرح ورد العلامة الحسين بن محمد الطيبي على الكشاف (٧٤٣ هـ) وعلى شرح ورد ابن منير الاسكندري ، قاضي الاسكندرية وخطيبها على الكشاف (ت ١٠٦٩ هـ)•

ويقيني أن علاقة الآلوسي بهذه التفاسير لم تكن نتيجة دراسات

عرضية ، ومراجعات سريعة ، وانما كانت حصيلة دراسات عميقة ، وقراءات متفحصة لمئات المجلدات منها .

والآلوسي لم يعش في الماضي فقط ، وانما التفت الى عصره . فنقل لنا في تفسيره آراء اساتذته وكبار العلماء من معاصريه ، فمن هؤلاء شيخ مشايخه العلامة صبغة الله الحيدري (ت ١١٨٧ هـ) وشيخه علاء الدين الموصلي ، ومعاصره العلامة محمد فيضي الزهاوي[٩٧] .

ومن الغريب أنني لم اقع في تفسير الآلوسي على التفسير القيم الذي الفه العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني المسمى (فتح القدير) حيث لم يورد اسمه ولم يستشهد به . وهو معاصره توفي سنة (ت ١٢٥٠هـ) أي قبل وفاة الآلوسي بحوالي عشرين عاما .

واستطيع أن أؤكد ان الآلوسي لم يعرف هذا التفسير لانه لم يصل اليه ، والا لاستشهد به واعتمد عليه ، وخاصة أنه مثله يناصر مذهب السلف في العقيدة .

(١) منهجه :-

يقوم منهج الآلوسي في تناول الآيات القرآنية على الاسس التالية :

١ - تفسير القرآن بالقرآن : وهذه قاعدة جليلة في التفسير ، لان القرآن يفسر بعضه بعضا ، ففي قوله تعالى (اهدنا) قال الآلوسي : اي ثبتنا على الدين . واستشهد لهذا بقوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا)[٩٨] و (الضلال) قال : الهلاك واستشهد له بقوله تعالى (أئذا ضللنا في الارض)[٩٩] . و (يقيمون) قال : من الاقامة ، يقال اقمت

---

(٩٧) روح المعاني ١٨/٢٠ ، ١٩/٣٦ .
(٩٨) روح المعاني ١/٩٣ .
(٩٩) المصدر السابق ١/٩٦ .

الشيء اقامة اذا وفيت حقه • قال تعالى (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل) أي توفوا حقهما بالعمل[١٠٠] • و (قال الذين لا يعلمون) قال الموصول هو جهلة المشركين ، واستدل عليه بالآيات (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) وقال (لو لا تأتينا بآية كما ارسل الاولون) و (لو لا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا)[١] • وفي تفسيره بكلمة (الحجارة) أيد الرأى الذى يقول المقصود بها (الاصنام) بقوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)[٢] • وفي تفسيره لقوله تعالى (فلا يكن في صدرك حرج منه) قال وجوز أن يكون باقيا على حقيقته لكن في الكلام مضاف مقدر كخوف عدم القبول والتكذيب فانه صلى الله عليه وسلم كان يخاف قومه وتكذيبهم واعراضهم عنه ، واذاهم له • قال ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لو لا انزل عليه كنز أو جاء معه ملك)[٣] • وفي تفسيره لقوله تعالى (ما منعك ألا تسجد) قال المشهوران (لا) مزيدة بدليل قوله سبحانة في آية اخرى (ما منعك أن تسجد) وقد جاءت كذلك في قوله تعالى (لئلا يعلم اهل الكتاب) أى ليعلم[٤] • وفي تفسيره لقوله تعالى (ان ربى قريب) أى قريب الرحمة لقوله سبحانه وتعالى (ان رحمة الله قريب من المحسنين)[٥] • وفي تفسيره لقوله تعالى (وبث فيها) قال اى أوجد واظهر • واصل البث الاثارة والتفريق • ومنه قوله تعالى (فكانت هباءا منبثا) و (كالفراش المبثوث)[٦] •

---

(١٠٠) المصدر السابق ١/١١٥ •
(١) المصدر السابق ١/٣٦٩ •
(٢) المصدر السابق ١/١٩٨ •
(٣) المصدر السابق ٨/٧٥ •
(٤) المصدر السابق ٨/٨٨ •
(٥) المصدر السابق ١٢/٨٩ •
(٦) المصدر السابق ٢١/٨٢ •

٢ ـ تفسير القرآن بالحديث : وهذه القاعدة يجب اتباعها فيما اذا كان المفسر عالما بالحديث يميز صحيحه من سقيمه • ففي معنى الرزق وانه يشمل الحرام والحلال ، استدل الآلوسي بالحديث الشريف (جاء عمرو بن قرة فقال يا رسول الله ان الله قد كتب على الشقوة ، فلا أراني ارزق الا من دفي بكفي ، فاذن لي في الغنى من غير فاحشة فقال لا اذن لك • وكرامة ولا نعمة كذبت أي عدو الله ، لقد رزقك الله تعالى رزقا حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله تعالى من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله)[٧] واستشهد الآلوسي للتفريق بين القضاء والقدر بقوله صلى الله عليه وسلم (ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بكهف مائل للسقوط فاسرع في المشي حتى جوزه فقيل له : اتفر من قضاء الله تعالى ؟ فقال افر من قضائه الى قدره)[٨] • وهكذا في تفسير جميع الآيات •

ويحشد الآلوسي في معنى آية من الآيات جميع الاحاديث الواردة في الباب ، وقد تكون متعارضة ، فطريقة الآلوسي فيها البحث عن حال تلك الاحاديث قوة وضعفا ، فمتى ظهرت قوة احداهما على الاخرى عول على الاقوى[٩] • وينشغل الآلوسي بالرد على مذهب من المذاهب في توجيه الآية الكريمة بايراد الاحاديث المروية على طريقة ذلك المذهب ، ويترك رواية احاديث كثيرة في الموضوع نفسه المروية على طريقة مذهبه هو ، ويكتفي بان يشير اليها مجملا • والقاعدة العامة التي يمشي عليها الآلوسي في تفسيره أنه اذا صح الحديث فهو مذهبه لا يلتفت الى اى قول[١٠] • ولذلك فانه يهمه كثيرا ان يتوصل الى صحة الاحاديث

---

(٧) روح المعاني ١٧٧/١ •
(٨) المصدر السابق ٣٦٨/١ •
(٩) المصدر السابق ٢٠/١١ ، ٢١ •
(١٠) المصدر السابق ٧٧/٦ •

الواردة لكي يستند عليها في تفسير آيـة أو اثبـات رأى ، ثم يلتفت الى أحاديث اخرى استند عليها آخرون فى رأى رأوه فيبين ما فى بعضها من الاضطراب فى السند ، وما فى بعضها الاخر من عدم دلالتها عـلى رأى خصمه • ففى الآية الكريمة (قـل الانفال للـه والرسـول واتقو الله) يناقش الآلوسى شيخ الاسلام ابا السعود فى انكـاره وقـوع التنفيل فى معركة بدر ثم يستند فى وقوعه على حديث ابن عباس وعبادة ابن الصامت ثم يقول (ولعل فى الباب غير هذه الروايات ، فكان على الشيخ حيث انكر وقوع التنفيل ان يطعن فيها بضعف ونحوه ليتم له الغرض) [(١١)] •

ويلجأ الآلوسى عند ذكر كثير من الاحـاديث الى قاعـدة الجرح والتعديل ، ويبين رأى العلماء فى تضعيف رجالها • فقد روى الفقيه ابو الليث السمر قندى فى تفسيره عن محمد بن الفضل وابى القاسم الساباذى عن فارس بن مردويه عن محمد بن الفضل بن العابد عن يحى بن عيسى عن ابى مطيع عن حماد بن سلمة عن ابى المهزم عـن ابى هريرة رضى الله عنه قال (جاء وفد ثقيف الى رسول الله صلى الله عليـه وسـلم فقـالوا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص ؟ فقال : لا الايمان مكمل فى القلب زيادته ونقصانه كفر) قال الآلوسى (اما الحجة الثانية أى هذا الحديث) التى ذكرها ابو الليث فمما لا يعول عليها عند الحفاظ اصلا ، لان رجـال السند الى ابى مطيع كلهم مجهولون لا يعرفون فى شيء من كتب التواريخ المشهورة • واما أبو مطيع وهو الحكم بن عبدالله بن مسلمة البلخي فقد ضعفه احمد بن حنبل ويحى بن معين وعمرو بن الفلاس والبخارى وابو داود والنسائى وحاتم الرازى وابو حاتم محمد بن حبان البستى والعقيلى وابن عدى والدار قطنى وغيرهم واما ابو المهزم وقد تصحف اسمه على الكتاب

---

(١١) المصدر السابق ١٤٣/٩ •

واسمه يزيد بن سفين ، فقد ضعفه ايضا غير واحد ، وتركه شعبه بن الحجاج وقال النسائي متروك ، وقد اتهمه شعبة بالوضع حيث قال : لو اعطوه فلسين لحدثهم سبعين حديثا ومن مارس الاحاديث النبوية لا يشك في ان ذلك اللفظ ليس منها في شيء[١٢] .

وفي حديث رد الشمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي روته اسماء بنت عميس قال الآلوسي (وهذا الخبر في صحته خلاف ، فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال انه موضوع بلا شك وفي سنده احمد بن داود ، وهو متروك الحديث كذاب كما قال الدار قطني ، وقال ابن حبان : كان يضع الحديث ... وقد افرد ابن تيمية تصنيفا في الرد على الروافض ذكر فيه الحديث بطرقه ورجاله وانه موضوع ، وقال الامام احمد لا اصل له . وصححه الطحاوي والقاضي عياض ورواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه شيخ ابن العراقي في شرح التقريب عن أسماء ايضا لكن بلفظ آخر ، ورواه ابن مردويه عن ابي هريرة ، وكان احمد بن صالح يقول : لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء ، لانه من علامات النبوة)[١٣] .

ان الآلوسي كان محدثا بارعا عارفا بالحديث وعلله ، فهو يرفض احاديث كثيرة ، ولا يكتفي بآراء علماء الحديث وحدهم ، وانما ينزل الى الميدان بجرأة مدققا فاحصا ، فيأخذ ما يأخذ عن تحقيق ، ويذر ما يذر عن تدقيق . فلقد أورد مثلا احاديث في فضل بلاد الشام ثم شك فيها وعلق عليها بقوله (والاحاديث في فضل الشام كثيرة ، وقد جمعها غير واحد ، الا أن في الكثير منها مقالا ، وسبب الوضع كان قويا)[١٤] .

---

(١٢) روح المعاني ١٦٦/٩ .
(١٣) المصدر السابق ١٩٣/٢٣ و ١٩٤ .
(١٤) المصدر السابق ١٩٥/٦ .

واورد ايضا حديث (المعدة بيت الداء ، والحمية رأس كل دواء) فقال : لا يصح رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب[١٥] .

ويناقش الآلوسى المحدثين ولا يقبل حديثا مخالفا لما وصل اليه يقينه عن طريق آثار وروايات اخرى ، كحديث مسلم عن ابى هريرة قال (أخذ رسول الله صلى الله وسلم بيدى فقال (خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر والليل) قال الآلوسى : ولا يخفى أن الخبر مخالف لآية (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) فهو اما غير صحيح أو مؤول ، ويحدد الآلوسى من اول يوم فى الخلق (وانا أرى أن اول يوم وقع فيه الخلق يقال له الاحد)[١٦] .

وكثير ما نراه يحدد موقفه من بعض المحدثين بقوله (لكن تصحيح الحاكم كتضعيف ابن الجوزى لا يعول عليه)[١٧] .

اما موقفه العام من اكثر المحدثين فيحدده بمناسبة الكلام على حديث الغدير فيقول (وقد اعتنى بحديث الغدير ابو جعفر بن جرير الطبرى ، فجمع فيه مجلدين أورد فيهما سائر طرقه والفاظه ، وساق الغث والسمين ، والصحيح والسقيم على ما جرت به عادة كثير من المحدثين فانهم يوردون ما وقع لهم فى الباب من غير تمييز بين صحيح وضعيف)[١٨] .

---

(١٥) المصدر السابق ٨/١١٠ .
(١٦) روح المعانى ٨/١٣٣ .
(١٧) المصدر السابق ١٢/١٢٣ .
(١٨) المصدر السابق ٦/١٩٥ .

وبالرغم من اهتمام الآلوسي بالاحاديث التي يرويها في تفسيره . فان سند بعض هذه الاحاديث يفوته احيانا ولا يذكره ، وهذه ثغرة كان جديرا بـه أن يسدها ، وظني أن خوفـه من الاطالة هو الذى حـل بينه وبين ذلك [19] .

ان علم الآلوسي بالحديث قد عصمه من الاستسلام للروايات الضعيفة والمنكرة والموضوعـة فهو اذا ساقها دل عليها ، وهـذه ميزة كبيرة تعطي لتفسيره مكانة بارزة بين كتب التفسير القيمة ، وقلما سلم المفسرون القدماء من الوقوع فى حشد الاحاديث الضعيفة والقوية دون تنبيه عليها او تمييز لها . ان الانسان يكاد يقيس قوة اى تفسير ببروزه فى هذه الناحية، لان الحديث له مكانة كبيرة فى تفسير القرآن الكريم ، ففساده بالاحاديث غير الصحيحة انما هو افساد للتفسير ، وتوجيه له وجهة خاطئة بل مدمرة . ومن الحق ان نقول ان تفسير الآلوسي قد راعى هذه الناحية مراعاة جيدة ، ولذلك فللقارىء ان يقرأ تفسير الآلوسي وهو مطمئن منه تماما .

٣ ـ التفسير باللغة : يهتم الآلوسي بالتحقيقات اللغوية كثيرا فـي تفسيره ، لانها تفتح امام الانسان اوسع المجالات لفهم الآيات الـكريمة ، فالقرآن نزل بهـا ، والوصول الى الحقيقة اللغويـة هو الطريق الطبيعي للوصول الى التفسير الصحيح .

يذكر الآلوسي فى تفسير الآية معاني الكلمة ، ففي كلمة الرب ذكر التربيـة والخالق والسيد والملك والمنعم والمصلح والمعبود والصـاحب ، ففضل التربية لانها تحمل على الحقيقة والبواقي انما تحمل على المجاز ، ومع

---

(١٩) المصدر السابق ٩٠٨/٧ . بعد كتابتى لرسـالتى وجـدت فى كتاب (تاريخ التفسير) للعلامة الشيخ قاسم القيسي ما يلى (وان الآلوسي من الرجال المتقنين للروايات غير انه لا يطول بـذكر الطـرق والاسانيد الكثيرة) ص ١٤٧ .

ذلك فان معنى التربية يوجد في جميع هذه المعاني[٢٠] . وينقل الاختلاف حول معاني كلمة ثم يردفها بالقائلين بها مع ترجيح أحد الآراء ، ففي تفسيره لكلمة (الحجارة) في قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) نقل انها جمع كثرة لحجر ، ثم نقل أن المراد بها الاصنام التي كانوا ينحتونها ثم ذكر رأيا دون ذينك الرأيين وهو الذهب والفضة ، ثم صحح الاول وهو رأي المحدثين[٢١] .

ويدخل الآلوسي الى مباحث فقه اللغة ففي الآية الكريمة (ويكلم الناس في المهد وكهلا) أطال في مراتب عمر الانسان وتسمية كل مرتبة من جنين ووليد ورضيع وفطيم ودارج وخماس ومثغور ومثغر ومترعرع وجزور[٢٢] . وفي الآية الكريمة (أن يأتيهم بأسنا ضحى) قال أي ضحوة النهار وهو في الاصل ارتفاع الشمس أو شروقها ثم استعمل للوقت الواقع فيه ذلك وهو أحدى ساعات النهار عندهم وهي الذرور والبزوغ والضحى والغزالة والهجرة والزوال والدلوك والعصر والاصيل والصبوت والحدور والغروب . قال وبعضهم يسميها البكور والشروق والاشراق والراد والضحى والمتوع والهاجرة والاصيل والعصر والطفل والحدور والغروب[٢٣] .

ولا يكتفي الآلوسي في معاني الالفاظ بالنقل وانما يراجع الكتب اللغوية التي في متناول يده فيثبت ما حققه في تفسيره سلبا وايجابا ، ويكفي ان نشير الى الفور في الآية الكريمة (ويأتوكم من فورهم هذا) فلقد نقل عن ابن عباس انه بمعنى السفر . ويقول بعد بحث وتدقيق (ثم ان تفسير الفور

---

(٢٠) روح المعاني ٧٧/١ .
(٢١) المصدر السابق ١٩٨/١ ، ١٩٩ .
(٢٢) المصدر السابق ١٦٣/٣ .
(٢٣) المصدر السابق ٤٣/٤ ، ١٢/٩ .

بالسحر مما لم نظفر به فيما بين ايدينا من الكتب اللغوية)[٢٤] . وفي قوله تعالى (اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد) نقل الجياد الطوال الاعناق من الجيد وهو العنق ، وشك الآلوسي في ثبوته فراجع القاموس وغيره من كتب اللغة فلم يجده بهذا المعنى[٢٥] .

ويناقش الآلوسي اللغويين فيما وقعوا فيه من الاخطاء في رأيه ففي الآية الكريمة (وان كل لما جميع لدينا محضرون) قال الآلوسي : ولما بمعنى إلا ومجيئها بهذا المعنى ثابت في لسان العرب بنقل الثقات ، فلا يلتفت الى زعم الكسائي انه لا يعرف ذلك[٢٦] ويعترض على المبرد في قوله ان العين في العزم قلبت حاءا في الحزم بقوله (وليس بشيء لاطراد تصاريف كل من اللفظين ، فليس احدهما اصلا للآخر[٢٧]) . واما في تفسيره لقوله تعالى (نفر من الجن) فلقد رد على الحريري الذي قل ان النفر انما يقع على الثلاثة من الرجال الى العشرة بقوله فقد وهم في ذلك ، فقد يطلق على ما فوق العشرة في الفصيح وذكره غير واحد من أهل اللغة[٢٨] .

والآلوسي في نظري يتبع قاعدة لغوية صحيحة عندما يفهم الالفاظ القرآنية بمعزل عن التكلف في حملها أكثر مما تطيق ففي تفسيره لقوله تعالى (يقطعون ما أمر الله به أن يوصل) نقل اختلافا في معنى (ما) فقيل انه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقيل ايصال القول بالعمل ، وقيل التصديق بالانبياء ، وقيل الرحم والقرابة ، وقيل الامر الشامل ، وهذا هو الوجه عنده ، لان فيه حمل اللفظ على مدلوله من العموم ، ولا دليل واضح على

---

(٢٤) المصدر السابق ٤/٤٥ .
(٢٥) المصدر السابق ٢٣/١٩٠ .
(٢٦) روح المعاني ٧/٢١٢ .
(٢٧) المصدر السابق ٢١/٩٠ .
(٢٨) المصدر السابق ٢٩/٨٢ .

الخصوص[٢٩] • وكثيرا ما يرد الآلوسي أقوال المفسرين الذين يقدرون دوما ما ايجاب للتقدير أو يتمسكون بالقواعد الشاذة فى الاستدلالات ، فان قرأت تفسيره فستصادف كثيرا مثل قوله (وليس بشيء) أو (وهو بعيد) أو (ليس فى الكلام ما يدل على ذلك التقدير) أو (لا يخفى ان أكثر هذه التقديرات غير مناسبة للمقام) أو (لا يخفى عليك الغث والسمين من هذه الاقوال)[٣٠] ويحاول ايضا ان يفهم الالفاظ كما كانت تفهمها العرب أثناء نزولها ، لا المعاني الاصطلاحية التي اضيفت الى الالفاظ نتيجة لاختلاط الحضارات ، وامتزاج الثقافات[٣١] • يقول فى توضيح هذا الاتجاه (والعجيب ممن استشكل هذا المقام كيف لم ينظر فى مدلولات الالفاظ الآلهية بحسب القواعد القرآنية واللغوية فاحتاج فى حله الى تكلفات امور خفية ، وارتكاب توجيهات غير مرضية[٣٢] •

ويكثر الآلوسي من الشواهد الشعرية فى مباحثه اللغوية ففي قوله تعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون) قال (وكثيرا ما أجرى استفعل مجرى أفعل كاستخلص بمعنى أخلص وأستوقد بمعنى أوقد ثم استشهد بقول الغنوي :

وداع دعا يا من يجيب الى الندا   فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وأما اعتماده الاساس فى شرح معاني المفردات فعلى مفردات القرآن للراغب والقاموس المحيط للفيروز آبادي والصحاح للجوهري[٣٣] •

---

(٢٩) المصدر السابق ١/٢١٢ •
(٣٠) المصدر السابق ١٥/٣٠٥ •
(٣١) المصدر السابق ٢٤/١٠٩ •
(٣٢) المصدر السابق ٧/١٤١ • الذى يقوله الآلوسى اعتبره امين الخولى اساسا فى التفسير الأدبى للقرآن الكريم الذى دعا اليه • انظر دائرة المعارف الاسلامية م ٥ ع ١٠/٣٧١ •
(٣٣) المصدر السابق ٦/٢ •

٤ ـ التفسير بالنحو : من أبرز ما يصادفنا في تفسير الآلوسي اهتمامه الكبير بالنحو ومسائله ، واعراب الآيات ومناقشة المشاكل النحوية ، ونقل اختلافات العلماء والمدارس حتى ننسى أحيانا اننا نقرأ تفسيرا ، وانما نجد انفسنا امام كتاب نحوي من المطولات ، لان وقفات الآلوسي تطول في كثير من مسائله[٣٤] . فعند تفسيره لقوله تعالى (ماذا أراد الله بهذا مثلا) بين أن ماذا لها ستة اوجه :

الاول : ما استفهامية في محل رفع مبتدأ وذا بمعنى الذي خبره .

الثاني : أن تكون ماذا كلها استفهاما مفعولا لاراد ، واعتبر الوجهين السابقين صحيحين .

الثالث : ان يجعل ما استفهامية وذا صلة لا اشارة ولا موصولة .

الرابع : ان يجعلا معا موصولا .

الخامس : ان يجعلا نكرة موصوفة .

السادس : أن تكون ما استفهامية واسم الاشارة خبر له[٣٥] .

وأما في (كأين) فقد نقل الخلاف في تركيبها وذكر موافقتها ومخالفتها لكم وكذا ، ثم انتقل الى هيئاتها باعتبار اللفظ واستغرق بحثه هذا حوالي صفحة ونصف صفحة من تفسيره[٣٦] .

وينقل الآلوسي آراء علماء النحو في مسألة نحوية ، ففي قوله تعالى (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) قال والكاف في موضع نصب . وأكثر النحاة يجعلونها نعتا لمصدر محذوف أي ايمانا ايمانا كما آمن الناس ، وسيبويه لا يجوز حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه في هذا الموضع ويجعلها منصوبة

---

(٣٤) روح المعاني ٤/٨١ ـ ٨٢ .
(٣٥) المصدر السابق ١/٢٠٨ .
(٣٦) المصدر السابق ٤/٨١ ، ٨٢ .

على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل[٣٧] .

وفي قوله تعالى (فهي كالحجارة) قال فالكاف للتشبيه وهي حرف عند سيبويه وجمهور النحويين ، واسم عند الاخفش ، وهي متعلقة هنا بمحذوف أي كائنة كالحجارة وخالف هذا ابن عصفور ، اذ زعم أن كاف التشبيه لا تتعلق بشيء[٣٨] .

ومن مرونة الآلوسي في مسائل اللغة والنحو انه يعتقد أن لسان العرب ليس مقصورا على مرواه البصريون بل انه يأخذ ما رواه الكوفيون ايضا . ومن هنا يتجلى مذهبه في الاعتماد على الروايات المختلفة ، دون تعصب لاحدى المدرستين ، ففي تفسيره لقوله تعالى (لو يعمر الف سنة) نقل خلافا حول (لو) فالبصريون على أن لو هنا شرطية وجوابه محذوف أي (لسر بذلك) وحذف لدلالة يود عليه . وذهب الكوفيون الى أن (لو) مصدرية بمعنى (أن) فلا يكون لها جواب ، فيتركب منه مصدر يكون مفعولا ل (يود) كأنه قال يود أحدهم تعمير ألف سنة[٣٩] . ورد الآلوسي أقوال بعض النحويين بأقوال نحويين آخرين ، فقد قال ابن مالك في الآية الكريمة (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا) أن حتى جارة غائبة وأن مضمرة بعدها على تأويل المصدر فغلطه فيه ابو حيان ، وتبعه ابن هشام فقال : لا أعرف له في ذلك سلفا ، وفيه تكلف أضمار من غير ضرورة[٤٠] .

وهو لا ينقل الآراء فقط وانما يرجح الرأي الذي يقتنع بوجاهته . ففي تفسيره لقوله تعالى (ها أنتم اولاء تحبونهم) نقل ضمن ما نقل قول البصريين في انهم يعربون اولاء في محل النصب على الحاليـة ، أي

---

(٣٧) المصدر السابق ١/١٥٤ .
(٣٨) المصدر السابق ١/٢٩٥ .
(٣٩) المصدر السابق ١/٣٣٠ .
(٤٠) روح المعاني ٩/٩ .

ها أنت ذا قائلا ، والحال ههنا لازمة لان الفائدة معقودة بها وبها تتم ، والعامل فيها حرف التنبيه أو اسم الاشارة ، فرجح هذا القول بقوله (ولا يخفى أن ما قاله البصريون هو الظاهر من كلام العرب ، لانهم قالوا ها أنت ذا قائما فصرحوا بالحالية)[٤١] وفي تفسيره لقوله تعالى (بسم الله ...) ذكر رأي البيضاوي الذي يقول ان الباء للاستعانة والزمخشري الذي يقول انه للمصاحبة ، ثم رجح الاول ورد الثاني وابطل ادلة كونه للمصاحبة[٤٢] .

ويتناول الآلوسي المشاكل النحوية التي أثيرت حول آية كريمة ، ومن أبرز هذه المسائل التي صادفتها والتي نقل حولها جدلا مفصلا في الآية الكريمة (ان رحمة الله قريب من المحسنين) فلقد كثر الكلام في توجيه تذكير (قريب) مع انه صفة مخبر بها المؤنث . وقد نقل كلاما طويلا لابن هشام عرض فيه لجميع الوجوه منها كونه خبرا عن الاسم الاعظم ورحمة زيادة على قاعدة ان العرب قد تزيد المضاف خلافا لعلماء البصرة ، ومنها على حذف مضاف أي مكان رحمة الله قريب ، ومنها حذف الموصوف أي شيء قريب ومنها ان الفعيل بمعنى اسم المفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث كرجل جريح وامرأة جريح ومنها فعيل بمعنى فاعل ولكنه يشبه بفعيل بمعنى مفعول فيمنع من التاء في المؤنث والى آخره . ثم عرج الآلوسي على آراء علماء آخرين ، ونبه أنه جرى بحث طويل على هذه الآية بين ابن مالك والروزراوري وميله واضح الى اعتباره بمعنى اسم المفعول[٤٣] .

ومع النحو يعالج الآلوسي المسائل الصرفية ففي تفسيره لقوله تعالى (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) قال : واصله جثوو بواوين فاستثقل اجتماعهما

---

(٤١) المصدر السابق ٣٩/٤ .

(٤٢) المصدر السابق ٤٧/١ .

(٤٣) المصدر السابق ٤٠/٨ ـ ٤٤ .

بعد ضمتين فكسرت التاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلهما فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياءا فادغمت الياء فى الياء فكسرت[٤٤] •

وأعتقد أن الآلوسي قد بالغ كثيرا فى بسط مسائل النحو فى تفسيره ، وذكر ما لا يحتاج القاريء اليه أصلا • ولا يخطر بباله ، وقد يحجبه عن تفهم الجمال القرآني ، فالغوص فى مسائل النحو واللغة والصرف يبعده عن تتبع الآيات ، وينقله الى عالم واسع من جفاف العلوم المذكورة • أنا لا أظن ان الآلوسي لم يشعر بهذا ، ولكنه كما قررنا سابقا أراد أن يجعل من تفسيره معرضا للآراء وملتقى لجميع المناهج التفسيرية ، فهذا التفسير فى الحقيقة موضوع للخاصة من العلماء وليس للعامة •

٥ ـ بيان المسائل البلاغية :ـ ويتناول الآلوسي الآيات من النواحي البلاغية ، فيبين ما فيها من تشبيه أو استعارة أو كناية • ويتطرق الى ما يتعلق بالبيان والبديع فيها ، ويبرز تركيبها ، ويقارن بين الآيات من حيث الزيادة والنقص • وسيمر بنا عند معالجتنا لقضية الاعجاز القرآني فى تفسيره كيف انه ابع أساليب علماء البلاغة فى تفسيره للقرآن الكريم • واضيف الى ما قيل هنالك استخراجه لامور بلاغية معينة ، ففي قوله تعالى (يريدون ان يطفؤا نور الله) قال (وايا ما كان فالنور استعارة اصلية تصريحية لما ذكر واضافته الى الله قرينة والمراد من الاطفاء الرد والتكذيب أي يريد أهل الكتاب ان يردوا ما دل على توحيد الله وتنزيهه)[٤٥] وفى قوله تعالى (مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع) قال كحال من جمع بين العمى والصمم ومن جمع بين البصر والسمع فهناك تشبيهان ، الاول تشبيه حال الكفرة

---

(٤٤) المصدر السابق ١٦/١١٨ •
(٤٥) روح المعانى ١٠/٨٥ •

الموصوفين بالتعامي والتصام عن آيات الله تعالى بحال من خلق أعمى اصم لا تنفعه عبارة ولا اشارة ، الثاني تشبيه حال الذين آمنو وعملوا الصالحات فانتفعوا بأسماعهم وأبصارهم اهتداءا الى الجنة وانكفاءا عما كانوا خابطين فيه من ضلال الكفر والدجنة بحال من هو بصير سميع يستضيء بالانوار في الظلام ويستفيء بمغانم الانذار والابشار فوزا بالمرام[٤٦] وأما في قوله تعالى (ينزل الملائكة بالروح) قال (وايا كان فاطلاق (الروح) على ذلك بطريق الاستعارة المصرحة المحققة ، ووجه الشبه أن الوحي يحيي القلوب الميتة بداء الجهل والضلال أو انه يكون به قوام الدين كما أن بالروح يكون قوام البدن ، ويلزم ذلك استعارة مكنية وتخييلية ، وهي تشبيه الجهل والضلال بالموت وضد ذلك بالحياة أو تشبيه الدين بانسان ذى جسد وروح)[٤٧] .

٦ ـ بيان أسباب النزول :ـ ذكر أسباب النزول في تفسير الآية مهم جدا ، لان القاريء يستطيع ان يفهم كلام الله في ضوئها ، وكأنه يعيش في المجتمع الذي نزلت فيه تلكم الآيات الكريمة . وانطلاقا من هذه القاعدة فان الآلوسي تناول في تفسيره القرآن الكريم أسباب النزول تناولا جيدا ، فيه كثير من التحقيق العلمي ، والاختيار الموفق المناسب لجو القرآني العام . يقول في تفسيره لقوله تعالى (ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) عن ابن عباس نزلت في اليهود لما ضرب الله تعالى الامثال في كتابه بالعنكبوت والذباب وغير ذلك مما يستحقر ، قالوا ان الله أعز وأعظم من أن يضرب الامثال بمثل هذه المحقرات فرد الله تعالى عليهم بهذه الآية[٤٨] . ويذكر كل ما روى في سبب النزول ففي الآية الكريمة (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) نقل ان الآية نزلت في صهيب الرومي عندما

---

(٤٦) المصدر السابق ٣٤/١٢ .
(٤٧) المصدر السابق ٩٣/١٤ .
(٤٨) روح المعاني ٢٠٦/١ .

هاجر من مكة الى المدينة ، ونقل انها نزلت فى الزبير ومقداد عندما أظهرا استعدادهما لانزال خبيب من على الخشبة التي صلبها عليها أهل مكة ، ونقل قول الامامية وبعض الحنفية انها نزلت فى علي عندما قام على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم(٤٩) .

ويختار الآوسي رواية معينة فى سبب النزول ، ويرفض روايات اخرى كما فعل ذلك مثلا فى قوله تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) قال نزلت فى أحبار اليهود الذين خافوا أن تذهب رياستهم بابقاء صفة النبي صلى الله عليه وسلم على حالها فغيروها(٥٠) .

ويروي أحيانا سبب النزول وينص بعد ذلك على ضعفه ، ويعلل بكونه غير مذكور فى كتب الحديث والتفاسير المعتبرة(٥١) . ويذكر أحيانا الذين رفضوه . فقد ذكر ان سبب نزول الآية الكريمة (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) هو مرثد بن ابي مرثد الذي أراد أن يتزوج مشركة من مكة كانت خليلته فى الجاهلية ، وذكر ان السيوطي انكر ان يكون هذا سبب نزول الآية ، وانما هو سبب نزول آية سورة النور (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة)(٥٢) ويقارن بين أسباب النزول ، ويرجح رواية على رواية ، ففي قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) فذكر ان سبب النزول هو ثعلبة بن حاطب وساق رواية طويلة فى ذلك من طريقين ، ثم نقل رواية اخرى فى ان سبب النزول هو(حطب بن ابي بلتعة) فقال : والاول أشهر وهو الصحيح فى سبب

---

(٤٩) المصدر السابق ٢/٩٧ .
(٥٠) المصدر السابق ١/٣٠٣ .
(٥١) المصدر السابق ١/٣٩٩ .
(٥٢) المصدر السابق ٢/١١٨ .

النزول[٥٣] .

ويفسر الآلوسي الآية الكريمة بما صحت لديه من أسباب النزول فيقول في الآية الكريمة (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) قال الكلبي : كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الى قوتا ولا يأكلون دسما في أيام حجهم ، يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون : يا رسول الله نحن أحق بذلك فأنزل الله تعالى الآية . قال الآلوسي (ومنه يظهر وجه ذكر الاكل والشرب هنا (ولا تسرفوا) بتحريم الحلال كما هو المناسب لسبب النزول)[٥٤] .

والآلوسي يرى ان لا مانع من تعدد أسباب النزول في آية واحدة ، فقد تتعدد الاسباب في مشكلة واحدة ، فيأتي القرآن باعطاء الحكم فيها جميعا[٥٥] .

ويطول سبب النزول حتى يكون تاريخا كاملا لواقعة معينة ، ففي تفسيره لقوله تعالى (واذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال) عرض لنا مقدمات واضحة في معركة أحد التي جرت بين المسلمين والمشركين في السنة الثالثة من الهجرة[٥٦] .

ولا ينسى الآلوسي أن ينبه على الاحاديث الموضوعة في أسباب النزول[٥٧] .

٧ ـ التفسير بالاشارة : يفسر الآلوسي مجموعة من الآيات تفسيرا ظاهريا على المبادىء التي عرضناها ثم يطبقها على ما في الانفس والآفاق أو ما سماه العلماء بالتفسير الاشاري[٥٨] . وهو عبارة عن فهم امور معينة هي غير

---

(٥٣) المصدر السابق ١٠/١٤٤ .
(٥٤) المصدر السابق ٨/١١٠ .
(٥٥) المصدر السابق ٣/٢٠٤ .
(٥٦) روح المعاني ٤/٤١ ، ٤٢ ، راجع مثلا ١١/٤٢ـ٤٤ .
(٥٧) المصدر السابق ٤/١٧٨ .
(٥٨) التفسير والمفسرون ٣/١٨ .

ظاهر الآيات ، مع الاعتقاد ان الظاهر هو المقصود الاول . وهو في الحقيقة نوع من أنواع التفاسير الباطنية الا ان الباطنيين يقولون ان الظاهر غير المقصود ، والباطن هو المقصود . ولندع الآلوسي يشرح هذا النوع من التفسير بقوله (وليس ما نحن فيه من هذا القبيل ـ أي من قبيل التفاسير الباطنية ـ كما يزعمه المحجوبون لأن ذلك انما يكون بانكار أن يكون الظاهر مراد الله تعالى ، وقصر مراده سبحانه على هذه التأويلات . ونحن نبرأ الى الله عز وجل من ذلك فانه كفر صريح وانما نقول المراد هو الظاهر ، وبه نعبد الله تعالى ، لكن فيه اشارة الى أشياء أخر لا يكاد يحيط بها نطاق الحصر ، يوشك أن يكون ما ذكر بعضا منها[٥٩] .

ونقل الآلوسي القول الذي يقول الرعد صعقات الملائكة ، والبرق زفرات افئدتهم ، والمطر بكاؤهم ، ثم ذكر أن الزمخشري جعل هذا من بدع المتصوفة . ثم قال (وكأني بك تقول ان اكثر ما ذكر في باب الاشارة من هذا الكتاب من هذا القبيل . والجواب انا لا ندعي الا الاشارة وانما ذلك مدلول اللفظ أو مراد الله تعالى فمعاذ الله تعالى من ان يمر بفكري واعتقاد ذلك هو الضلال البعيد والجهل الذي ليس عليه مزيد ، وقد نص المحققون من الصوفية على ان معتقد ذلك كافر والعياذ بالله تعالى ولعلك تقول كان الاولى مع هذا ترك ذلك ، فنقول قد ذكر مثله من هو خير منا)[٦٠] .

وقبل أن ندخل في مناقشة هذا النوع من التفسير نقدم نماذج منه ، ففي قوله تعالى (واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ، يذبحون ابناءكم ، ويستحيون نساءكم ، ذلك بلاء من ربكم عظيم) اعتبر

---

(٥٩) روح المعاني ١٤٧/٦ .
(٦٠) المصدر السابق ١٣٧/١٣ .

و (اذ نجيناكم) من قوى فرعون ، النفس الأمارة و (يذبحون ابناءكم)
أى القوى الروحانية من القـوى النظرية التى هى العـين اليمنى للقلب
و (يستحيون) قواكم الطبيعية ليستخدموها ويمنعوها من افعالها اللائقـة
بها[٦١] . وفى قوله تعـالى (واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم واغرقنا آل
فرعون وانتم تنظرون) اعتبر (البحر) هو الدنيا وماء شهواتها ولذاتها
وموسى هو القلب . وقومه صفات القلب ، وفرعون هو النفس الامارة وقومه
صفات هذه النفس[٦٢] . وفى قوله تعـالى (ان الله يأمركم أن تذبحوا
بقرة) أول البقرة بالنفس الحيوانية ، وذبحها قمع هواها ومنعها عن افعالها
الخاصة[٦٣] . وفى قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب) قال (ان المشرق
عبارة عن عالم النور والظهور ، وهو جنة النصارى وقبلتهم بالحقيقة باطنة ،
والمغرب عالم الاسرار والخفاء ، وهو جنة اليهود وقبلتهم بالحقيقة باطنـة ،
أو المشرق عبارة عن اشراقه سبحانه وتعالى على القلوب بظهور انواره فيها
والتجلى لها بصفة جماله حالة الشهود ، والمغرب عبارة عن الغروب بتستره
واحتجابه واختفائه[٦٤] . وفي قوله تعالى (ان فى خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما
انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كـل
دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)
قال : ان فى ايجاد سموات الارواح وارض النفوس واختلاف النور والظلمة
بينهما ، وفلك البدن التى تجرى فى بحر الاستعداد بما ينفع الناس فى كسب
كمالاتهم وتكميل نشأتهم ، وما أنزل الله من سماء الارواح من ماء العلم

(٦١) المصدر السابق ١/٢٥٤ .
(٦٢) روح المعانى ١/٢٥٦ .
(٦٣) المصدر السابق ١/٢٩٤ .
(٦٤) المصدر السابق ١/٣٦٦ .

فاحيا به أرض النفوس بعد موتها بالجهل وبث فيها القوى الحيوانية وفرق في افلاكها سيارات عوالم الملكوت ، وتصريف رياح النفحات المحركة لاغصان اشجار الشوق في رياض القلوب وسحاب التجليات المسخر بين سماء الروح وارض النفس ليمطر قطرات الخطاب على نيران الالباب ، لتسكن ساعة من الاحتراق بالتهاب نار الوجد لآيات ودلائل(لقوم يعقلون) بالعقل المنور بالانوار القدسية لمجرد عن شوائب الوهم(٦٥) . وفي قوله تعالى (واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى) قال موتى القلوب بداء الجهل ، وفي (فخذ اربعة من الطير) قال اشارة الى طيور الباطن التي في قفص الجسم وهي اربعة من أطيار الغيب ، العقل ، والقلب ، والنفس ، والروح(٦٦) . وفي قوله تعالى (تولج الليل بالنهار) تدخل ظلمة النفس في نور القلب فيظلم (وتولج النهار في الليل) وتدخل نور القلب في ظلمة النفس فتستنير(٦٧) . وفي قوله تعالى (واسألهم عن القرية) أي اهل قرية الجسد وهم الروح والقلب والنفس الامارة وتوابعها (التي كانت حاضرة البحر) أي مشرقة على شاطيء بحر البشرية(٦٨) . وفي قوله تعالى (ألم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . قال : ففي الآية اشارة الى ان حال أهل الطلب يتغير بتغير الاوقات فيغلب فارس النفس روم القلب تارة ، ويغلب روم القلب فارس النفس بتأيد الله تعالى ونصره سبحانه تارة اخرى(٦٩) .

ان الآلوسي يفترض ان يكون لكل آية تفسيرا اشاريا من هذا النوع ،

---

(٦٥) المصدر السابق ٣٧/٢ .

(٦٦) المصدر السابق ٣١/٣ .

(٦٧) المصدر السابق ١١٩/٣ .

(٦٨) المصدر السابق ١٠٩/٩ .

(٦٩) المصدر السابق ٦٣/٢١ .

فالآيات التي لا يستطيع توجيهها الى المعاني الاشارية التى درج عليها فى جميع الآيات يقول ان لله عبادا يعرفونه على التحقيق وهو لا يعرفه[٧٠] .

انه يريد بنقل تفسيراته الاشارية أن يسجل بامانة آراء المتصوفين . والظاهر انه كان حريصا على أن يكون تفسيره هذا جامعا للآراء كما أسلفنا . وهو ينقل عن شيوخ التصوف وخاصة ابن عربي ، ولا يخفى اعجابه بما ذهب اليه ، وتستغرق هذه التقولات احيانا عدة صفحات[٧١] .

اننا نقرأ هذه التفاسير الاشارية الغريبة فى تفسير الآلوسى ، ثم نتساءل ترى ما علاقتها بالقرآن الكريم ؟ اذا لم يكن هذا خيالا فأي شيء يكون الخيال ؟ ما دليلنا الشرعى والعقلى على صحة هذه التوجيهات ؟ التى سميت تفسيرا اشاريا تخلصا من ملاحقة العلماء ووقاية لشرهم وتشنيعهم فى ذلك بالكفر عليه كما يقول ابن عربي[٧٢] .

ان كلام ابن عربى ـ وهو شيخهم الاكبر ـ يدل دلالة قاطعة على ان الصوفية لم يريدوا الا هذا التفسير ولا يؤمنون الا به لانه نتيجة للكشف والالهام الربانى[٧٣] . قالوا ان دليلهم فى هذا النوع من التفسير ما اثر عن الرسول وعن بعض الصحابة أنهم قالوا ان للقرآن ظهرا وبطنا . واختلف العلماء فى معنى الباطن[٧٤] . واقرب الاقوال الى حقائق الاشياء ، ومنطق الحياة ان يكون الظاهر نص الآية والباطن التأويل الذى له علاقة حقيقية أو مجازية معها .

نحن نفهم أن يقرأ عالم الآية الكريمة (قال انى انكحك احدى ابنتى

---

(٧٠) روح المعانى ١٣/٥ .
(٧١) المصدر السابق ٩/٦ ـ ٩٤ .
(٧٢) التفسير والمفسرون ٣٦/٣ .
(٧٣) المصدر السابق ٣٧/٣ .
(٧٤) المصدر السابق ١٩/٣ ـ ٢٠ .

هاتين) ثم يقول ان في الآية اشارة الى ان للاب ان يعرض ابنته على انسان يرى فيه القوة والامانة • ولكننا لا يمكن ان نفهم التفسيرات الاشارية التى ذكرناها لان حقائق الدين فيها تنقلب وتفسد ، وقوانين الحياة بموجبها تحرف وتحطم ، وتنقلب الآيات الواضحة التي نزلت بعربية مبينة الى فرضيات وخيالات لا يسندها العقل الصريح ولا النقل الصحيح •

عجبا للآلوسى وهو صاحب تلك العقلية الكبيرة ، كيف غابت عنه حقائق الاشياء فى هذه النقطة الخطيرة التى جلبت على المجتمع الاسلامي اكبر الويلات • لقد كانت للباطنية طرق كثيرة للنيل من القرآن الكريم وتحريف آياته عن مواضعها ومعاينها عن حقائقها •

ان الآلوسي يعترف فيقول (واما ذلك مدلول اللفظ او مراد الله تعالى فمعاذ الله ان يمر بفكري واعتقد ذلك هو الضلال البعيد) فاذا لم تكن تلكم التفاسير التى نقلها تمشى على حسب مدلولات الالفاظ فى اللغة العربية التي فسر هو القرآن بموجبها ، واذا لم تكن مراد الله تعالى ، فاذن لماذا اخذها وسجلها ؟ وما الدليل على ان تلك المعاني صحيحة ؟ وما الدليل على ان القائلين بها قد اخذوها فيضا من الله ؟ كما اشار الى ذلك ابن عربى •

اجل بدون دليل من الكتاب والسنة وقوانين الحياة ، ومنطق التفسير ، تستخرج الصوفية من القرآن الكريم الوفا من النماذج الاشارية التي قدمناها ، ثم يقولون ان هذه المعانى ليست معانى باطنية لاننا نقول بظاهر القرآن الكريم •

ان هذا التفسير فى اعتقادى وجه من وجوه الباطنية ، وتلاعب صريح بمعانى القرآن الكريم ، واخراج واضح لآياته عن مقاصدها الحقيقية ، وقد اعترف بهذا ابن عربى فى مقالته عن التفسير الاشارى (فكل آية منزلة لها وجهان : وجه يرونه فى نفوسهم ووجه آخر يرونه فيما خرج عنهم ،

فيسمون ما يرونه في نفوسهم اشارة ، ليأنس الفقيه صاحب الرسوم الى ذلك ، ولا يقولون في ذلك انه تفسير ، وقاية لشرهم وتشنيعهم في ذلك بالكفر عليه ؟ وذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق[٧٥] .

ولعل القارىء يتساءل فيقول اذن فهل الآلوسي باطني؟ اقول كلا ! فقد كان رحمه الله من اشداء اعداء الباطنية ، كفرهم ، وقال بالحادهم وخروجهم على الاسلام[٧٦] .

اذن فما سبب نقله لتلك التفاسير ؟ ان المسألة واضحة جدا ، فلقد كانت عنده رواسب صوفية ـ كما سنقرر ـ وجهته في بعض كتاباته وافكاره ، وهو رأى أن المعاني الاشارية قال بها كبار رجالات الصوفية ، فبعهم في ذلك ، وأول كلامهم ، ودافع عنهم ، ثم انه أراد ان لا يخلو تفسيره الموسوعي من هذا النوع من التفسير الذي كان يعتقد رحمه الله انه لا يضر مع الايمان بالظاهر والعمل به .

٨ ـ أمور اخرى : وهنالك خصائص وأمور اخرى يتناولها الآلوسي نرتبها كما يلي :

آ ـ يذكر الآلوسي في نهاية تفسيره بعض الآيات ، فضل الآية وتلاوتها والتعبد بها ، ويسوق آثارا مروية في ذلك عن رسول الله عليه الصلاة والسلام[٧٧] . كما ويذكر فضائل السور بعد الانتهاء من تفسيرها[٧٨] . ويذكر في بداية تفسيره كل سورة اسمها ومكان نزولها وعدد آياتها . ويلخص احيانا الاسس والخطوط العامة التي اشتملت

---

(٧٥) التفسير والمفسرون ٣/٣٧ .
(٧٦) الاجوبة العراقية على الاسئلة اللاهورية ٣٦ .
(٧٧) روح المعاني ٣/٧٢ .
(٧٨) المصدر السابق ١/٩٨ .

عليها[٧٩] • ويرى الآلوسى أن التشابه بين موضوع نهاية سورة وبين موضوع بداية سورة اخرى من اكبر الاسباب على ترتيبها[٨٠] • قال مثلا فى وجه اتصال سورة الاحقاف بما قبلها (ووجه اتصالها أنه تعالى لما ختم السورة التى قبلها بذكر التوحيد وذم اهل الشرك والوعيد افتتح هذه بالتوحيد ثم بالتوبيخ لاهل الكفر من العبيد)[٨١] • وكثيرا ما يستعين الآلوسى بالسيوطى فى هذا الموضوع[٨٢] •

ويتحدث الآلوسى كثيرا فى التناسب بين ترتيب الآيات • ففى قوله تعالى (يا ايها الناس اعبدوا ربكم) قال : لما بين سبحانة فرق المكلفين وقسمهم الى مؤمنين وكفار ومذبذبين وقال فى الطائفة الاولى (الذين يؤمنون) وفى الثانية (سواء عليهم) وفى الثالثة (يخادعون الله) وشرع ما ترجع اليه احوالهم دينا واخرى فقال سبحانة فى الاولى (اولئك على هدى من ربهم) واولئك هم المفلحون وفى الثانية (ختم على قلوبهم) (ولهم عذاب عظيم) وفى الثالثة (فى قلوبهم مرض) (ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون) اقبل عز شأنه عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاصغاء وتوجيها لقلوبهم نحو التلقي وجبرا لما فى العبادة من الكلفة بلذيذ المخاطبة)[٨٣] • ولا ينسى الكلام حول السور من حيث مكيتها ومدنيتها وينقل اختلاف العلماء فى ذلك مع ايراد ادلتهم بعضهم ضد بعض[٨٤] •

ب ـ يثير الآلوسى المشاكل التى اثيرت حول بعض الآيات ، ثم يبين جواب العلماء فى رد ذلك الاشكال ففي قوله تعالى (الا ان يكون ميتة أو

---

(٧٩) المصدر السابق ٦٣/٢٣ •
(٨٠) المصدر السابق ١٧٨/٤ •
(٨١) المصدر السابق ٢٦/ص ٤
(٨٢) روح المعانى ٤٨/٦ و ٦٧/٣٠ •
(٨٣) المصدر السابق ١٨١/١ •
(٨٤) المصدر السابق ١٧٨/٤ و ٧٦/٧ ، ١٨١/١ •

دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا اهل لغير الله) واشكلت هذه الآية بانها حصرت المحرمات من المطعومات في اربعة : الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير والفسق الذى اهل لغير الله به ، ولاشك انها اكثر من ذلك واجيب بان المعنى لا أجد محرما مما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب كما أشرنا اليه • وحينئذ يكون استثناء الاربعة منه منقطعا اى لا أجد ما حرموه لكن أجد الاربعة محرمة ، وهذا لا دلالة فيه على الحصر • والاستثناء المنقطع ليس كالمتصل فى الحصر كما نبهوا عليه وهو مما ينبغي التنبه له[٨٥] •

وفي الآية الكريمة (ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) قال : وفى على ما قيل اشكال ، وهو انه يفهم بحسب الظاهر منها أنه لم يفتح عليهم بركات من السماء والارض ، وفى الانعام (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) وهو يدل على انه فتح عليهم بركات من السماء والارض ، وانت خبير بان ارادة آمنوا فى اول الامر الى آخره غير ظاهرة ، بل الظاهر انهم لو آمنوا بعد ان ابتلوا ليسرنا عليهم ما يسرنا مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التى بعضها من السماء ، كامطار الحجارة ، وبعضها من الارض كالرجفة ، وبهذا ينحل الاشكال لان آية الانعام لا تدل على انه فتح لهم هذا الفتح كما هو ظاهر لتاليها[٨٦] •

ج ـ يختار الآلوسي ابياتا جميلة فى معنى الآية التي يفسرها ، ففي رده للاستعانة بغير الله استشهد بقول الشاعر :

اليك والا لا تشد الركائب ومنك والا فالمؤمل خائب

(٨٥) المصدر السابق ٨/٤٥ •
(٨٦) المصدر السابق ٩/١١ •

وفيـك والا فالغـرام مضيع وعنك والا فالمحدث كـاذب[٨٧]

وفى تفسير الآية الكريمة (وجرين بهم بريح طيبة) استشهد بقول الشاعر :

الا يا نسيم الريح مالك كلما تقـربت منـا زاد نشـرك طيبـا
اظن سليمى خبرت بسقامها فأعطتـك رياها فجئت طبيبا[٨٨]

وفى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) قال وذكره جل شأنه فى مثل الموطن من اقوى ادلـة محبته جل شأنه ألا ترى من احب مخلوقا مثله كيف يقول :ـ

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تشرب من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانهـا بـرقت كبـارق ثغرك المتبسم[٨٩]

وهكذا نجد فى تفسير الآلوسى مئات من الابيات تترى عـلى هـذه الشاكلة ، فتعطى للمعانى التي يطرقها توضيحـا • وتسبغ عليهـا كثيرا من العواطف الجياشة •

ء ـ لا يفرغ الآلوسى كل ما عنده فى آية واحدة ، وانما يدلو فيهـا بشىء ثم يصرح أن تتمة الكلام فى آية كذا ، فاذا أراد الباحث ان يطلع على كل ما كتبه فى قضية افعال العباد على سبيل المثال ، فعليه ان يراجع تفسير جميع الآيات فى هذا الموضوع حتى يكون على علم بكل ما كتبه فى هـــذا البـــاب •

هـ ـ وكثيرا ما يقدم الآلوسي خلاصة لمعنى الآية بعد استطراداته النحوية والبلاغية ، ففى الآية الكريمة (وما تأتيهم من ذكر من ربهم محدث)

---

(٨٧) المصدر السابق ٩١/١ •
(٨٨) المصدر السابق ١٢٣/١١ •
(٨٩) روح المعانى ١٣/١٠ •

قدم الينا حاصل المعنى بقوله (وحاصل المعنى على الاول ما تنزل اليهم آية من الآيات القرآنية الجليلة الشأن التى من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى شأنه المنبئة عن جريان احكام الوهيته على كافة الكائنات واحاطة علمه بجميع احوال العباد واعمالهم الموجبة للاقبال والايمان بها)(٩٠) .

و ـ لا يخضع الآلوسى فى تفسيره للآيات الادلة القرآنية للترتيب الذى وضعه المنطقيون . استمع اليه يقول (وأنت تعلم ان ادلة القرآن لا يلزم فيها الترتيب الذى وضعه المنطقيون ، فذلك صناعة اغنى الله تعالى العرب عنها)(٩١) .

ز ـ يتطرق الآلوسي فى تفسيره الى مسائل تاريخية تتصل بالآية التى يفسرها ففى قوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله) اشارة الى أخذ ابى ذر رضي الله تعالى عنه بظاهر الآية وايجابه انفاق المال كله الفضل عن الحاجة ، وذكرها بينه وبين معاوية ثم مناقشة كعب الاحبار له ، وضربه اياه ، وموقف الصحابة المعارض من رأيه متمسكين بآية الميراث(٩٢) .

ح ـ ان تفسير الآلوسى للآية ينقلب احيانا الى ابحاث مهمة ، وموضوعات ممتعة ، يجمع شتاتها بمهارة ، مبينا فيها آراء العلماء ، ومذاهب المحققين ، فهو يريد الا يترك القارى الا ويعطيه ملخصا عما كتب فى الموضوع . ففى الآية الكريمة (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) كتب بحثا ممتعا فى اكثر من اربع صفحات حول الولاية ومعنى

---

(٩٠) المصدر السابق ٩٢/٧ .
(٩١) المصدر السابق ٦٦/٢٠ .
(٩٢) المصدر السابق ٨٧/١٠ .

الولى وصفات الاولياء ومقامهم عند الله وقضية الجمع بين الولاية والنبوة[٩٣] . وهنالك مباحث اخرى كبحثه فى علم الكيمياء بالمعنى القديم حيث حشد فيه طائفة كبيرة من آراء الفلاسفة والحكماء والمتكلمين مؤيدين ومفندين[٩٤] .

ط ـ الآلوسى فى تفسيره للآيات القرآنية يستعمل عقله فى النفى والاثبات والترجيح ويصل الاستنكار به للرأى الغريب الى ان يقول (وهو قول هابط الى تخوم الارض) سخرية اذا سمع من يقول ان البقرة التى أمر بنو اسرائيل بذبحها نزلت من السماء[٩٥] .

ى ـ بعد عرض جميع الوجوه الممكنة يدعو الآلوسي القارىء الى الانصاف والتروى فى الحكم واختيار الرأى الاصوب دون التعصب ، وكثيرا ما نقرأ له(فعليك بالتأمل التام فيما ذكره المفسرون ، ولاتك للانصاف مجانبا وللتعصب مصاحبا)[٩٦] .

ك ـ وللآلوسى فى تفسيره للآيات قلم سيال ، يجتمع له فيه ذوق ادبى اصيل مع قوة فى التركيب ، وتمكن من اللغة . اقرأ ان شئت تفسيره للآية الكريمة (ومن يطع الله والرسول) المبلغ ما اوحى الله منه باتباع شريعته ، والرضا بحكمه ، والكلام مستأنفا فيه فضل ترغيب فى الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان أن نتيجتها اقصى ما تنتهى اليه همم الامم ، وارفع ما تمتد اليه اعناق آمانيهم وتشرئب اليه عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا[٩٧] .

---

(٩٣) المصدر السابق ١١/ ١٥٠ .
(٩٤) روح المعانى ٩/١١٣ـ١٢٠ .
(٩٥) المصدر السابق ١/ ٢٩٢ .
(٩٦) المصدر السابق ٢٤/ ١٠٩ .
(٩٧) المصدر السابق ٥/ ٧٥ .



الفصل الثالث

موقفه من آراء القدماء

ا ـ موافقاته ومخالفاته :

١ ـ موقفه من حروف الهجاء فى أوائل السور .

٢ ـ موقفه من القسم .

٣ ـ موقفه من الفواصل .

٤ـ موقفه من المتشابه .

٥ ـ موقفه من النسخ .

٦ ـ موقفه من الاعجاز .

٧ ـ موقفه من القراءات .

٨ ـ موقفه من الاسرائيليات .

٩ ـ موقفه من المسائل الاعتقادية .

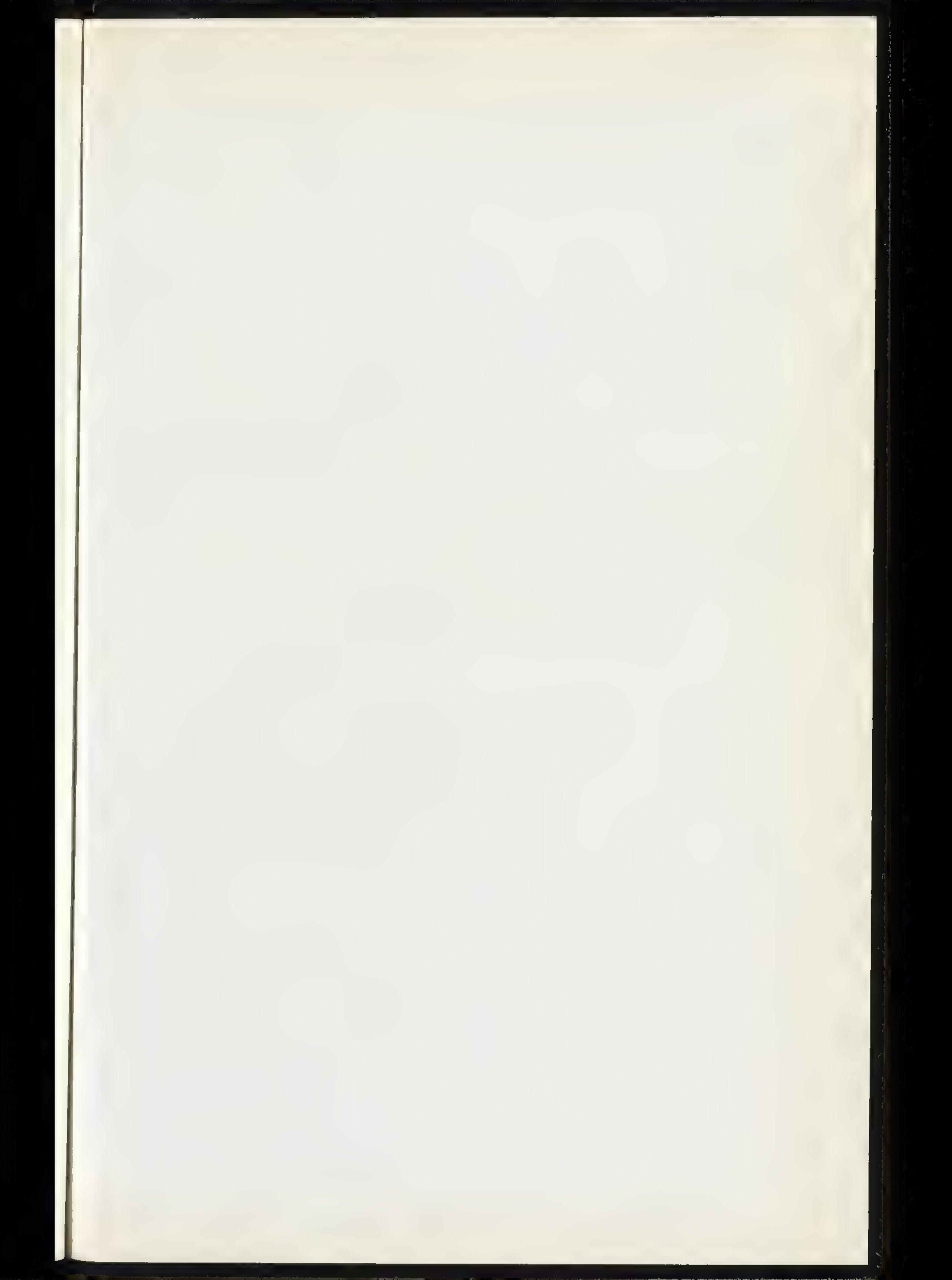
١٠ـ موقفه من المسائل الفقهية .

١١ـ موقفه من التصوف .

١٢ـ موقفه من المسائل الكونية .

١٣ـ موقفه من أهل الفرق والملل .

ب ـ الآراء التى انفرد بها .



١ ـ موقفه من حروف الهجاء فى اوائل السور :ـ

قال الآلوسي عند تفسيره لقوله تعالى فى اول سورة البقرة (ألم) : هى وسائر الالفاظ التى يتهجى بها (كبا تا ثا) اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التى ركبت منها الكلمة لصدق حد الاسم المتفق عليه واعتوار خواصه المجمع عليها وعلى كل منها ويحكى عن الخليل أنه سأل أصحابه كيف تنطقون فى الباء من ضرب والكاف من لك فقالوا ـ باء كاف ـ فقال انما جئتم بالاسم لا الحرف • وانا اقول ـ به كه ـ[١] •

ثم نقل الآلوسي رأيين مشهورين فى هذه الحروف هما :ـ

الاول : ان هذه الحروف أسماء للسور ، وسميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب ، فلو لم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها وذلك كما سموا بلام والد حارثة بن لام الطائي وبصاد النحاس وبقاف الجبل ، واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ، ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى • وهذا هو مذهب سيبويه وغيره من المتقدمين • وعليه الاكثر •

الثاني : انها اسماء الحروف المقطعة ، وهذا أقرب فى رأيهم الى التحقيق لظهوره وعدم التجوز فيه وسلامته مما يرد على غيره ولانه الامر المحقق واوفق للطائف التنزيل لدلالته على الاعجاز قصدا ، ووقوع الاشتراك فى الاعلام من واضع واحد ، فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وكلام سيبويه وغيره ليس نصا فيها لاحتمال أنهم أرادوا أنها جارية مجراها كما يقولون قرأت (بانت سعاد) و (قل هو الله أحد) أي ما أوله ذلك • فلما غلب جريانها على الالسنة صارت بمنزلة الاعلام الغالبة فذكرت فى باب

---

(١) روح المعانى ٩٨/١ • الاتقان ٩/٢ •

العلم واثبتت لها احكامه[٢] •

وهذا الرأي الاخير هو الذى اختاره الطبري بعد ان عرض جميع الروايات الواردة عن السلف فى تفسير هذه الحروف[٣] •

ويعتقد الآلوسي أن جهل أمثالنا بالمراد منها لا يضر للاسباب الآتية :

آ ـ ان من الافعال التي كلفنا بها ما لا نعرف وجه الحكمة فيه ، كرمي الجمرات والسعي بين الصفا والمروة •

ب ـ ان الطاعة مع عدم معرفة الحكمة أدل على كمال الانقياد ونهاية التسـليم •

جـ ـ ان الانسان اذا عرف المعنى وأحاط به ، سقطت هيبته عن القلب ، وان لم يقف على المقصود منه على القطع بان المتكلم به حكيم ، فانه يبقى قلبه متعلقا اليه ابدا ، وفى بقاء العبد ملتفت الذهن ، مشتغل الخاطر بذلك مصلحة عظيمة[٤] •

ويعتقد الآلوسي أن هذه الحروف تشتمل على بحر من المعاني لا ساحل له ، فكل ما ذكره المفسرون انما هو رشفة منه ، ويضيف انه يمكن القول بان هذه الحروف تشتمل على :

آ ـ كل حرف منها يشير الى اسم من اسمائه تعالى •

ب ـ أتى بها هكذا لتكون كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن •

جـ ـ جاءت كذلك ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما فى الباقي من فنون الاعجاز •

---

(٢) المصدر السابق ١/٩٩ـ١٠٠ •

(٣) الطبرى ١/٩٣٣ •

(٤) روح المعانى ١/١٠١ •

د ـ فيها جلبة لاصغاء الاذهان والجام كل من يلغو من الكفار عند نزول القرآن لانهم اذا سمعوا ما لم يفهموه من هذا النمط العجيب تركوا اللفظ ، وتوفرت دواعيهم للنظر فى الامر المناسب بين حروف الهجاء التي جاءت مقطعة وبين ما يجاورها من الكلم رجاء انه ربما جاء كلام يفسر ذلك المبهم ويوضح ذلك المشكل .

هـ ـ ان بعض مركباتها بالمعنى الذى يفهمه أهل الله تعالى منها يصح اطلاقه عليه سبحانه ، فيجري ما روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال يا كهيعص ويا حمسق على ظاهره[٥] .

ويتبين لنا من هذا العرض أن الآلوسي لا يرجح رأيا معينا كما فعل الطبري وكما فعل الزمخشري عند تفسيره لهذه الحروف بقوله (الوجه الثاني : ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه ؟ وكالتحريك للنظر فى ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ، ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة ، وهم امراء الكلام ، وزعماء الحوار ، وهم الحراس على التساجل فى اقتضاب الخطب ، والمتهالكون على الافتنان فى القصيد والرجز ، ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبلغ التي بزت بلاغة كل ناطق ، وشقت غبار كل سابق ، ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ، ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء ، الا لانه ليس بكلام البشر ، وانه كلام خالق القوى والقدر . وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل)[٦] .

---

(٥) المصدر السابق ١٠٣/١ .
(٦) الكشاف ٢٢/١ .

وفى تبرير عدم اختيار رأي معين يقول الآلوسي (والذى يغلب على الظن أن تحقيق ذلك علم مستور ، وسر محجوب ، عجزت العلماء كما قال ابن عباس عن ادراكه وقصرت خيول الخيال عن لحاقه ، ولهذا قال الصديق رضي الله تعالى عنه : لكل كتاب سر ، وسر القرآن أوائل السور • وقال الشعبي (ت ١٠٣ هـ) سر الله تعالى فلا تطلبوه ويصرح الآلوسي انه لا يعرفه بعد رسول الله الا الاولياء الورثة • ويسوق كلاما لابن عربي يزعم أنه مبني على الكشف والالهام محتواه أن هذه الحروف رموز الى امور وارقام وحوادث تخيلها دون الاستناد الى معقول أو منقول[7] •

ان جمع الآلوسي لهذه الآراء ، وعدم اختياره لرأي معين يتفق فى نظري مع وجهته الجامعة فى تفسيره ، وينسجم مع الطريقة العلمية الموضوعية فى عدم اختيار رأي بعينه الا اذا كانت الادلة القوية تسنده ، وهذه غير متوفرة بالنسبة لهذه الآراء •

وبعد انتهاء الآلوسي من تفسير هذه الحروف حسب القواعد المقررة لدى العلماء ، بدأ بتفسيرها تفسيرات اشارية بما يلي :

آ ـ أشار سبحانه بمفتتح سورة الفاتحة الى اسمه الظاهر ، وبهذه الحروف الى اسمه الباطن • ونستنتج من هذا أن الظاهر مقدم على الباطن لان عليه عموم البعثة •

ب ـ فى الاول اشارة الى مقام الجمع وفى الثاني رمز الى الفرق بعد الجمع •

جـ ـ افتتاح هذه السورة بالمبهم ثم تعقيبه بالواضح فيه أتم مناسبة لقصة البقرة (واذا قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون) •

---

(٧) ابن كثير ١/٣٨ •

د ـ فى هذه الحروف رمز الى ثلاثة أشياء ، فالالف الى الشريعة واللام الى الطريقة والميم الى الحقيقة .

هـ ـ الالف من أقصى الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفة وهو آخرها فيشير بها الى ان اول ذكر العبد ووسطه وآخره لا ينبغي الا لله عز وجل .

و ـ فيه اشار الى سر التثليث فالالف يشير الى الله تعالى واللام الى جبريل والميم الى محمد صلى الله عليه وسلم[٨] .

ولعل سائلا يقول : هل عدل الآلوسي عن التفسيرات السابقة الى هذه التفسيرات الاشارية ؟ أقول : لا . لم يعدل ، ولكن اسلوبه فى تفسيره ـ كما مرّ بنا عند الكلام عن تفسيراته الاشارية ـ هو ان يفسر اولا بالظاهر ثم يفسر بالاشارة والاول عنده هو المراد الحقيقي ، والثاني هو تطبيق أهل الذوق من أرباب التصوف ـ كما يقولون ـ لهذه الآيات على ما فى الانفس والآفاق . وبمعنى آخر ان الآلوسي يعتقد ان لنا ان نقول ان هذه الحروف قد تعني الامور الاشارية التي ذكرها اضافة الى التفسيرات التي ذكرها المفسرون . ودليلنا على ذلك قوله (فاعلم أن كل ما ذكره الناس فيها رشفة من بحار معانيها ومن ادعى قصرا فمن قصوره أو زعم أنه أتى بكثير فمن قلة نوره . والعارف يقول باندماج جميع ما ذكروه فى صدف فرائدها ، وامتزاج سائر ما سطروه فى طمطام فوائدها)[٩] .

٢ ـ موقفه من القسم :

القسم هو تحقيق الخبر وتوكيده . وهو موجود فى اللغة العربية والقرآن الكريم الذى نزل بها ورد فيه القسم .

---

(٨) روح المعانى ١٠٤/١ .
(٩) روح المعانى ١٠٣/١ .

قال أبو القاسم القشيري (ان الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها وذلك أن الحكم يفصل باثنين اما بالشهادة وأما بالقسم ، فذكر تعالى فى كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم ، وقال أي وربي انه لحق) •

والقسم على أنواع فى القرآن الكريم :

آ ـ أقسام الله تعالى بنفسه مثل (فوربك لنسئلنهم أجمعين) لانه ليس أحد فوقه •

ب ـ أقسام الله بنبيه مثل (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) لتعرف الناس عظمته عند الله •

جـ ـ أقسام الله بمخلوقاته كقوله تعالى (والتين والزيتون) لانها تدل على الصانع •

والقسم اما ظاهر كالآيات السابقة واما مضمر وهو قسمان دلت عليه اللام نحو (لتبلون في أموالكم) وقسم دل عليه المعنى نحو وان منكم الا واردها وتقديره (والله)[١٠] •

والآلوسي يشير الى الاقسام فى القرآن الكريم ، فعند تفسيره لقوله تعالى (قل أي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين) أشار القسم بالذات الآلهية فى هذه الآية[١١] وفى قوله تعالى (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) قال (قسم من الله بعمر نبينا صلى الله عليه وسلم على ما عليه جمهور المفسرين)[١٢] • وفى قوله تعالى (والصافات صفا ••) قال (أقسام من الله تعالى بالملائكة عليهم السلام كما روى عن ابن عباس وابن مسعود ومسروق ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدى وابى مسلم[١٣] • وينفي أن يكون هنالك

---

(١٠) الاتقان ٢/١٣٣ـ١٣٤ •
(١١) روح المعانى ١١/١٣٦ •
(١٢) المصدر السابق ١٤/٧٢ •
(١٣) المصدر السابق ٢٣/٦٤ •

حذف هو المقسم به . لان القسم بتلك الجماعات انفسها ، ولا حجر على الله عز وجل ، فله سبحانه وتعالى أن يقسم بما شاء فلا حاجة الى القول بان الكلام على حذف مضاف أي (ورب الصافات)[١٤] .

ويحلل بعض الاقسام ويبرز ما فيه كقوله تعالى (والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى) بقوله : وفي الاقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة ، وحسن الموقع ما لا غاية وراءه[١٥] .

ويبين السبب في اتيان المقسم به ، ففي تفسيره لقوله تعالى (ن والقلم) قال : ثم ان استحقاق القلم للاعظام بالاقسام به ، اذا اريد به قلم اللوح الذي جاء في الاخبار انه أول شيء خلقه الله تعالى أو قلم الكرام الكاتبين ظاهر ، وأما استحقاق ما في أيدي الناس اذا اريد به الجنس لذلك فلكثرة منافعه ، ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى فضلا موجبا لتعظيمه[١٦] .

ويبحث عن الحكمة وراء القسم ، ففي قوله تعالى (لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حل بهذا البلد ، ووالد وما ولد ، لقد خلقنا الانسان في كبد) قال : وفي تأكيد كون الانسان في كبد بالقسم تثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعث على أن يطامن نفسه الكريمة على احتماله فان ذلك قدر محتوم)[١٧] .

والقاعدة العامة التي تكاد تسري في معالجاته كلها للقسم هي أن

---

(١٤) المصدر السابق ٢٣/٦٧ .
(١٥) روح المعاني ٢٧/٤٥ .
(١٦) المصدر السابق ٢٩/٢٤ .
(١٧) المصدر السابق ٣٠/١٣٣ .

الاقسام بالشيء هو اعظام له[18] .

وتفسير الآلوسي لظاهرة القسم في الكتاب الكريم يتفق تماما مع ما ذهب اليه علماء الاسلام وكبار المفسرين . يقول الطبري عند تفسيره لقوله تعالى (والسماء ذات البروج) أقسم الله جل ثناؤه بالسماء ذات البروج[19]. ويقول الزمخشري (والصافات صفا) أقسم الله تعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلاة[20] ويقول القرطبي (لا أقسم بهذا البلد) أي أقسم لانه قال بهذا ، وقد أقسم به قوله (وهذا البلد الامين)[21]. ويقول الطبرسي (والشمس وضحاها) قد تقدم ان لله سبحانه أن يقسم بما شاء من خلقه تنبيها على عظيم قدره ، وكثرة الانتفاع به ، ولما كان قوام العالم من الحيوان والنبات بطلوع الشمس وغروبها أقسم الله سبحانه بها وبضحاها[22] .

٣ ـ موقفه من الفواصل :

قال الزركشي عن الفاصلة انها كلمة آخر الآية كقافية الشعر ، وقرينة السجع ، ثم ذكر أن الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي يباين بها القرآن بها سائر الكلام ، وتسمى فواصل ، لانه ينفصل عندها الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصل

---

(١٨) المصدر السابق ١٤٢/٣٠ .
(١٩) تفسيرالطبرى ١٢٧/٣٠ . انظر كذلك ١٤٠/٣٠ ، ١٦٨/٣٠، ١٩٣/٣٠ .
(٢٠) الكشاف ٢٥/٤ . انظر ايضا ٥٨٦/٤ ، ٥٩٥/٤، ٦٠١/٤ ، ٦١٦/٤ .
(٢١) تفسير القرطبى ٥٩/٢٠ . انظر ايضا ٧٢/٢٠ ، ٩٠/٢٠ ، ١١٠/٢٠ .
(٢٢) جامع البيان ٤٩٨/١٠ . انظر ايضا ٥٠١/١٠ ، ٥٠٤/١٠ ، ٥١٠/١٠ .

بينها وبين ما بعدها ، ولم يسموها اسجاعا ، لان السجع يقصد في نفسه ثم يميل المعنى عليه . والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة فيها[٢٣] .

قال السيوطي (وفرق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي فقال : الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آية وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية ، قال ولاجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي يوم يأت وما كنا نبغ وليسا رأس آية باجماع مع اذا يسر وهو رأس آية باتفاق[٢٤] .

واختلفوا في تسمية الفاصلة سجعا . قال الرماني في اعجاز القرآن ذهب الاشعرية الى امتناع ان يقال في القرآن سجع . وفرقوا بان السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه ، والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها . وأيده القاضي ابو بكر الباقلاني وقال (ولو كان في القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز ، ولو جاز ان يقال سجع معجز لجاز ان يقولوا شعر معجز وكيف والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر وذهب كثير من غير الاشاعرة الى اثبات السجع في القرآن وزعموا ان ذلك مما يبين به فضل الكلام وانه من الاجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة كالجناس والالتفات ونحوهما ، وأقوى ما استدلوا به الاتفاق على ان موسى أفضل من هرون لمكان السجع قيل في موضع هرون وموسى ، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل موسى وهرون وقالوا ان ما جاء من السجع في القرآن كثير لا يصح ان يتفق غير مقصود

---

(٢٣) البرهان ١/٥٣ ، ٥٤ .

(٢٤) الاتقان ٢/٩٦ ، ٩٧ .

اليه[٢٥] .

يقول الخفاجي : وأظن الذى دعاهم الى تسمية جل ما فى القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا رغبتهم فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم) ثم قال (والتحرير ان الاسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفواصل)[٢٦] .

ولقد راعى الآلوسي هذه الناحية ، واعطى الفاصلة حقها من الكلام ، وتفسيره شاهد على انه يقول بوجود الفاصلة فى القرآن والتزامها لغاية بلاغية مقصودة .

ويشير الآلوسي الى أن أكثر الفواصل فى القرآن الكريم فى الموعظة مثل (أفلا تتقون) (أفلا تذكرون)[٢٧] ويبين أن الفواصل قد تختلف باختلاف المعاني وترقيها من معنى الى معنى كقوله (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين ، وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها ، وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) . ويذكر أن الفواصل قد تجري مجرى القوافي كقوله تعالى (الظنونا ، الرسولا)[٢٩] .

ويعرض الآلوسى نماذج كثيرة فىالتزام الفاصلة ، ففي الآية الكريمة (والركع السجود) خالف بين وزني تكسيرهما للتنويع مع المخالفة في الهيآت ، وكان آخرهما على فعول لأجل كونه فاصلة[٣٠] . وفى الآية

---

(٢٥) المصدر السابق ٢/٩٧ ، ٩٨ .
(٢٦) المصدر السابق ٢/٩٨ .
(٢٧) روح المعاني ٩/٥٧
(٢٨) المصدر السابق ٢٥/١٣٨ .
(٢٩) روح المعاني ٣٠/٧٨ .
(٣٠) المصدر السابق ١/٣٨١ .

الكريمة (ولا تكفرون) حذف ياء المتكلم تخفيفا لتناسب الفواصل[٣١] وفى الآية الكريمة (اولئك هـم المتقون) اتى بخبر اولئك الاولى موصولا بفعل ماض ايذانا بتحقق اتصافهم ، وان ذلك قـد وقع منهم واستقر ، وغاير فى خبر الثانية ليدل على ان ذلك ليس بمتجدد بل صار كالسجية لهم ، وايضا لو اتى به على طبلى سابقه لما حسن وقوعه فاصلة[٣٢] . وفى الآية الكريمة (رب موسى وهارون) قدم هنا موسى وأخر هارون لأجل الفاصلة ، واما فى مكان آخر فقد قـدم هارون لأجل الفاصلة[٣٣] وبذلك يخالف الآلوسى الباقلاني الذى قـال (واما ماذكر من تقديم موسى عـلى هارون فى موضع وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع وتساوى مقاطع الكلام فليس بصحيح بل القاعدة فيه اعادة القصة الواحدة بالفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا)[٣٤]

أما في الآية الكريمة (حين تريحون وحين تسرحون) حذف المفعول وهو الماشية لرعاية الفاصلة[٣٥] . وفي الآيـة الكريمة (وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون) عبر بالمضـارع في (اذا هـم يقنطون) لرعاية الفاصلة[٣٦] ويقول الآلوسى ان (ال ياسين) لغة في الياس واختاره فى الآية الكريمة (سلام عـلى ال ياسين) لرعاية الفاصلة[٣٧] . وتحذف كلمة احيانا رعاية لها ، ففي قوله تعالى (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) قال : ويمكن ان يقال ـ والله تعالى اعلم ـ التقدير وشراب كثير ، لكن حذف الكثير لدلالة ما قبل ورعاية للفاصلة[٣٨] ، وفي الآية الكريمة

---

(٣١) المصدر السابق ٢/١٩ .
(٣٢) المصدر السابق ٢/٤٨ .
(٣٣) المصدر السابق ٩/٢٦ .
(٣٤) الاتقان ٢/٩٨ .
(٣٥) المصدر السابق ١٤/١٩ .
(٣٦) المصدر السابق ٢١/٤٣ .
(٣٧) المصدر السابق ٢٤/١٤١ .
(٣٨) المصدر السابق ٢٣/٢١٣ .

(فاخذتهم فكيف كان عقاب) اكتفى بالكسرة عن ياء الاضافة فى عقاب لانه فاصلة[٣٩] • وفى الآية الكريمة (ورسلنا لديهم يكتبون) لديهم حال قدم للفاصلة[٤٠] • وفى الآية الكريمة (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) ورد الكفور بصيغة المبالغة مراعاة للفاصلة[٤١] • وفى الآية الكريمة (والليل اذا يسر) حذف الياء لمراعاة الفاصلة[٤٢] •

وواضح من هـــذا العرض أن الآلوسى فى الفواصل يذهب مذهب الخفاجي وكثير من غير الإشاعرة فى التـزام الفاصلة كضرورة بلاغيـــة مقصودة •

٤ ـ موقفه من المتشابه :

نقل السيوطي عن النيسابورى فى المحكم والمتشابه ثلاثة أقوال أحدها أن القرآن كله محكم لقوله تعالى (احكمت آياتــه) والثـاني كله متشابه لقوله تعالى (كتابا متشابها مثاني) والثالث ـ قال وهو الصحيح ـ انقسامه الى محكم ومتشابه لقوله تعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منـــه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات[٤٣] •

وقـد اختـلف فى المحكم والمتشابه فقـال الحنفية (المحكم الواضح الدلالة الظاهر الذى لا يحتمل النسـخ ، والمتشابه الخفي الذى لا يدرك معناه عقلا ولا نقلا ، وهو ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة والحروف المقطعة فى أوائل السور) • وقيل : المحكم ما لا يتحمل من التـأويل الا وجهـا واحدا والمتشابه ما احتمل اوجها • وقيل المحكم الفرائض والوعد والوعيد

(٣٩) المصدر السابق ٢٤/٤٤ •
(٤٠) المصدر السابق ٢٥/١٠٤ •
(٤١) المصدر السابق ٢٩/١٥٣ •
(٤٢) المصدر السابق ٣٠/١٢١ •
(٤٣) الاتقان ٢/٢ •

والمتشابه القصص والامثال . قل ابن عباس (المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه ، والمتشابهات ما يؤمن به ولا يعمل به) وقال مجاهد (المحكمات ما فيه حلال وحرام وما سوى ذلك متشابه) الى غير ذلك من الاقوال(٤٤) .

يتعرض الآلوسى خلال تفسيره لقوله تعالى (لا يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) لرأى الشافعية الذين يقولون بالوقف على (الراسخون). ثم يسوق أدلتهم فى اثبات ذلك ، وكلها أدلة عقلية ليس فيها الا دليل نقلي واحد ، يتمسكون به وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل) . ثم ذكر رأى الحنفية الذين يقولون بالوقوف على (الا الله) لأن الله استأثر لنفسه مما لا يعلمه أحد من عباده ، والراسخون يؤمنون به دون اثارة اى اعتراض ، وهذا هو مذهب الاكثرية من الصحابة والتابعين واتباعهم . وهو أصح الروايات عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه . ويميل الآلوسى الى هذا الرأى ، ويعلن ان يد الله مع الجماعة . ثم يبدأ باثبات هذا الرأى بأحاديث يسوقها ، ويذكر رد الحنفية لأدلة الشافيعة وهو رد الدليل العقلي بالعقلي ، واثبات ان الاحاديث التي يعتمدون عليها أقوى مما استند عليه الشافعية .

والحكمة فى استئثار الله لهذا العلم فى رأيه هو الابتلاء كما ابتلى الله تعالى عباده بعبادات لم يعرفوا حقيقة السر فيها ، والسر فى هذا الابتلاء فى رأيه أيضا قص جناح العقل ، وكسر سورة الفكر ، واذهاب عجب طاووس النفس ، ليتوجه القلب بشراشره تجاه كعبة العبودية ، ويخضع تحت سرادقات الربوبية ، ويعترف بالقصور ، ويقر بالعجز عن الوصول الى هاتيك القصور(٤٥) .

---

(٤٤) الاتقان ٢/٣٠٢ . روح المعاني ١/٨٢ .
(٤٥) روح المعاني ٣/٨٤-٨٦ .

ويسير الآلوسى فى تفسيره على رأى السلف • ففي الآية الكريمة (ان الله لا يستحي) لم يؤول الاستحياء ، بل انه وكل أمره وحقيقته الى عالم الغيب والشهادة[٤٦] • وفى تعيين حقيقة الجنة ومكانها عرض آراء أهل العلم والكلام ثم قرر أن الاحوط عدم تعيينها لأن الادلة متعارضة والكل ممكن[٤٧] • وفى قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) نقل اختلافا كبيرا حول نوعية هذه الشجرة ، ثم قال : الأولى عدم القطع والتعيين ، لأنه ليس فى تعيينها فائدة[٤٨] •

اذن فالآلوسى يفوض علم ما جاء من المتشابهات اليه عز شأنه ، ومع ذلك يؤول بما يليق بجلالة ذاته تعالى كقوله فى تفسير الآية الكريمة (فأتاهم الله) قال : أى أمره سبحانه وتعالى وقدره[٤٩] •

أما عن المتشابه من الصفات كالاستواء واليد والقدم والنزول الى السماء الدنيا ، فهو كذلك مع السلف فى انها صفات ثابتة وراء العقل ما كلفنا الا اعتقاد ثبوتها مع اعتقاد عدم التجسيم والتشبيه ، خلافا للخلف الذين ذهبوا الى تأويلها وتعيين مراد الله منها فالاستواء عندهم بمعنى الاستيلاء • ويقول الآلوسى ان الأمر يحتاج فى نهاية الامر الى القول بان المراد استيلاءاً يليق بشأن الرحمن جل شأنه ، فليقل من أول الامر قبل تحمل مؤونة هذا التأويل استواءاً يليق بشأن من عز شأنه[٥٠] •

وبجانب ذلك فالآلوسى متأثرا بنزعته الصوفية يزعم أن الاولياء يعلمون سر المتشابه وفى سبيل اثبات ذلك نقل تفسيرا باطنيا لابن عربي

---

(٤٦) روح المعاني ٢٠٦/١ •
(٤٧) المصدر السابق ٢٣٣/١ •
(٤٨) المصدر السابق ٢٣٤/١ ، ٢٣٥ •
(٤٩) المصدر السابق ١١٦/٧ ، ٤٥/٩ ، ٤٠/٢٨ •
(٥٠) المصدر السابق ٨٧/٣ ، ٨٨ •

للحروف المقطعة فى أوائل السور ، ثم نقل الكلام المنسوب الى علي رضى الله تعالى عنه فى استخراج وقعة معاوية من (حمعسق) قال الآلوسى (وايضا فى الحروف رمز الى ثلاثة اشياء فالالف للشريعة واللام للطريقة والميم الى الحقيقة ، فهناك يكون العبد كالدائرة نهايتها عين بدايتها وهو مقام الفناء فى الله تعالى بالكلية) وقال (وايضا فى ذلك اشارة الى سر التثليث فالالف مشير الى الله تعالى واللام الى جبرائيل والميم الى محمد صلى الله عليه وسلم[٥١] .

وينقل الآلوسى رواية الشعراني عن شيخه علي الخواص الذى زعم أن الله تعالى أطلعه على معاني سورة الفاتحة ، فأخرج منها اكثر من مائتى الف علم[٥٢] .

ان النقل والعقل ليسا بجانب الآلوسى فى آرائه هذه ، وليس له اى دليل على صحة ما يقول هؤلاء . انني أتساءل على اى شيء استند ابن عربي فى تفسيراته الباطنية ؟ انه لا يستند الا على أوهام وتخيلات . والا فلماذا لا يأتينا بدليل من الكتاب والسنة ؟ قد يقال : انه كان ملهما ، ولكن ما الدليل على انه كان ملهما ؟ وهل يقوم ادعاء الالهام دليلا يقينيا أو مقياسا ثابتا فى تقرير حقيقة من الحقائق ؟ هب انه الهام ، ولكن ما الدليل على ان كل ما صدر عنه الهام ؟ وما المقياس فى هذا وذاك ؟ ان مثل هذه التفاسير والتخيلات الباطنية اوهن من بيت العنكبوت ، كمزاعم على الخواص التي ترفضها العقول الراشدة ، والآثار الصحيحة كل الرفض .

ان من اقبح الاقوال أن يقال ان (الم) اشارة الى سر التثليث كما مر . اننا اذا أعطينا المجال للتأويل والقينا الحبل على الغارب ، لجاء شخص فزعم أن التثليث الذى يدعيه النصارى موجود حتى فى القرآن الكريم ، فالالف هو الله ، واللام جبريل ، والميم المسيح ، هكذا بلا ضابط ولا قياس .

---

(٥١) المصدر السابق ١/١٠٠-١٠٣ .
(٥٢) المصدر السابق ٣/٨٧ .

ان جميع الآثار الصحيحة التي بين أيدينا تثبت انه لا يعلم الغيب الا الله ، ولذلك فانه لا يعلم حقيقة تلك الآيات المتشابهات الا الله . ولا يعلم تأويلها الا الله .

الحق ان بقية رواسب صوفية لم تزل تتحرك في أغوار لا شعور الآلوسي في التصديق بمثل هذه المزاعم التي تثبت في الكتب باسم الكشف والالهام .

٥ ـ موقفه من النسخ :

يرد النسخ بمعنى الازالة في قوله تعالى (فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم آياته) ويرد بمعنى التبديل كقوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية) وبمعنى التحويل كتناسخ المواريث ، وبمعنى النقل من موضع الى موضع ، ومنه نسخت الكتاب(٥٣) .

قال السيوطي (والنسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكم منها التيسير ، وقد أجمع المسلمون على جوازه) ثم نقل اختلاف العلماء فقال بعضهم لا ينسخ القرآن الا بالقرآن لقوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) ، وقل آخرون بل ينسخ القرآن بالسنة لانها ايضا من عند الله . قال تعالى (وما ينطق عن الهوى) وقال الشافعي (حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فمعها قرآن عاضد لها ، وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له ، ليتبين توافق القرآن والسنة)(٥٤) .

نقل الآلوسي في معرض كلامه عن النسخ ان اهل الشرائع اتفقوا على جواز النسخ ووقوعه ونقل رأى ابى مسلم الاصفهاني الذى ينص على انه وان جاز النسخ عقلا ، لكنه لم يقع(٥٥) .

---

(٥٣) الاتقان ٢/٢١ .
(٥٤) المصدر السابق ٢/٢١ .
(٥٥) روح المعاني ١/٣٥١ ، ٣٥٢ .

وعرض الآلوسى لحكمة النسخ بقوله (اذ الاحكام انما شرعت ، والآيات انما نزلت لمصالح العباد ، وتكميل نفوسهم ، فضلا منه تعالى ورحمة ، وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص)[٥٦] .

وايمان الآلوسى بالنسخ يظهر من تفسيره للآية الكريمة (ما ننسخ من آية أو ننسها) فهو يؤمن به بمعنى بيان انتهاء التعبد بقراءتها كآية (الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله ، والله عزيز حكيم) . وقد وقع انساء الآية بعد نسخها ، حيث ان بعض الصحابة أراد قراءة بعض ما حفظه فلم يجده في صدره ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال (نسخ البارحة من الصدور) ويعتمد الآلوسى فى وقوع هذا النسخ على ما رواه مسلم عن ابى موسى (انا كنا نقرأ سورة نشبهها فى الطول والشدة ببراءة ، فانسيتها غير اني حفظت منها (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا . وما يملأ جوف ابن آدم الا التراب)[٥٧] .

والغريب ان الآلوسى يفند خبرا مشابها لهذا أخرجه الامام أحمد والترمذى والحاكم وصححه عن أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك القرآن فقرأ عليه الصلاة والسلام (لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) فقرأ فيها ، ولو ان ابن آدم سأل واديا من مال فاعطيه يسأل ثالثا ، ولو سأل ثانيا فاعطيه يسأل ثالثا . ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب . وان الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية . ومن يفعل ذلك فلن يكفره) فيقول (وهو مخالف لما صح عنه ، فلا يعول عليه ، كما لا يخفى على العارف بعلم الحديث)[٥٨] .

---

(٥٦) المصدر السابق ٣٥٣/١ .
(٥٧) روح المعاني ٣٥١/١ ، ٣٥٢ .
(٥٨) المصدر السابق ٢٠٧/٣٠ ، ٢٠٨ .

ولعله أراد فقط نفي اسناد هـذا اللفظ الى أُبي لانكار المعنى الـذى اثبته حديث آخر ٠

واشار الآلوسى فى تفسيره الى الآيات المنسوخة بالتفصيل مع نقل من قال ذلك وآرائهم فقد نقل عن قتادة والسدى وابن عباس ان آيـة (فاعفوا واصفحوا) منسوخة بآية السيف[٥٩] ويشـير كذلك في كل مناسبة تأتي الى نسخ الآية ان كان قد قيل فيهـا ذلك[٦٠] ٠ ويذكر احيانا الآيـات المنسوخة فى بداية تفسير السورة ٠ وينقل الاقوال فيها ثم يفصل القول في كل آية فى اماكنها الخاصة[٦١] ٠ واذا كان في الآية قولان ذكرهما ، ففي قوله تعالى (الا قليلا منهم ، فاعف عنهم واصفح) اشار الى انهـا نسخت بقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله) ثم نقـل ما روى عن قتادة وعن الجبائي أنها منسوخة بقوله تعالى (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء)[٦٢] ٠

ولا يقول الآلوسى بالنسخ فى جميع الآيات ٠ ففي قوله تعالى (خـذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) قال : وعن السدى أن هذا أمر بالكف عن القتال ، ثم نسخ بآيته ٠ ولا ضرورة الى دعوى النسخ فى الآية كما لا يخفى على المتدبر[٦٣] ٠

ويذكر احيانا رأيا يقول بأن الآية الفلانية منسوخة بآية كذا ٠ ولا ينسى أن يأتي بالرأى المضاد الذى يقول بأنها قد نسخت بالعكس ٠ ففي آية البقرة (ولا تنكحوا المشركات) ذهب الامامية والزيدية وآخرون ان هذه

---

(٥٩) المصدر السابق ١/٣٥٧ ٠
(٦٠) المصدر السابق ٧/١٨٢ ، ١٤/٢٣١-٢٣٢ ٠
(٦١) المصدر السابق ٦/٤٧ ٠
(٦١) المصدر السابق ٦/٤٧ ٠
(٦٢) المصدر السابق ٦/٩٠ ٠
(٦٣) المصدر السابق ٩/١٤٧ ٠

الآية منسوخة بآية المائدة (والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب) وذكر بعد ذلك ان المشهور الذى عليه العمل ان آية البقرة نسخت ما فى المائدة ، وهو الذى ذهب اليه الحنفية والشافعية الذين يقولون بالتخصيص دون النسخ ، ويميل الى القول الاخير كما هو الظاهر من كلامه[٦٤] .

ويؤمن الآلوسى بجواز نسخ القرآن بالسنة . ففي تفسيره لقوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قال (ثم لا يخفى أن ما تقدم من التعميم مبني على جواز النسخ بلا بدل ، وجواز نسخ الكتاب بالسنة . وهو المذهب المنصور) . واعترضوا على هذا بأن الناسخ هو المأتى به بدلا وهو خير أو مثل ، ويكون الآتي به هو الله تعالى والسنة ليست خيرا ولا مثل القرآن ولا مما أتى به سبحانه وتعالى . والآلوسى لا يسلم حصر الناسخ بما ذكر اذ يجوز أن يعرف النسخ بغير المأتى به ، فان مضمون الآية ليس الا أن نسخ الآية يستلزم الاتيان بما هو خير منها أو مثل لها . ولا يلزم منه أن يكون ذلك هو الناسخ فيجوز أن يكون امرا مغايرا يحصل بعد حصول النسخ ، واذا جاز ذلك فيجوز أن يكون الناسخ سنة ، والمأتى به الذى هو خير أو مثل آية اخرى . وايضا السنة مما أتى به الله سبحانه لقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وليس المراد بالخيرية والمماثلة فى اللفظ حتى لا تكون السنة كذلك ، بل فى النفع والثواب ، فيجوز أن يكون ما اشتملت السنة خيرا من ذلك[٦٥] .

ولقد تطرق الآلوسى الى هذه المسألة مرة اخرى عند تفسيره لقوله تعالى (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين) فقال (اخرج احمد وعبد بن حميد والترمذى وصححه النسائي

---

(٦٤) روح المعاني ١١٨/٢ .
(٦٥) المصدر السابق ٣٥٣/١ .

وابن ماجة عن عمرو بن خارجة رضيالله تعالى عنهم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خطبهم على راحلته فقال (ان الله قد قسم لكل انسان نصيبه من الميراث فلا تجوز لوارث وصية) و (اخرج احمد والبيهقي فى سننه عن ابى امامة الباهلي سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجةالوداع فى خطبته يقول (ان الله قد اعطى كل ذى حق حقـه فلا وصية لوارث) واخرج عبد بن حميد عن الحسن نحو ذلك • ثم قال الآلوسى (وهـذه الاحاديث لتلقى الامة لها بالقبول انتظمت فى سلك المتواتر فى صحة النسخ بها عند ائمتنا قدس الله اسرارهم بل قال البعض انها من التواتر وان التواتر قد يكون بنقل من لا يتصور تواطؤهم على الكذب ، وقد يكون بفعلهم بأن يكونوا عملوا به من غير نكير منهم على ان النسخ فى الحقيقة بأية المواريث ، والاحاديث مبينة لجهة نسخها)[٦٦] •

والآلوسى فى هذه المسألة يذهب مذهب الجمهور القائلين بجواز نسخ الكتاب بالسنة ونسخ السنة بالكتاب ، مخالفا بذلك الامام الشافعي الذى منع ذلك[٦٧] •

٦ ـ موقفه من الاعجاز :

تحدى القرآن الكريم العرب الذين نزل فيهم ، وهم اصحاب البلاغة ، وأساطين البين بقوله تعالى (ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثـله مفتريات)[٦٨] وقوله (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله[٦٩] • فلم يقدروا ، وحق عليهم الاعجاز بقوله تعالى(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثلـه ولو كان

---

(٦٦) المصدر السابق ٢/٥٣ ، ٥٤ •
(٦٧) علي حسب‌الله ـ اصول النشريع الاسلامى ص ٣٢٠ •
(٦٨) هود ١٣ •
(٦٩) البقرة ٢٣ •

بعضهم لبعض ظهيرا)[٧٠] .

ولم تكد دولة بني العباس ترسي قواعدها ، ولم تكد مطاعن اعداء الاسلام توجه الى الكتاب الكريم حتى بدأ العلماء فى محاولة ادراك سر هذا الاعجاز ، واستنباط قواعده وأسسه ، وابراز البلاغة القرآنية فى صورة رائعة موحية .

ولعل أول من ولج هذا الميدان هو لسان المعتزلة ابو اسحق النظام (ت ٢٣١ هـ) الذى حصر معجزة القرآن الكريم فى صرف العرب عن معارضته ، وما فيه من الاخبار بكل غيب مضى وكل غيب سيأتي[٧١] . ثم جاء تلميذه الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) فألف كتابه (نظم القرآن) الذى لم يصل الينا والذى قال عنه فى كتابه الحيوان (ولي كتاب جمعت فيه آياً من القرآن لتعرف بها ما بين الايجاز والحذف وبين الزوائد والفضول والاستعارات ، فاذا قرأتها رأيت فضلها فى الايجز والجمع للمعانى الكثيرة بالالفاظ القليلة ، فمنها قوله حين وصف خمر اهل الجنة (لا يصدعون عنها ولاينزفون) وهاتان الكلمتان جمعتا جميع عيوب خمر اهل الدنيا وقوله عزوجل حين ذكر فاكهة اهل الجنة (لا مقطوعة ولا ممنوعة) جمع بها تين الكلمتين جميع تلك المعانى)[٧٢] فالجاحظ يرى وجهين للاعجاز احدهما أن القرآن معجز بنظمه وتأليفه والثانى أن الله صرف الناس عن أن يعارضوا هذا الاعجاز القرآنى . وهو يرد على النظام ومن تبعه فى رأيه بأن القرآن ليس معجزا بنظمه وان للعرب القدرة على مثل نظم القرآن لولا صرفة الله[٧٣] .

---

(٧٠) الاسراء ٨٨ .

(١٧) الاشعري ـ مقالات الاسلاميين ١/٢٢٥ـ٢٢٦ . انظر مالك بن بنى ـ الظاهرة القرآنية ـ المقدمة بقلم محمد محمود شاكر ص ٣٩ .

(٧٢) مباحث فى علوم القرآن ٣١٤ .

(٧٣) منهج الزمخشري ٢٠٦ .

أما على بن عيسى الرمانى (ت٣٨٦هـ) فقد حصر اعجاز القرآن فـى ترك المعارضة مع توافر الدواعى وشدة الحاجة والتحدى للكافة والصرفـة والبلاغة والاخبار الصادقة عن الامور المستقبلـة ، ونقض العـــادة وقياس القرآن بكل معجزة(٧٤) .

ورأى الخطابى (ت٣٨٥هـ) أن الوجه الاول فى الاعجاز القرآنـى هو الاحاطة الآلهية باسرار اللغة حتى جاء القرآن معجزا لفظا ومعنى ونظما . والوجه الثانى عنده ، هو ما للقرآن من اثر نفسى(٧٥) .

ووسط كثرة المناقشات بين هذه الفئات ممن عرفوا باسم المتكلمـــين انبرى الامام ابو بكر الباقلانى (ت ٤٠٣هـ) يرد قول النظام والرمـانى ان العرب صرفوا عن معارضته ، لان ذلك يقتضى أن معارضة القرآن ممكنة(٧٦) . وبين أن الاعجز هو فى :

آ ـ تضمنه الأخبار عن الغيوب وما فيه من القصص الديني وسير الانبياء مما روته الكتب السماوية ، مع ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يقرأ ولا يكتب .

ب ـ انه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه فى البلاغة الى الحد الذى يعلم عجز الخلق عنه .

ويحاول الباقلانى تفسير نظريته ، فيتحدث عن نظم القرآن ويقول انه مخالف للمألوف من كلام العرب ، وله اسلوب يتميز به يباين فى الكلام الموزون والمنثور بضريبة من السجع والترسل ، وهو اسلوب فريد ، تطرد فيه البلاغة اطرادا يشمل جميع آياته دون اى تفاوت(٧٧) .

---

(٧٤) شوقي ضيف ـ البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٩ .
(٧٥) منهج الزمخشري ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .
(٧٦) البلاغة تطور وتاريخ ١٠٨ . انظر بدوي طبانه ـ البيان العربي ٤٣ .
(٧٧) المصدر السابق ١٠٩ . انظر منهج الزمخشري ٢٠٧ .

أما عبدالقادر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) فهو يرد اعجاز القـرآن فى النظم والتأليف الى خصائص فى اسلوبه وراء جمال اللفظ ، وجمال المعنى أو بعبارة اخرى الى خصائص فى نظمه تطرد فى جميع آياته[٧٨] . فالاعجاز لا يرجع الى وجود الاستعارات والتشبيهات والكنايات وارسال المثل والجناس والتورية وكل انواع الصناعة اللفظية لان معنى هذا ان الآية التى ليس فيها احد هذه النكت البلاغية لا تكون معجزة . فغاية الجرجانى هـو صـرف الاهتمام الى جانب المعنى فهو يقول (فالالفاظ لا تتفاضل من حيث هـى الفاظ مجردة ولا من حيث هى كلم مفردة ، وانما تثبت لها الفضيلة وخلافها فى ملائمة معنى اللفظة للمعنى التى تليها أو ما اشبه ذلك ، مما لا تعلق لـه بصريح اللفظ[٧٩] . فاللفظ اذن هو خادم طبيعي للمعانى (انك اذا فـرغت من ترتيب المعانى من نفسك لم تحتج الى ان تستأنف فكرا فى ترتيب الالفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم انها خدم للمعانى وتابعة لها ولاحقة بها ، وان العلم بمواقع المعانى فى النفس علم بمواقع الالفـاظ الدالة عليهـا فـى النطق)[٨٠] .

ان النظرية التى دعى اليها الجرجانى اثمرت ثمرتها عند الزمخشرى، فهو يشير اليها ويجعلها عمدة تفسيره ، ويؤمن انه لن ينهض لتفسير القرآن الكريم الا الذى أخذ حظه من علمين مختصين بالقرآن ، يكشفان عن جمال معانيه ومزيتها ، وهما علما المعاني والبيان[٨١] .

ومجمل رأى الزمخشرى فى اعجاز القرآن هو ؟ انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب[٨٢] .

---

(٧٨) المصدر السابق ١٦٦ .
(٧٩) دلائل الاعجاز ٣٨ .
(٨٠) المصدر السابق ٤٤ .
(٨١) منهج الزمخشري ٢١٥ .
(٨٢) المصدر السابق ٢١٦ .

أما الرازى فقد رفض تفسير اعجاز القرآن بالصرفة وان اسلوبه يخالف اسلوب الشعر والخطب والرسائل وخاصة فى مقاطع الآيات ومذهب من قالوا بانه ليس فيه اختلاف وتناقض بينما يشيعان فى كلام العرب حتى لا يوجد لهم شعر ولا نثر يخلو منهما ومذهب من رجعوا الاعجاز الى اشتمال القرآن على الغيوب .

والصحيح فى رأيه هو تعليل اعجازه بفصاحته ، وهى عنده يرجع الى الالفاظ والمعانى[٨٣] .

أما السكاكى (ت ٦٢٦هـ) فيقول ان اعجاز القرآن يدرك ولايمكن وصفه كاستقامة الوزن والملاحظة وطيب النغم ولا يدرك تفصيله لغير ذوى الفطر السليمة الا باتقان علمى المعانى والبيان والتمرن فيهما[٨٤] .

وقيل اعجازه كونه مع طوله وامتداده غير متناقض ولا مختلف ، وقيل هى موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى . وقيل اعجازه قدمه . وقيل الروعة التي تلحق قلوب سامعيه ، وانه لا يمل تاليه[٨٥] .

ويتكلم الآلوسى فى الاعجاز فيقول انه (المرتبة التى يعجز البشر عن الاتيان بمثلها ولا تدخل على قدرته قطعا ، وهى تشتمل على شيئين الأول الطرف الاعلى من البلاغة أعنى ما ينتهى اليه البلاغة ولا يتصور تجاوزها اياه والثاني ما يقرب من ذلك الطرف أعني المراتب العلية التي تتقاصر القوى البشرية عن الاتيان بمثلها سواء أكانت من القسم الاول أو الثانى[٨٦] . ويريد الآلوسي ان يقول ـ كما يدل عليه ظاهر كلامه ـ ان من آيات القرآن ما ينطبق عليها النوع الاول ومنها ما ينطبق عليها النوع الثانى .

---

(٨٣) البلاغة تطور وتاريخ ٢٧٦ .
(٨٤) الاتقان ٢/١٢٠ .
(٨٥) المصدر السابق ٢/١١٩ . انظر روح المعاني ١/٢٧-٣١ .
(٨٦) روح المعاني ١٢/٦٣ .

ويأتي الى جميع هذه الاقوال فيناقشها قولا قولا ، ويذكر ردود العلماء بعضهم على بعض في اختيارها ، ثم يلخص رأيه هو بقوله (والقرآن بجملته وابعاضه حتى اقصر سورة منه معجز بالنظر الى نظمه وبلاغتـه واخباره عن الغيب وموافقته لقضية العقل ، ودقيق المعنى ، وقد يظهر كلها في آية وقـد يستتر البعض كالاخبار عن الغيب)(٨٧) .

وعلى هذا فقد ذهب الآلوسي مذهب القاضي عيـــاض (ت ٥٤٤هـ) والزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في الجمع بين الآراء مع نبذ بعضها كالقول بـــأن اعجازه قدمه أو ان الذين نزل عليهم سلبوا العلوم التي لا بد منها في المعارضة أو انهم صرفوا عنها)(٨٨) .

ويفصل الآلوسي الوجوه الاربعة التي اختارها في اعجاز القـــرآن بمايلي :

آ ـ ان القرآن جامع لمحاسن مراتب تأليف الكلام وهذه هي : الاول ضم الحروف المبسوطة بعضها الى بعض ، فتحصل الكلمات الثلاث الاسم والفعل والحرف والثاني تأليف هذه الكلمات بعضهـا الى بعض فتحصـــل الجملة المفيدة . والثالثة ضم ذلك الى بعض فيما له مباد ومقاطع ومداخـل ومخارج ويقال له المنظوم والرابع ان يعتبر في اواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له المسجع والخامس ان يحصل له مع ذلك وزن ويقال له ان قصد الشعر والمنظوم اما محاورة ويقال له الخطابة واما مكاتبة ويقال له الرسالة . ولكل ذلك نظم مخصوص والقرآن جامع لمحاسن الجميع بنظم مكتس ابهى حلل ، ومتعر عن كل خلل . ويؤيد ذلك انه لا يصح ان يقال له رسالة أو خطابة ، أو سجع كما يصح ان يقال هو كلام . والبليغ اذا قرع سمعه فصل

---

(٨٧) المصدر السابق ١/٣١ .

(٨٨) المصدر السابق ١/٣١ . انظر الاتقان ٢/١٢١ .

بينه وبين ما عداه من النظم عرف الفرق الواضح بينهما ، ولذلك قال الوليد بن المغيرة عندما سمع شيئاً من الآيات (فوالله ما فيكم رجل اعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا . ووالله ان لقوله الذى يقوله حلاوة ، وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه ، ومغدق اسفله ، وانه ليعلوا ولا يعلى ، وانه ليحطم ما تحته[٨٩] .

ب ـ أما فى البلاغة فيؤمن الآلوسى ان اجناس الكلام مختلفة ومراتبها فى البيان متفاوته فمنها البليغ الرصين الجزل . ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الجارى الطلق الرسل . وهذه اقسام الكلام الفاصل المحمود ، فالاول اعلاها والثانى اوسطها والثالث ادناها واقربها ، وقد حازت بلاغة القرآن من كل قسم من هذه الاقسام اوفر حصة ، واخذت من كل نوع اعظم شعبة ، فانتظم لها بانتظام هذه الاوصاف نمط من الكلام يجمع بين صفة الفخامة والعذوبة ، وهما كالمتضادين ، فكان اجتماع الامرين فيه مع نبو كل منهما عن الآخر فضيلة ومنزلة جليلة ، وقد خص بذلك القرآن الكريم[٩٠] .

ج ـ اما بيان اشتماله على الاخبار بالغيب ، فلانه تضمن ما يحكم العرف بكثرته من أخبار القرون الماضية والامم البادية والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من اخبار اهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك وتتبعه ، فيورده القرآن على وجهه ، ويأتى به على نصه . ومن المعلوم ان من يأتى به أمى لا يقرأ ولا يكتب مع الاعلام بما فى ضمائر كثيرين من غير ان يظهر ذلك منهم كقوله تعالى (اذ همت طائفتان ان تفشلا ..)[٩١] .

---

(٨٩) روح المعاني ١/٢٩ ، ٣١ .
(٩٠) المصدر السابق ١/٣١ ، ٣٢ .
(٩١) المصدر السابق ١/٣٢ .

د ـ واما موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى ، فلانه اشتمل على توحيد
الله وتنزيهه والدعاء له الى طاعته وبيان طريق عبادته من تحليل وتحريم.

د ـ واما موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى ، فلأنه اشتمل على توحيد الله وتنزيهه والدعاء له الى طاعته وبيان طريق عبادته من تحليل وتحريم . ووعظ وتعليم وأمر بمعروف ، ونهي عن منكر ، واشارة الى محاسن الاخلاق ، وزجر عن مساويها واصفا كل شيء منها بوصفه الذى لا يرى اولى منه ، ولا اليق ، ولا يتصور أحرى من ذلك ولا اخلق ، جامعا بين المحجة والمحتج له ، والدليل والمدلول عليه ، ليكون ذلك اوكد للزوم ما دعا اليه ، وامتثال ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه[٩٢] .

وعند تفسيره لقوله تعالى (أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) يقول : وفي هذه الآية دليل على اعجاز القرآن ، لانه عليه الصلاة والسلام تحدى مصاقع العرب بسورة ما منه ، فلم يأتوا بذلك والا لنقل الينا لتوفر الدواعي الى نقله . وهذه نقطة اخرى اضافها الالوسى الى ما قرره من وجوه الاعجاز . فعدم اتيان القوم بمثله هو في نظره احد ادلة الاعجاز كما قاله جمع من العلماء قبله[٩٣] .

ويعتقد الآلوسى أن كل ما ورد في القرآن الكريم وراءه حكمة ، واختلاف الاسلوب انما هو لاختلاف المعنى ، واستعمال الادوات المختلفة في مواطن متعددة بالنسبة لكلام واحد انما هو لغاية معينة . وعليه فهو يرد قول من قال أن القرآن بهذا الاستعمال أو ذاك أراد جواز الوجهين بقوله (ولم يعلم عافاه الله تعالى أن القرآن الكريم لم ينزل معلما للعربية مبينا

---

(٩٢) روح المعاني ١/٣٢ .
(٩٣) المصدر السابق ١١/١١٩ .

لقواعدها ، وشارحا لما يجوز ، بل نزل معجزا بفصاحته وبلاغتـه وما تضمنه الاسرار اقواماً كل منهم فى ذلك الشأن الجـذيل المحـك والعـذيق المرجب)[٩٤] .

وبعد عرض الآلوسى هذه النظريات والنظرات المختلفة ، يقدم فـى تفسيره نماذج عملية متنوعة تقوم دليلا على بلاغة القرآن واعجازه . فهو مثلا يعقد المقارنة بين آية معينة وجملة جاهلية كانت تستعمل فى نفس الغاية. فعند تفسيره لقوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) جاء بجملة (القتل انفى للقتل) . فعقد بحثا مقارنا فى بلاغة الآية وتفوقها فى نواحى التعبير على ذلك القول فى اطرادها وقلة حروفها المحذوفة ، والتعظيم الموجود فى تنـوين (حياة) والطباق الموجود فى القصاص والحياة . والنص على ما هو المطلوب بالذات وهو الحياة . والغرابة من حيث جعل الشىء فيه حاصلا فى ضده والخلو عن التكرار وعذوبة اللفظ وسلاسته وعدم الاحتياج الى الحيثيـة وتعريف القصاص بلام الجنس حيث دل على الشمول وخلوه من افعل الموهم أن فى الترك نفيا للقتل ايضا واشتماله على ما يصلح للقتال وهو الحياة وخلوه عما يوهمه ظاهر قولهم من كون الشىء سببا لانتفاء نفسه[٩٥] .

ويعلل الآلوسى استعمال كلمة مكان كلمة اخرى . ففى قوله تعـالى (وارسلنا السماء عليهم مدرارا . وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم) قال : ولم يقل سبحانه أجرينا الانهار كما قال عز شأنه (ارسلنا السماء) للايذان بكونها مسخرة مستمرة لا لان النهر لا يكون الا جاريا ، فلا يفيد الكلام ، لان النظم حينئذ ناظر الى كونه من تحتهم فالفائدة ظاهرة ولو كان ما ذكـر صحيحا لما ورد فى النظم الكريم لقوله تعالى (تجرى من تحتهـا الانهار)

---

(٩٤) المصدر السابق ١١/١٣٢ .
(٩٥) المصدر السابق ٢/٥١ .

واستظهر كون الجمل بمعنى الانشاء والايجاد ، وهو مخصوص به تعالى. ولذلك غير الاسلوب(٩٦) .

ويجرك سياق الآية احيانا على ايثار صيغة معينة . ففي قوله تعالى (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) قال : وايثار صيغة اسم الفاعل في الشقين للدلالة على تحقق كل من الاهلاك والتعذيب وتقررهما كأنهما واقعان(٩٧) .

وينبه على ان الجمل الاسمية قد تقع مكان الجمل الفعلية لغرض بلاغي. كقوله تعالى (سواء عليكم أدعوتموهم أم انتم صامتون) فالظاهر الاتيان بالفعل فيما بعد (أم) لان ما في خبر همزة التسوية مؤول بالمصدر لكنه عدل ذلك للايذان بان احداث الدعوة مقابل باستمرار الصمات وفيه من المبالغة ما يخفى(٩٨) .

ويبين سبب مجيء لفظين متقاربين في المعنى في مكان واحد . ففي قوله تعالى (تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) قال : وفي جمع وصفي الكتابية والقرآنية من تضخيم شأن القرآن ما فيه حيث اشير بالاول الى اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية ، فكانه كلها ، وبالثاني كونه ممتازا عن غيره ، نسيج وحده بديعا في بابه ، خارجا عن دائرة البيان ، قرآنا غير ذي عوج(٩٩) .

ولا يهمل الكلام عن موطن الكلمة ودلالتها في الجملة . استمع اليه معللا (ولعل في العدول) عن هامدون الى خامدون رمزا خفيا الى البعث بعد الموت(١٠٠) .

---

(٩٦) روح المعاني ٧/٩٥ .
(٩٧) المصدر السابق ٩/٩١ .
(٩٨) المصدر السابق ٩/١٤٣ .
(٩٩) المصدر السابق ١٤/٢ .
(١٠٠) المصدر السابق ٧/٢٠٩ .

ويعرض لما ورد فى بعض الآيات الاكتفاء بشىء عن شىء آخر • ففى قوله تعالى (وأوحى الى هذا القرآن لا نذركم به) قال : واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة لانه المناسب للمقام [١] •

ويتحدث عن اظهار المعانى بمظهر القوة والسرعة كقوله تعالى (فاذا هى ثعبان مبين) بقوله اى ظاهر امره لا يشك فى كونه ثعبانا ، فهو اشارة الى ان الصيرورة حقيقية لا تخييلية وايثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب ، وثبات وصف الثعبانية فيها كأنها فى الأصل كذلك[٢] •

يستثير الآلوسى فى القارىء الذوق والجمال بلفت نظره الى لطائف القرآن الكريم فيقول فى الآية الكريمة (ولا يدخلوا الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ، ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين) ولا يخفى على المتأمل فى لطائف القرآن العظيم ما فى اعداد المهاد والغواش لهؤلاء المستكبرين عن الآيات ومنعهم من العروج الى الملكوت وتقييد عدم دخولهم الجنة بدخول البعير بخرق الابرة من اللطافة فليتأمل[٣] •

وفى جمال التعبير فى الآية الكريمة (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم) يقول : اى قلوبهم وعبر عنها بذلك مجازا لأن قيام الذوات بها • ومعنى ضيقها غمها وحزنها كأنها لا تسع السرور لضيقها وفى هذا ترق من ضيق الارض عليهم الى ضيقهم فى انفسهم وهو فى غاية البلاغة[٤] •

ويقف امام الآيات وقفات بلاغية تحليلية • فهو يبين مثلا سر الاطناب

---

(١) المصدر السابق ١١٨/٩ •
(٢) المصدر السابق ٢٠/٩ •
(٣) المصدر السابق ١١٩/٨ •
(٤) روح المعاني ٤٢/١١ •

فى الآية الكريمة (فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) بقوله : ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم فيها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم ولذلك اختير الاطناب بزيادة (فاستمتعوا بخلاقهم) وهذا كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون ، كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثله[٥] . وفى قوله تعالى (وما يستوي الاعمى البصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات ، ان الله يسمع من يشاء ، وما انت بمسمع من في القبور) يقول الآلوسى (وما الطف نظم هذه التمثيلات) فقد شبه المؤمن والكافر اولا بالبحرين وفضل البحر الاجاج على الكافر لخلوه من النفع ثم بالاعمى والبصير مستتبعا بالظلمات والنور والظل والحرور ، فلم يكتف بفقدان نور البصر فيما ضم اليه فقدان ما يمده من النور الخارجي ، وقرن اليه نتيجة ذلك العمى والفقدان ، فكان فيه ترق من التشبيه الاول اليه ثم بالاحياء والاموات ترقيا ثانيا واردف قوله سبحانه (وما انت بمسمع من فى القبور)[٦] .

ويربط الآيات المتشابهة أو المكررة ثم يبين الفروق البلاغية بينها فيقول مثلا فى قوله تعالى (أفأمن اهل القرى) انكار بعد انكار للمبالغة والتشديد ، ولم يقصد الترتيب بينهما ، فلذا لم يؤت بالفاء ثم نبه فى الآية الثانية (أفأمنوا مكر الله) تكرير لمجموع الانكارين السابقين جمعا بين التفريق قصدا الى زيارة التحذير والانكار[٧] .

---

(٥) المصدر السابق ١٠/١٣٤ .
(٦) المصدر السابق ٢٢/١٨٦ .
(٧) المصدر السابق ٩/١١ ، ١٢ .

ويبين مثلا السر فى استعمال الحروف فى الآيات المتشابهة المكررة ففى قوله تعالى (وكلوا منها حيث شئتم) يقول : وجيء بالواو هنا وبالفاء فى البقرة لانه قيل هناك ادخلوا فحسن ذكر التعقيب معه ، وهنا اسكنوا والسكنى أمر ممتد والاكل معه لا بعده [٨].

ان غرض الآلوسى فى تبرير التركيب القرآنى • وبيان جمال التعبير وبلاغتها هو ان هذا القرآن بهذا الوضع كامل معجز لا نقص فيه ولا خلل ، لا فى شكله ولا فى مضمونه ، يمثل الدرجة القصوى للبيان العربى ، وهو متأثر فى طريقته بعلماء المدرسة البيانية ، وخاصة المعتزلة وعلى رأسهم الزمخشرى الذى سلك فى تفسيره هذا المسلك فى اثبات اعجاز القرآن • وقد سبق لنا ان قررنا عند الكلام عما اخذه من الزمخشرى أنه احيانا ينقل حتى عباراته وتعليلاته البلاغية • ولكن الذى نقرره هنا ان الآلوسي ليس ناقلا فحسب ، وانما ذواقة للعبارة القرآنية ، يعمل فكره فى استخراج العلل ، واستنباط النواحي الجمالية ، ووضع القارىء على مكامن الاعجاز القرآني •

٧ ـ موقفه من القراءات :

القراءات جمع قراءة وهي فى اللغة مصدر سماعي لقرأ ، وفى الاصطلاح مذهب يذهب اليه امام من ائمة القراء مخالفا به غيره فى النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء اكانت هذه المخالفة فى نطق الحروف ونطق هيئاتها[٩] •

والسبب فى هذا الاختلاف ، ان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم قد اختلف اخذهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد ، ومنهم من أخذه عنه بحرفين ومنهم من زاد • ثم تفرقوا فى البلاد وهم على هذه الحال ح فأختلف بسبب ذلك أخذ التابعين

---

(٨) المصدر السابق ٨٨/٩ •
(٩) مناهل العرفان ٤٠٥ •

عنهم وأخذ تابع التابعين عن التابعين ، حتى وصل الامر على هذا النحو الى الائمة المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ، ويعنون بنشرها • وهذا الاختلاف فى حدود السبعة الاحرف التى نزل عليها القرآن كلها من عندالله لا من عند الرسول ولا أحد من القراء أو غيرهم[١٠] .

قال ابن الجزري (كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها ، فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل انكارها بل هي من الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها ، سواء أكانت عن الائمة السبعة المشهورين أم عن العشرة أم عن غيرهم من الائمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الاركن الثلاثة ، اطلق عليها ضعيفة أو شذه أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو اكبر منهم[١١] .

والقراءة الصحيحة فى كلام ابن الجزرى هى التى تعنى القراءة المتواترة وهي ما رواها جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب والقراءة المشهورة وهى ما صح سندها بان رواها العدل الضابط عن مثله[١٢] .

يهتم الآلوسى بالقراءات اهتماما واضحا ، فهو ينقل عقب تفسيره للكلمة أو الآية ، القراءة أو القراءات التي وردت فيها • وينبه على نوعية القراءة من حيث تواترها وفصاحتها وشذوذها • ومن حيث ارجاعها الى احدى اللغات المعروفة عند العرب • فهو يقول مثلا فى (قطعناهم) : يقرأ مشددا ومخففا والاول هو المتواتر • ويقول فى (اثنى عشر اسباطا) وقرأ الاعمش (ت١٤٨هـ) وغيره (عشرة) بكسر الشين وروى عنه فتحها ايضا والكسر لغة تميم والسكون لغة الحجاز[١٣] •واما فى الاية الكريمة (يكاد البرق

---

(١٠) المصدر السابق ٤٠٦ •
(١١) النشر فى القراءات العشر ٩/١ •
(١٢) المصدر السابق ١٤/١ •
(١٣) روح المعاني ٨٧/٩ •

يخطفِ ابصارِهم) نقل أن مجاهد وعلي بن الحسين (ت ٦١ هـ) ويحيى بن وثاب (ت ١٠٣ هـ) قرأوا (يخطِفِ) بكسر الطاء ، ولكن الفتح أفصح[١٤].

ويشير الآلوسي الى القراءة من حيث وجهة نظر المدارس النحوية . ففي قوله تعالى (أو كصيّب) قال : ووزنه عند البصريين (فيعِل) بكسر العين ، اما فتح العين فعند البغداديين واما عند الكوفيين فأصله على (فعيل) تطويل فقلب وقرىء كصائب . ثم قرر ان (صيّب) أبلغ منه[١٥] .

ويطيل أحيانا فى عرض القراءات المتواترة والشاذة ، ويقلبها على وجوهها المختلفة[١٦] بحيث تصل فى الكلمة الواحدة الى تسع قراءات . فقد عرض فى (مالك يوم الدين) مثلا الى القراءات الواردة فى مالك تفصيلا ، فمنهم من قرأ (ملكا) بالخفض ومنهم بالرفع والنصب ، وقرأ (ملك) على وزن سهل وقرأ ملكي باشباع كسرة الكاف ، وقرأ (ملك) على وزن عجل وقرأ فعلا ماضيا ، وقرأ (مالك) بالنصب . وقرأ بالنصب والتنوين وقرأ برفع الكاف والتنوين ، وقرأ (مالك) بالرفع والاضافة ، وقرأ (مليك) لفعيل . وقرأ (مالك) بالامالة البليغة . ورد على الزمخشري فى تفضيله الملك على المالك[١٧] .

ويختار قراءة معينة فهو مثلا اختار قراءة الرفع فى (الحمد لله) لدلالة الجملة الاسمية على الثبوت والدوام[١٨] . وفى قراءة زيد بن علي (ت ١٢٢ هـ) لكلمة (مطهرة) مطهرات فى آية (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال : ان هذه القراءة أولى استعمالا رغم ان الكل صحيح[١٩] .

---

(١٤) المصدر السابق ١/١٧٥ .
(١٥) المصدر السابق ١/١٧١ .
(١٦) المصدر السابق ٦/١٧٦ ، ١٧٧ .
(١٧) المصدر السابق ١/٨٣ .
(١٨) المصدر السابق ١/٧٥ .
(١٩) المصدر السابق ١/٢٠٥ .

ويفضل لغة قريش فى التابوت على لغة الانصار (تابوه) . وهو الذى أمر عثمان رضي الله عنه بكتابته[٢٠] .

ويفضل أحيانا قراءة على قراءة ، لانها أوفق بفواصل الآيات ، فقد قرأ أبو رجاء (ت ٣٣٥ هـ) (رشدا) بضم الراء واسكان الشين ، والذى عليه الجمهور فتح الراء والشين . وهو المختار عنده لانه اوفق بالفواصل السابقة مثل عجبا[٢١] .

ولا يلتزم الآلوسي برأي جمهور السبعة دائما . ففي قوله تعالى (الله يعلم حيث يجعل رسالته) قرأ أكثر السبعة (رسالاته) بالجمع ولكنه مشى على قراءة (رسالته)[٢٢] وفى قوله تعالى (فعميت عليكم) قرأ الجمهور بفتح العين وتخفيف الميم أي مبنيا للفاعل ، ولكنه فضل قراءة الشدة أي (فعمّيت) بضم العين وكسر الميم المشددة أى مبنيا للمجهول[٢٣] وكذلك فى قراءة وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها) فقد قرأ حمزة والكسائي وحفص (سُعِدوا) بالبناء للمجهول فاختارها على رأي الجمهور الذى قرأ بالبناء للفاعل[٢٤] . وكذلك خالف الجمهور فى قراءة تساقط عليك رطبا جنيا) حيث قرأوا (تساقط) بفتح التاء من فوق وشد السين[٢٥] .

ويعلل الآلوسي قراءات معينة تعليلات نحوية وصرفية . ففي قوله تعالى (اخرج مذءوما) قال : وقرأ الزهري (ت ١٢٤ هـ) مذوما بذال مضمومة وواو ساكنة وفيه احتمالات الاول ان يكون مخففا من المهموز بنقل

---

(٢٠) المصدر السابق ٢/١٦٨ .
(٢١) المصدر السابق ١٥/٢١١ .
(٢٢) روح المعاني ٨/٢٢ .
(٢٣) المصدر السابق ١٢/٣٩ .
(٢٤) المصدر السابق ١٢/١٤٥ .
(٢٥) المصدر السابق ١٦/٨٥ .

حركة الهمزة الى الساكن ثم حذفها والثاني ان يكون من ذام بالالف كباع وكان قياسه على هذا مذيم كمبيع الا انه ابدلت الواو من الياء على حد قولهم (مكول) في مكيل[٢٦] ٠

وهو في معالجته لمختلف شؤون القراءات يمشي على قاعدة واحدة ، وهي انه اذا اصطدمت كتابة الخط في المصحف الامام مع قواعد اللغة يرجح ما في الامام على سبيل اللزوم[٢٧] ٠

ويعتبر القراءة حتى لو لم ترد فيه قاعدة ، اذ القراءة هي التي تقوم قاعدة ما دامت قد وصلت الينا عن طريق التواتر ولذلك فانه شن على الزمخشري هجوما قويا ، لانه أخضع القراءة للقواعد النحوية ورفض كل قراءة خالفها[٢٨] ٠ ويقول الآلوسي ان النقل بالتواتر اثبات علمي ، بينما قول النحاة نفي ظني ، ولو سلم عدم التواتر فأقل الامر ان تثبت لغة بنقل العدول ، وترجح بكونه اثباتا ، فادغام الراء في اللام الذي يرفضه الزمخشري روى عن أبي عمرو ومن رواه عنه ابو محمد اليزيدي وهو امام في النحو امام في اللغة امام في القراءات ، وأجازه الكوفيون ايضا ، وهؤلاء ليسوا بأقل من البصريين[٢٩] ٠

ويدافع الآلوسي دفعا شديدا عن القراءات ، ويحشد الادلة على صحتها ، ويرمي المنكرين من النحاة بالجهل والغفلة ٠ فقد قرأ يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة (بمصرخي) بكسر الياء على الاصل في التخلص من التقاء الساكنين ٠ فانكر هذه القراءة كثير من النحاة منهم الفراء وابو عبيد والاخفش والزجاج والزمخشري ، فردّ الآلوسي هذا الانكار

---

(٢٦) المصدر السابق ٨/٩٦ ٠
(٢٧) المصدر السابق ٤/١٣٤ ٠
(٢٨) الكشاف ١/٢٥٣ ٠ منهج الزمخشري ١٧٧-١٧٩ ٠
(٢٩) روح المعاني ٣/٦٦ ٠

بقوله (وقد قلد هؤلاء الطاغين جماعة) ثم نقل أقوال العلماء عن هذه القراءة المتواترة عن السلف وأشار أن ذلك لغة أهل الموصل ، وكثير من الناس الى اليوم • ثم قال (وبالجملة لا ريب فى صحة تلك القراءة ، وهي لغة فصيحة ، وقد روى أنه تكلم بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث بدء الوحي ، وشرح حاله عليه الصلاة والسلام لورقة بن نوفل رضي الله تعالى عنه فانكارها محض جهالة)(٣٠) •

ويدخل الآلوسي فى مناقشات عنيفة قوية مع غير هؤلاء من النحويين ، فهذا المبرد (ت ٢٨٦ هـ) يشنع على حمزة وهو أحد القراء السبعة فى قراءته (والارحام) بالجر • فيرده الآلوسي بقوله (لم يقل حمزة هذا من نفسه ، فلقد أخذ ذلك بل جميع القرآن عن سليمان بن مهران الاعمش والامام بن أعين ومحمد بن ابى ليلى (ت ١٤٨ هـ) وجعفر بن محمد الصادق (ت ١٤٨ هـ) • وكان حمزة هذا صالحا ثقة فى الحديث) ثم نقل عن ابي حنيفة وسفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) ويحيى بن آدم (ت ٢٠٣ هـ) أقوالهم فى حمزة ، وهي غلبة حمزة الناس فى القراءة والفرائض ، وأخذ جماعة من العلماء عنه ، وتتلمذهم عليه • ثم قال ان حمزة لم ينفرد بهذه القراءة ، بل قرأ به ابن مسعود وابن عباس وابراهيم النخعي (ت ٩٦ هـ) والحسن البصري وقتاده ومجاهد كما نقله ابن يعيش • وبعد تثبيت هذه القراءة من ناحية الرواية انتقل الآلوسي الى الناحية النحوية فيها ، وذكر أن زعم امتناع العطف على الضمير المجرور هو مذهب البصريين ولا يجب تعبده ، ونقل رأي ابي حيان الذى أكد أن مذهب البصريين غير صحيح بل الصواب مذهب الكوفيين • اذ ورد ذلك فى لسان العرب نثرا ونظما والى ذلك ذهب ابن مالك ثم ذكر تخريج ابن جني فى هذه القراءة ونقل ذكر الزمخشري لذلك فى احاجيه(٣١) •

---

(٣٠) روح المعاني ١٣/٢١٠ •
(٣١) المصدر السابق ٨/٣٣ •

وكـذلك ردّ الآلوسي الاصمعي (ت ٢١٦ هـ) عنـدما قال ان قراءة حمزة والاعمش ويحيى بن وثاب (ولايتهم) بالكسر فى الآية الكريمة (ما لكم من ولايتهم من شيء) خطأ • بقوله (وهو المخطىء فقد تواترت القراءة بذلك ، وجاء فى اللغة الولاية مصدرا بالفتح والكسر وهما لغتان فيه بمعنى واحد ، وهو القرب الحسي والمعنوي كما قيل ، وقيـل بينهمـا فرق فالفتح ولاية مولى النسب ونحوه ، والكسر ولاية السلطان ونسب ذلك الى ابى عبيد وابى الحسن • وقل الزجاج هي بالفتح النصرة والنسب وبالكسر الامارة[٣٢] •

وفى معرض دفعه الحار عن القراءات ، وكونها نقلت الينا عن طريق التواتر يرفض رواية طالما استشهد بها الطاعنون فى القراءات للوصول الى آرائهم • فقد أخرج ابو عبيد فى فضائل القرآن عن هشام بن عروة عن أبيه قال (سألت عائشة رضي الله تعالى عنها عن لحن القرآن فى قوله تعالى (إن هذان لساحران) وفي قوله تعالى (والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) وفى قوله تعالى (والذين هادوا والصابئون) فقالت (يا أبن أخي هذا عمل الكتاب اخطؤا الكتاب)[٣٣] •

قال الآلوسي : فهذا الخبر ظاهرة طعـن صريح فى هـذه القراءات ، ولذلك وجه بعض العلماء بان قولها : اخطؤا على معنى اخطؤا فى اختيار الاولى من الاحرف السبعة لجمع الناس عليه • لا ان الذى كتبوا ذلك خطأ لا يجوز[٣٤] •

وأراد الآلوسي ان يهدم هذا الخبر من أساسه فمهد له اولا بقولـه

---

(٣٢) المصدر السابق ١٠/٣٨ •
(٣٣) المصدر السابق ١٦/٢٢١ •
(٣٤) روح المعاني ١٦/٢٢٣ •

(وهذا مشكل جدا ، اذ كيف يظن بالصحابة اولا انهم يلحنون فى الكلام فضلا عن القرآن وهم الفصحاء اللدّ ، ثم كيف يظن بهم ثانيا الغلط فى القرآن الذى تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم كما انزل ، ولم يألوا جهدا فى حفظه وضبطه واتقانه ، ثم كيف يظن بهم ثالثا اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته ، ثم كيف يظن بهم رابعا عدم تنبيههم ورجوعهم عنه ، ثم كيف يظن بهم خامسا الاستمرار على الخطأ وهو مروي بالتواتر خلفا عن سلف ولو ساغ ذلك لارتفع الوثوق بالقرآن[٣٥] . ثم يخلص الآلوسي بعد عرض آراء النحويين فى اعراب الآية الى رأيه الخاص فيقول (والذى اجنح اليه ـ والعاصم هو الله تعالى ـ تضعيف جميع ما ورد فيما فيه طعن بالتواتر ولم يقبل تأويلا ينشرح له الصدر ، ويقبله الذوق وان صححه من صححه ، والطعن فى الرواة أهون بكثير من الطعن بالائمة الذين تلقوا القرآن العظيم الذى وصل الينا بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يألوا جهدا فى اتقانه وحفظه) ثم يقدم ممسكه فى رفض هذه الرواية بقوله (وقد ذكر أهل المصطلح أن مما يدرك به وضع الخبر ما يؤخذ من حال الراوي كأن يكون مناقضا لنص القرآن أو السنة المتواترة أو الاجماع القطعي أو صريح العقل حيث لا يقبل شيء من ذلك التأويل ، أو لم يحتمل سقوط شيء فيه يزول به المحذور ، فلو قال قائل بوضع بعض هاتيك الاخبار لم يبعد ، والله تعالى أعلم)[٣٦] .

والحق ان الآلوسي قوي الحجة فى مناقشة منكري بعض القراءات ، وسبب ذلك ، سيطرته التامة على وجوه القراءات ، فهو عندما يرد عليهم بما يقول ، يأتي بالحجج النقلية والعقلية متتابعة ، ويسد كل باب على الرأي

---

(٣٥) المصدر السابق ١٦/٢٢١ .
(٣٦) المصدر السابق ١٠/٤٦ .

المقابل ، ويقنع القاريء بوجهة نظره . واطلاع الآلوسي الواسع على علم الرواية وطرقها ، ومعرفته الجيدة بالجرح والتعديل على طريقة المحدثين ، مكنه من رد كافة الروايات الضعيفة التي يتشبث بها المنكرون ، وهو جريء فى ذلك ايما جرأة ، والمثال الذى مرّ بنا قبل قليل يمثله اجلى تمثيل فى هذه الناحية . انه لا يكتفي بالرد على المنكرين فقط ، وانما يرميهم بالجهل وعدم الالمام بالموضوع الذى يعالجونه ، ويأتي بالادلة على ذلك ، فهو كثيرا ما يشير ان أمثال الزمخشري والمبرد ليسوا من فرسان حلبة القراءات ، وتوثيق وتجريح الرجال ، ولاجله فمن الخطأ فى المنهج ان يعتمد الانسان على أقوالهم ويبنى عليها آراء خطيرة .

ان مرونة الآلوسي اللغوية والنحوية ، وأخذه من جميع المدارس النحوية ، على الرغم من ميله الى الكوفيين ، جعله لا يتعصب لرأي معين وانما ينظر الى القضية كطالب حق . ولذلك فانه يأخذ من الكوفيين والبصريين وغيرهم .

ان عددا من النحويين رفضوا قراءات معينة لانها تخالف قواعد البصريين مثلا فى النحو ، وهذا خطأ فى نظره اذ ان البصريين لا يمثلون وحدهم اللغة العربيـة .

ثم انه منطقي جدا عندما يقول ان القرآن لا يمكن ان يقس على القواعد التي وضعها النحاة ، أو جماعة منهم ، وانما هذه القواعد هي التي يجب ان تقاس على القرآن .

انه من الغريب ان يضع النحوي قاعدة معينة على قول انتقل اليه سماعا ، ثم يرفض قراءة معينة انتقلت الينا عن طريق علماء ثقات مختصين بفن الرواية فى القراءة علماء عدول شهد لهم الآخرون بالعلم والضبط . فكيف نرفض قراءتهم لمجرد مخالفتها لقاعدة نحوية بنيت ايضا على رواية سماعية قد تكون أضعف بكثير من الرواية الاولى .

ومع تمسك الآلوسي الشديد بكل ما روى من القراءات نراه يرفض أحيانا بعض القراءات ، ففي قوله تعالى (أن الله بريء من المشركين ورسوله) قال : وعن الحسن انه قرأ بالجر على أن الواو للقسم وهو كالقسم بعمره صلى الله عليه وسلم فى قوله سبحانه (لعمرك) وقيل يجوز كون الجر على الجوار وليس بشيء • وهذه القراءة لعمري موهمة جدا وهي فى غاية الشذوذ ، والظاهر انها لم تصح(٣٧) •

ويرد الآلوسي بعض الروايات المروية عن الشيعة • فقد حكى الطبرسي عن الباقر أنه قرأ الآية (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) جاهد الكفار بالمنافقين قال (وأظن ذلك من كذب الامامية ، عاملهم الله تعالى بعدله)(٣٨) •

ومن تمام الآلوسي فى القراءات انه يحاول ان يقرب بينها دائما ، ففي قوله تعالى (ان لنا لأجرا) قل ويحتمل أن يكون الكلام على حذف اداة الاستفهام وهو مطرد ، ويؤيد ذلك أنه قرأ ابن عامر وغيره (أئن) باثبات الهمزة وتوافق القراءتين اولى من تخالفهما(٣٩) •

ويفسر قراءة بقراءة اخرى ، ففي قوله تعالى (فلولا كانت) قال لولا هذ تحضيضية فيها معنى التوبيخ ، ويشهد لذلك قراءة أبى وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما (فهلا)(٤٠) •

ونظرا لاحاطة الآلوسي بالقراءات ، وحسن عرضه لها ، ومناقشة المنكرين لبعضها مناقشة علمية رصينة قوية ، اعتمد عليه الباحثون فى نقل القراءات عنه •

---

(٣٧) روح المعاني ٢٨/١٦٢ •
(٣٨) المصدر السابق ٩/٢٤ •
(٣٩) المصدر السابق ١١/١٩١ •
(٤٠) مذاهب التفسير الاسلامي ١١ • الحاشية • انظر • (عبدالقادر المغربى) تفسير جزء تبارك ٧٤ ، ١٢١ •

٨ ـ موقفه من الاسرائيليات :

الاسرائيليات اصطلاح أطلقه المدققون من علماء الاسلام على القصص والاخبار اليهودية والنصرانية التي تسربت الى المجتمع الاسلامي بعد دخول جمع من اليهود والنصارى الى الاسلام أو تظاهرهم بالدخول فيه . وهـذا اللون من ثقافة هؤلاء دخلت الى الكتب التي لا تتشدد في التحقيق والرواية ، ومعظم هذه القصص تمثل الجانب الخرافي من تلك الثقافة المخالفة لقواعد المنطق ، وقوانين الحياة(٤١) .

ويعلل العلامة ابن خلدون دخول هذه الاخبـار والقصص بقـوله (والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وانما غلبت عليهم البداوة والامية ، واذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تتشوق اليه النفوس البشرية في أسباب المكونات ، وبدء الخليقة واسرار الوجود ، فانما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم . ويستفيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهـود ومن تبع دينهم من النصارى ، وأهل التوراة الذين بين العرب يؤمئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية . فلما اسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالاحكام الشرعية التي يحتاطون لها ، مثل اخبار بدء الخليقة ، وما يرجع الى الحدثان والملاحم ، وأمثال ذلك . وهؤلاء مثل كعب الاحبار ، ووهب بن منبه ، وعبدالله بن سلام وأمثالهم . فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم وفي أمثال هذه الاغراض اخبارا موقوفة عليهم . وليست مما يرجع الى الاحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل ، وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملؤا الكتب بهذه المنقولات(٤٢) .

---

(٤١) التفسير والمفسرون ١/١٦٥ .
(٤٢) مقدمة ابن خلدون ٩٩٧ .

ويسمى الآلوسي أصحاب الاسرائيليات د (أرباب الاخبار) ولا يثق بهؤلاء الاخباريين[٤٣] ، ويرفض رفضا باتا قبول رواياتهم ، ويتمنى لو لم ترد في كتب الاسلاميين وذلك في معرض عرضه لما أخرجه ابن جرير وابن ابى حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في قصة المرأة التي جاءت الى عائشة (ر) بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم قائلة أن زوجها غاب عنها ، فدخلت على عجوز فشكت اليها ، فقالت ان فعلت ما آمرك اجعله يأتيك ، فلما كان الليل جاءتها بكلبين أسودين فركبت احدهما وركبت هي الآخر ، فلم يكن كشيء حتى وقفنا ببابل ، فاذا برجلين معلقين بارجلهما فقالا : ما جاء بك فقالت : اتعلم السحر فقالا انما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي فابت وقالت لا . قالا فاذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه . فذهبت فبالت فيه ، فرأت فارسا مقنعا بحديد خرج منها حتى ذهب الى السماء ، وغاب عنها حتى ما رأته ، فجاءتهما وذكرت لهما فقالا صدقت ذلك ايمانك خرج منها) ويقول الآلوسي ان اتهام المرأة أولى من اتهام العقل في قبول هذه الحكاية التي لم يصح فيها شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤٤] .

وفي سبيل توضيح عداوة الآلوسي للاخبار والاسرائيليات ننقل نماذج من معالجته لهذا الموضوع الخطير الذى أفسد عددا من كتب التفسير . فهو ينكر الروايات التي ذكرها الاخباريون في ماهية البيت وقدمه وحدوثه ، ومن أي شيء كان بناه ، وكم مرة حجة آدم ، ومن أي شيء بناه ابراهيم ومن ساعده على بنائه ، ومن أين أتى الحجر . ويبين ان هذه الاخبار ليس لها سند من القرآن الكريم ولا السنة النبوية فضلا عن تناقضها في ذاتها[٤٥] . وهو يحتاط كثيرا في الاعتماد على الاخبار التي تروى عن تعدد الآوادم قبل

---

(٤٣) روح المعاني ١٦٨/٢ ، ١٩٨/١٢ .
(٤٤) المصدر السابق ٣٤٣/١ .
(٤٥) روح المعاني ٣٨٤/١ .

آدم وزمنه والمدة بينه وبين البعثة النبوية وعمر العالم الذي قدره بعضهم بسبعة آلاف سنة[٤٦] .

ويرد بعض هذه الاخبار من الناحية اللغوية ، كما جاء أن آدم قال شعرا في رثاء هابيل فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان ، وكان يتكلم العربية والسريانية ، فنظر فيه فقدم وأخر وجعله شعرا عربيا . وهنا يشك الآلوسي في هذا ويقول من الاولى الا ينسب الى يعرب لما فيه من الركاكة الظاهرة[٤٧] .

وفي رواية أن الملائكة مرت على موسى بعد ان خر صعقا على الجبل ، فلكزوه بأرجلهم وقالوا يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة . قال الآلوسي : وهو كلام ساقط لا يعول عليه بوجه[٤٨] .

ولا يكتفي الآلوسي بالاخبار التي يوردها وانما ينبه الى اختراع الاخباريين لكثير من الاسئلة والاجوبة التي دارت بين موسى ورب العالمين فيقول (وللقصاص أخبار كثيرة موضوعة في أسئلة موسى عليه السلام ربه وأجوبته جل شأنه له ، لا ينبغي لمسلم التصديق بها)[٤٩] .

وأخرج ابن جرير وغيره عن ابن جريج أنه قال : بلغني أن بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا ، وكانوا اثنى عشر سبطا ، تبرأ سبط منهم مما صنعوا ، واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبينهم ، ففتح الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء يستقبلون حنفاء . وروى أبو الشيخ أن الله تعالى أجرى معهم نهرا ، وجعل لهم مصباحا من نور بين أيديهم . وان أرضهم التي خرجوا اليها

---

(٤٦) المصدر السابق ٤/ ١٨١ .
(٤٧) المصدر السابق ٦/ ١١٥ .
(٤٨) المصدر السابق ٩/ ٤٦ .
(٤٩) المصدر السابق ٩/ ٥٦ .

تجتمع فيه الهوام والبهائم والسباع مختلطين ، وان النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم ليلة المعراج • ومعه جبريل عليه السلام وآمنوا به وعلمهم الصلاة • قال الآلوسي (ولا أظنك تجد لها سندا يعول عليه ، ولو ابتغيت نفقا فى الارض أو سلما فى السماء)(٥٠) •

ويسوق الآلوسي الروايات الاسرائيلية مفصلة ، وكأنه يريد ان يطلع على ما ورد فيها من الاكاذيب التي لا يمكن ان يصدقها عقل سليم ، ثم ينقل أقوال العلماء فى تفنيدها • فلقد نقل فيما يسمى (عوج بن عنق) تفنيدا لابن القيم ، أنكر فيه ان تكون هذه الروايات صحيحة ، ونص على انها من وضع زنادقة اليهود ، واستنكر على بعض أهل العلم ادخالها فى كتبهم(٥١) •

ومن هذا الباب ايضا رفضه لمن تكلم بالارقام عن عمر الكون والارض وما مضى منها وما بقي ، ومبدأ النشأة الانسانية ومدة بقائها فى هذا العالم ، وقدر زمان لبثها فى البرزخ ، ويقول كل ذلك من الغيبيات التي لا يعلمه الا الله ، وان جميع ما ورد فيها أمور ظنية ، لا سند يعول عليه لاكثرها(٥٢) • ومنه ايضا رفضه لكثير من الروايات المروية عن كيفية موت سليمان التي يعتبر غير صحيحة ، وحديث خرافة(٥٣) •

والعجيب ان الآلوسي يأتي الى بعض القصص الاسرائيليـة فينكر ظاهرها ثم يفسرها تفسيرا باطنيا بعيدا كل البعد عن الحق وروح الاسلام ففى الآية الكريمة (وما انزل على الملكين) نقل قصة اسرائيلية انكرها علماء المسلمين تنص على ان الملائكة تعجبت من مخالفة بني آدم وقالوا لو كنا مكانهم ما عصيناك فقال اختاروا ملكين من الارض فاختاروهما فهبطا الى

---

(٥٠) المصدر السابق ٩/٨٤ ، ٨٥ •
(٥١) روح المعاني ٦/٨٦ •
(٥٢) المصدر السابق ٩/١٣٥ •
(٥٣) المصدر السابق ٢٢/١٢٣ ، ١٢٤ •

الارض ومثلا بشرين فحكما بين الناس فافتتنا بامرأة يقال لها زهرة فطلباها فامتنعت الا ان يعبـدا صنما او يشربا خمرا أو يقتلا نفسا ففعلا ، ثم تعلمت منهما ما صعدت به الى السماء فصعدت ومسخت هذا النجم وأرادا العروج فلم يمكنهما ، فخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا ، فهما الآن يعذبان فيها .

وعلى الرغم من انكار الآلوسى عـلى بعض العلماء لأخذهم بظاهـر القصة اعتبرها هو من الرموز والاشارات . فقال : يراد من الملكين العقل العملى والعقل النظرى اللذان هما من عالم القدس ، ومن المرأة المسماة بالزهرة ، النفس الناطقة ، ومن تعرفهما لها تعليمهما لها ما يسعدها . ومن حملها اياهما على المعاصي تحريفهما اياهما بحكم الطبيعة المزاجية الى الميل الى السفليات المدنسة لجوهريهما ومن صعودهما الى السماء بما تعلمت منهما عروجها الى الملأ الاعلى ومخالطتهما مع القديسـين ، بسبب انتصاحها لنصحهما ومـن بقائهمـا مشـغولين بتدبير الجسـد . وحرمانهمـا عن العـروج الى سماء الحضرة[٥٤] .

ولا ادري سـامحه الله كيف اعطـى هـذه القصـة مدلولا رمزيا وهي خرافية . وهو نفسه انكر ظاهرها .

عجبا للآلوسى اذا كانت القصة موجودة فكيف ينكر ظاهرهـا ؟ وان لم تكن موجودة فكيف اعطاها ذلك المدلول ؟ والحق ان رواسب الصوفية عند الآلوسى ـ كما اشرنا اليها سابقا اوقعته في مثل هذه الغلطة الكبيرة .

ومع رفض الآلوسى الشـديد للاسرائيليـات والقصص والاخبـار الخرافية ، يفوته احيـانا خبر اسرائيلي ففي تفسيره لعصـا موسى نقل بأن المشهور انها آس من الجنة طولها عشرة اذرع طول موسى عليه السلام ،

---

(٥٤) المصدر السابق ١/ ٣٤٠ ، ٣٤١ .

لها شعبتان تتقدان في الظلمة توارثها صاغرا عن كابر حتى وصلت الى شعيب ومنه الى موسى عليه السلام • ونقل ايضا أن عددهم اثناء التيه كان ستمائة الف ما عدا دوابهم ، وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا[٥٥] • ولقد استغرب السيد رشيد رضا كيف فات الآلوسى وهو النقادة الكبير مثل هذه الاخبار حتي لجأ الى تأويل بعضها لصالح كعب الاحبار[٥٦] •

٩ - موقفه من المسائل الاعتقادية :-

يتبع الآلوسى في مسائل العقيدة السلف من الصحابة والتابعين ، فهو يجري فى تفسيره الآيات المتصلة بهذين الموضوعين على ظواهرها بلا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل ، والتأكيد أن الله ليس كمثله شيء ، وان صفاته تعالى ليست كصفات البشر وانما تليق بذاته الكريمة[٥٧] • وهو عند تعرضه للغيبيات ينقل الآراء حولها ، ويتحفظ في قبولها ، ويكل الأمر فى حقيقتها الى الله سبحانه وتعالى ، ويتبع فى ذلك مذهب السلف وهو التسليم بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم[٥٨] •

انه يحذر دائما من التأويل بمثل قوله (وانت تعلم أن الاسلم ترك التأويل ، فانه قول على الله تعالى من غير علم • ولا نؤول الا ما اوله السلف ، وتتبعهم فيما كانوا عليه ، فان اولوا اولنا وان فوضوا فوضنا ، ولا نأخذ تأويلهم لشيء سلما لتأويل غيره)[٥٩] •

---

(٥٥) روح المعاني ١/٢٧٠ •
(٥٦) المنار ٩/١٨٤ ، ١٨٥ •
(٥٧) روح المعاني ١/٦٠ ، ٦١ •
(٥٨) المصدر السابق ١/٢٠٠ •
(٥٩) المصدر السابق ٢٧/١٦٨ •

ولا بد لنا لتوضيح وجهته هذه ان نضرب بعض الامثلة من تفسيره • فهو يرفض تأويل صفة الغضب ، ويرجع ذلك الى ما كان يؤمن بـه سلف الامة من ان هذه الصفة لائقة بجلال ذاته لا تعلم حقيقتها وكيفيتها وهـى صفة لله سبحانه وتعالى[٦٠] • وفى قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) حمل الآية على الفوقية ، وحشد لذلك آثارا كثيرة مروية عن السلف ، ثم اتبعه ببعض الادلة العقلية كالقول بأن الله تعالى لما خلق الخلق لـم يخلقهم في ذاته المقدسة تعالى عن ذلك ، فانه الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، فتعين انه خلقهم خارجا عن ذاته ، ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات مع انه قائم بنفسه غير مخالط للعالم لكان متصفا بضد ذلك[٦١] • وفى قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) قال : بالمعنى اللائق به جل شأنه منزها عن مشابهة المحدثات والتقيد بصفات الممكنات[٦٢] • وفى قوله تعالى (فلما تجلى للجبل) قال (أي ظهر له الوجه اللائق بجنابه تعالى مدركا)[٦٣] •

وفى مسألة وجود الله فى السماء أورد أن الرازي رد القائلين أن الله تعالى فى السماء ، ورد احتجاجهم بما اشعرت به الآية على ذلك وسـماهم المشبهة ثم قال : والبحث فى ذلك طويل المجل والحق مع السلف عليهم رحمة الملك المتعال وحشاهم ثم حاشاهم من التشبيه[٦٤] •

وينفش الآلوسي مذهب الخلف القائم عـلى التـأويل لآيات الـذات والصفات مناقشة منطقية طريفة فيقول فى ختام كلامه عن الآية الكريمـة

(٦٠) المصدر السابق ١/٩٥ •
(٦١) المصدر السابق ٧/١١٥ •
(٦٢) المصدر السابق ٢/٩٨ •
(٦٣) المصدر السابق ٩/٤٥ •
(٦٤) روح المعاني ٢٤/٧٠ •

(ثم استوى على العرش) وأنت تعلم أن المشهور من مذهب السلف فى مثل ذلك تفويض المراد الى الله تعالى ، فهم يقولون استوى على العرش ، على الوجه الذى عناه سبحانه منزها عن الاستقرار والتمكن ، وأن تفسير الاستواء بالاستيلاء تفسير مرذول ، اذ القائل به لا يسعه أن يقول كاستيلائنا بل لا بد ان يقول هو استيلاء لائق به عز وجل ، فليقل من اول الامر هو استواء لائق به جل وعلا(٦٥) .

وبالرغم من انه يذهب مذهب السلف فى منع التأويل فانه يبيح المجاز اذا اتفق واساليب العرب فى الكلام . وهو يصرح فى كل مناسبة بان التأويل القريب الى الذهن الشائع نظيره فى كلام العرب مما لابأس به عنده كقوله تعالى (واسأل القرية التى كنا فيها) قال وسؤال القرية عبارة عن سؤال اهلها(٦٦) .

ويدخل الآلوسى فى معارك شديدة مع المعتزلة والخوارج والمدارس الكلامية التى لايؤمن بآرائهم فى مسائل العقيدة . وهو اشد ما يكون خصومة مع الاولين اذ يدخل معهم فى جدال عنيف مفندا آراءهم فى كل مناسبة كرأيهم فى فعل العباد وارادة الله والذات والصفات والحسن والقبح العقليين . ففى تفسيره لقوله تعالى (ما كانوا ليؤمنوا) يتطرق الى مسألة مهمة كثر حولها الجدال بين المذاهب الكلامية ، وهو فعل العبد خالقه هو ام الله سبحانه وتعالى ، فالمعتزلة على أن قدرة العبد مؤثرة باذن الله تعالى استقلالا ، أي ان العبد خالق لافعاله ، والاشعري على انها غير مؤثرة ، ولا تأثير لاختياره ولا يلزم الجبر ، والجبرية نفوا الارادة بالكلية . والآلوسى على ان العبد له استعدادات ذاتية غير مجعولة فى الأزل(٦٧) .

---

(٦٥) المصدر السابق ٨/١٣٤ .
(٦٦) المصدر السابق ٧/١١٦ ، ١١٧ ، ١٣/٣٨ .
(٦٧) المجعول هو صورها الوجودية الحادثة .

فمنها ما تقتضى اختيار الايمان ومنها ما يقتضى اختيار الكفر ، فالعلم الآلهى متعلق بها كشف لها على ما هى عليه فى انفسها من اختلاف استعداداتها ، فاذا تعلق العلم الآلهى بما اختاره العبد بمقتضى استعداده ، فيصير على ذلك مراد العباد بعد تعلق الارادة الالهية مراد الله تعالى • اذن فالعبد مساق الى ان يفعل ما يصدر عنه باختياره لا بالجبر والاكراه • ان ارادة الله عزوجل شأنه لم تتعلق بما صدر عنها من الافعال الا لكونهم اختاروها ازلا بمقتضى استعدادهم فاختارها تعالى مراعاة للحكمة • والعباد على هذا كاسبون بالله تعالى ، اذ لا كسب الا بقوة ، ولا قوة الا بالله العلي العظيم • ويقول الآلوسي ان غرضه هو ان يحقق ان عدم ايمان الكفار انما هو لسوء استعدادهم الأزلى الغير المجعول المتبوع للعلم المتبوع للارادة[٦٨] • وقد رد بنفس هذا المعنى فى آية (لا مبدل لكلماته) على الرازى الذى قال ان هذا أحد الاصول القوية فى اثبات الجبر[٦٩] •

ويتبع الآلوسى فى مسألة الأجل ايضا جمهور اهل السنة ففى قوله تعالى (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره) عرض الرأى بالاجل الواحد وبالاجلين ، وذكر من قال بالاول ومن ذهب الى الثانى ، ثم رجح الأول بقوله (والحق ان ما فى العلم الازلى المتعلق بالاشياء على ما هى عليه فى نفس الأمر لا يتغير ويجب ان يقع كما علم والا يلزم الانقلاب ، وما يتبادر منه خلاف ذلك اذا صح مؤول وخبر الصدقة تزيد فى العمر قيل انه خبر آحاد فلا يعارض القطعيات[٧٠] •

ويشغل الآلوسى بالرد على المعتزلة ، وبيان ما ذهبوا اليه ، وعلى الاخص

---

(٦٨) روح المعاني ٨/٢ـ٤ •
(٦٩) المصدر السابق ٨/١١ •
(٧٠) المصدر السابق ٢٢/١٧٨ •

فى تفسير الآيات التي ينم ظاهر بعضها على الجبر وبعضها على الاختيار ، ويتجاوز احيانا حدود الدائرة العلمية فيجرح شخصياتهم ويتهمهم بالضلالة[٧١] .

ويتطرق بمناسبة تفسيره لقوله تعالى (من استطاع اليه سبيلا) الى القدرة . وهى الاستطاعة التى تكون مع الفعل والتى يكون بها الفعل ، فينقل لنا رأى الاشعرى الذى ينص على ان القدرة مع الفعل بمعنى انها توجد حال حدوثه . وتتعلق به فى هذا الحال ، ولا توجد قبله فضلا عن تعلقها به قبل حدوثه . ويقول الآلوسي : الحق عندي فى هذه المسألة ان شرط التكليف هو القوة التي تصير مؤثرة باذن الله تعالى عند انضمام الارادة التابعة لارادة الله تعالى لقوله سبحانه (لايكلف الله نفسا الا وسعها) وهذه قبل الفعل والقدرة هى مع الفعل وهى القدرة المستجمعة لشرائط التأثير التى من جملتها انضمام الأرادة[٧٢] .

وفى تفسيره لقوله تعالى (قال رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى) نقل لنا كلاما مفصلا عن رأي أهل السنة فى الرؤية ، فالآية فى رأيهم تدل على امكانها . ورأى المعتزلة ان الرؤية مستحيلة ، ثم اورد ادلة كلا الفريقين النقلية والعقلية ، والمناقشات التى دارت بين جهابذتهم فى التاريخ . ويذهب الآلوسى مذهب اهل السنة فى جواز الرؤية فى الدنيا بوضع غير هذا الوضع المادى الذى عليه الانسان ، ومطلق جوازه فى الآخرة ، ويقول انه هو نفسه رأى ربه فى منامه ثلاث مرات . ثم يبين ان الحق الذى لامحيص عنه ان موسى عليه السلام لم يحصل له ما سأل ربه فى هذا الميقات ، قال والذى اقطع به انه نال مقام قرب النوافل والفرائض الذى يذكره الصوفية بالمعنى

---

(٧١) المصدر السابق ١٠٨/٨ ، ١٠٩ . انظر ايضا ٢٥/٩ ، ٩٧ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١١٨ . ٢٢٣/١٤ .

(٧٢) المصدر السابق ٨/٤ـ١٠ .

الذى يذكرونه كيفما كان[٧٣] .

واما قول المعتزلة فى ايجاب عدم صدور القبح من الله سبحانه وتعالى ، فالآلوسى يستنكره . ففى تفسيره لقوله تعالى (لو أردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين) يقول : والحق عندى ان العبث لكونه نقصا مستحيل فى حقه تعالى فتركه واجب عنه سبحانه ، ونحن وان لم نقل بالوجوب عليه تعالى لكنا قائلون بالوجوب عنه عزوجل . وهذا مذهب الماتريدية ويرفض الآلوسى ايضا ما يقوله المعتزلة فى ان مغفرة الله مشروطة بالتوبة ، فمن لم يتب لا يجوز ان يغفر له اصلا . ويقول ان مغفرة الله وتعذيبه غير مقيدين بشىء فهو المالك له ان يفعل ما يشاء . ولو كانت مغفرته مقيدة بالتوبة وتعذيبه بالظلم لم يكن فاعلا لما يشاء بل لما تستدعيه التوبة أو الظلم . وهذا هو مذهب الجماعة الذى يتحمس له[٧٤] .

ويذهب الآلوسي مع الجمهور الى ان الصفات زائدة على الذات خلافا للمعتزلة[٧٥] . ويوافق مذهبهم ايضا فى ان الله يعلم الاشياء قبل وجودها الخارجى . وهو يخالف بذلك المعتزلة الذين قالوا ان الله تعالى يعلم الاشياء بعد حدوثها[٧٦] .

وسلفية الآلوسى فى العقيدة تظهر واضحة فى تفسيره لقوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) فهو يؤكد أن التوسل بمعنى الدعاء لاشك فى جوازه ان كان المطلوب حيا ، ولا يجوز ذلك ان كان ميتا لانه لم يرد عن السلف الصالح ذلك .

---

(٧٣) المصدر السابق ٩/٤٦ ـ ٥٤ .
(٧٤) روح المعاني ٤/٥١ ، ٥٢ .
(٧٥) المصدر السابق ٤/١١٢ .
(٧٦) المصدر السابق ١١/٢١٢ .

ويذهب الآلوسى مع ابن تيمية الى منع التوسل بالذات والقسم على الله تعالى بأحد من خلقه م فاذا وجد ما ظاهره ذلك فمؤول بتقدير مضاف ، ومع ذلك فان الاقسام به عليه السلام على ربه عز شأنه حيا أو ميتا مما لم يقم النص عليه •

وينكر الآلوسى اشد الانكار على بعض المسلمين دعوتهم لمن لا يضر ولا ينفع ، وطلبهم من اهل القبور من نحو شفاء المريض واغناء الفقير ورد الضالة وتيسير كل معسر ويكذب كل ما اسند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • ويقول فى تفسير قوله تعالى (حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة ، وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا انهم احيط بهم دعو الله مخلصين له الدين) وانت خبير بان الناس اليوم اذا اعتراهم أمر خطير وخطب جسيم فى بر أو بحر دعوا من لا يضر ولا ينفع ولايرى ولا يسمع فمنهم من يدعو الخضر والياس ومنهم من ينادى أبا الخميس والعباس ومنهم من يستغيث بأحد الائمة • ومنهم من يضرع الى شيخ من شيوخ الامة ولا ترى فيهم احدا يخص مولاه بتضرعه ودعاه ولا يكاد يمر له ببال أنه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الاهوال(٧٧) •

ويستقل الآلوسي بتفكيره فى طائفة من المسائل • ففي تفسيره لقوله تعالى (وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) نقل رأى الاشاعرة الذين يقولون ان (به) سببية عادية • فلا تأثير فى الحقيقة للماء فى الاخراج وانما المخرج هو الله ، وبنوا على هذا أن الذى يعتقد بان الله اودع قوة الرى فى الماء فقد فسق • ورفض الآلوسى هذا الرأى بشدة لمصادمته لمبدأ الاسباب والمسببات • فانكار الاسباب فى رأيه جحود للضروريات وقدح فى العقول والفطر • فاذا كان الله خالق السبب والمسبب،

---

(٧٧) المصدر السابق ٩٨/١١ •

وهما طوع مشيئته فاى قدح يوجب ذلك فى التوحيد ، وأى شرك يترتب عليه . ولو لم تكن فى النار قوة الاحراق ما احرقت ، ولايهم الآلوسى ان يتفق ما قرره مع رأى خصومه المعتزلة . فالحق كما يقول احق ان يتبع ، والحكمة ضالة المؤمن (٧٨) .

وعلى الرغم من تقليده للحنفية منذ توليته الافتاء ، نراه يعارضها فى بعض المسائل الكلامية ، ففي قوله تعالى (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) قال وهذا احد ادلة من ذهب الى ان الايمان يقبل الزيادة والنقص ، وهو مذهب الجم الغفير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، وبه أقول لكثرة الظواهر الدالة على ذلك من الكتاب والسنة من غير معارض لها عقلا . ومذهب ابى حنيفة أن الايمان لايزيد ولاينقص .

ومجمل القول ان الآلوسى سلفى العقيدة ، يتبع مذهب جمهور اهل السنة فى مسائل الكلام التفريعية مع الاستقلال فى الرأي ، واتباع الحق ان اقتضى ذلك منه رد رأيه الخاص . وهو خصم عنيد ، ومجادل بارع للمعتزلة ، يفند آراءهم ، ويزيف عقائدهم . ولو جمعنا مناقشاته وردوده على المعتزلة فقط من تفسيره لكان كتابا مستقلا .

١٠ ـ موقفه من المسائل الفقهية :ـ

يذكر الآلوسى فى تفسيره المسائل المتعلقة بالفقه واصوله ومذاهبه بالتفصيل . وهو عند معالجته لموضوع معين . يعرض ادلة العلماء والمذاهب ثم يضع نفسه حكما يفند ويرجح ويختار . فمثلا عند تفسيره للآية الكريمة (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) . ذكر رأي ابى حنيفة فى الساحر وانه لا تقبل توبته . ويقتل اذا علم انه ساحر حقيقة ،

---

(٧٨) روح المعاني ١/١٨٩ ، ١٩٠ .

ودليله فى ذلك أن جارية لأم المؤمنين حفصة سحرتها فأخذوها فاعترفت بذلك فأمر عبدالرحمن بن زيد فقتلها وما روى عن عمر انه قال اقتلوا كل ساحر وساحرة ، فقتلوا ثلاث سواحر • واما الشافعية فقالوا انه لا يقتل ودليلهم ان الرسول ما قتل اليهودى الذى سحره والظاهر ان الآلوسى لا يميل الى قتله ان تاب ، اذا لم تترتب عليه نتيجة كأهلاك نفس • ثم يدخل في نقاش مع الرازى الذى يقول (اتفق المحققون على ان العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف ، ولو لم يعلم السحر لما امكن الفرق بينه وبين المعجزة) ونقل الرازى عن بعضهم ان المفتى عليه ان يتعلم السحر حتى يعلم ما يقتل به وما لا يقتل به ، فيفتى به فى وجوب القصاص ، والحق عند الآلوسى فى هذه المسألة التحريم تبعا لرأى الجمهور ، فيرد على الرازي بقوله :

آ ـ ان السحر ليس قبيحا لذاته بل لما يترتب عليه ، فتحريمه من باب سد الذرائع •

ب ـ ان توقف الفرق بينه وبين المعجزة على العلم به ممنوع ، واكثر العلماء عرفوا بينه وبين المعجزة دون العلم به ، فلو كان تعليما لرأينا أعلم الناس به الصدر الاول • وليس الأمر كذلك •

ج ـ ان المفتى لا يحتاج فى القصاص الى معرفة السحر ، لأن شهود شهدين عدلين على ما ذكره العلامة ابن حجر كاف لذلك[٧٩] •

ويتطرق الآلوسى الى آراء مذاهب متعددة فى اكثر الاحيان • فقد نقل مثلا اختلافا فقهيا فى المسافر هل يصوم أم يفطر • فذكر ان أبا حنيفة ومالكا على ان الصوم واجب ، والشافعي واحمد والاوزاعي الفطر اوجب ،

---

(٧٩) روح المعاني ١/٣٣٩ ، ٣٤٠ • راجع أيضا على سبيل المثال ٢/١٥٦ ، ١٥٧ • ٥/٥ •

ومذهب الظاهرية والامامية وجوب الافطار ، وعدم صحة الصوم ، ونسب هذا الرأى الى ابن عباس وابن عمر وابي هريرة وجماعة من الصحابة[٨٠].
وفي قوله تعالى (يا ايها الذين آمنو انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) قال والحاصل أن الامام الاعظم يقول بالمنع عن الحج والعمرة ، ويحمل النهى عليه ، ولا يمنعون من دخول المسجد الحرام وسائر المساجد عنده ، ومذهب الشافعى واحمد ومالك رضى الله تعالى عنهم كما قال فى الخازن انه لا يجوز للكافر ذميا كان أو مستأمنا أن يدخل المسجد الحرام بحال من الاحوال فلو جاء الرسول من دار الكفر والامام فيه ، لم يأذن له فى دخوله بل يخرج اليه بنفسه او يبعث اليه من يسمع رسالته خارجه[٨١] .

ويعرض الآلوسى فى خلال عرضه للآراء الفقهية رأيا منسوبا الى احد الفقهاء ، ثم يبين ان هذا الرأى هو مخالف لمشهور ما روى عنه . فقد حكى الطحاوى والحاكم والخطيب ان الشافعى لما سئل فى اتيان الرجل فى دبر المرأة فقل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فى تحليله ولا فى تحريمه شىء ، والقياس انه خلال . هنا يبين ان هذا خلاف ما نعرف عن مذهب الشافعي ، فان رواية التحريم عنه مشهورة ، فلعله كان يقول بذلك فى القديم ورجع عنه فى الجديد لما صح عنده من الاخبار أو ظهر له من (فاتوا حرثكم أنى شئتم)[٨٢] .

ويذهب الآلوسي مذهب ابي حنيفة فى مسائل كثيرة . ففي تفسيره لقوله تعالى (فلا جناح عليه ان يطوف بهما) نقل الاختلاف حول مشروعية

---

(٨٠) المصدر السابق ٢/٥٨ .
(٨١) المصدر السابق ١٠/٧٧ .
(٨٢) روح المعاني ٢/١٢٥ .

السعي بين الصفا والمروة حيث يقول احمد بانه سنة • والشافعي ومالك على انه ركن وأبو حنيفة قال انه واجب لان الركنية لا تثبت الا بالدليل المقطوع ، وذهب الآلوسي الى الاخير • وهو يدافع عن رأي الحنفية ، ويبطل ما قاله المخالفون له فى مسائل ففي تفسيره لقوله تعالى (واتموا الحج والعمرة) قال (والحق ان الآية لا تصلح دليلا للشافعية ومن وافقهم كالامامية علينا • وليس فيها عند التحقيق أكثر من بيان وجوب اتمام افعالهما عند التصدي لادائهما ، وارشاد الناس الى تدارك ما عسى يعتريهم من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما من الوجوب وعدمه • وبعد قليل دافع عن رأي الحنفية ايضا من أن (أحصرتم) عام لما يعم كل منع من عدو ومرض وغيرهما وساق الاحاديث لذلك ، ودفع القول المروى عن ابن عباس (لا حصر الا حصر العدو) بما رواه ابن جرير وابن المنذر عنه فى تفسير الآية انه قال (من أحرم بحج أو عمرة أو حبس عن البيت بمرض يجهده ، أو عدو يحبسه ، فعليه ذبح ما استيسر من الهدي) وقال الآلوسي ان ابن عباس كما خصص فى الآية الاولى عمم فى هذه الآية ، وهو أعلم بمواقع التنزيل[٨٣] • وفى مسألة الطلاق الثلاث أقر رأي الامام ابى حنيفة الذى يقول بوجوب ايقاع الطلاق الثلاث اذا جمع بلفظ واحد الا واحدة ، واحتجوا بآية (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) وقياسا على شهادات اللعان ورمي الجمرات وتمسكا بما أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي والحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى منهما قال (كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وسنتين من خلافة عمر واحدة فقال عمر (ان الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيها اناة فلو أمضيناه عليهم فامضاه)[٨٤] وفى تفسيره لقوله تعالى (واذا قرىء

---

(٨٣) المصدر السابق ٢/ ٨٠ ، ٨١ •
(٨٤) المصدر السابق ٢/١٣٩ •

القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) يذهب مع ابى حنيفة فى عدم القراءة خلف الامام خلافا للشافعي الذى قال بوجوب قراءة الفاتحة ، والامام مالك الذى قال بعدم القراءة عند الجهر وبها عند الاسرار(٨٥) •

ويتعصب الآلوسي لابى حنيفة حتى يؤدي به الأمر الى ان يصف الفقيه الاندلسي ابن حزم بالضال لانه عارض ابا حنيفة بشدة فى بعض ما ذهب اليه(٨٦) •

ومع ان الآلوسي يقول صراحة ان مذهبه هو الحنفية ويدافع عنه ، يستنكر التعصب الى المذهب ومعاداة المذاهب الاخرى(٨٧) • ويرى انه لا بأس على من قلد غير مذهبه ، وان لم يكن هناك أمر ماس ما لم يحصل بذلك تلفيق(٨٨) • ويقول فى تفسيره بصراحة (وما عليّ اذا خالفت فى بعض المسائل مذهب الامام ابى حنيفة رضي الله تعالى عنه للادلة التي لا تكاد تحصى ، فالحق أحق بالاتباع ، والتقليد فى مثل هذه المسائل من سنن العوام)(٨٩) •

وفى مخالفة أحد فقهاء مذهبه الذى ذهب الى جواز نسخ ما ثبت بالكتاب بالاجماع بناء على ان الاجماع حجة قطعية قال (وليس بصحيح من المذهب)(٩٠) • اورد ذلك فى وجه سقوط المؤلفة قلوبهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم • وانطلاقا من هذه القاعدة فانه يدافع عن الامام الشافعي دفاعا عظيما فى مواضع عدة ففي مسألة تحلية متروك التسمية من الذبائح نقل

---

(٨٥) المصدر السابق ٩/١٥٠ ، ١٥٣ •
(٨٦) المصدر السابق ٤/٢٠٧ •
(٨٧) شهي النغم ٣٥ •
(٨٨) نشوة الشمول ٨٧ •
(٨٩) روح المعاني ٩/١١٧ •
(٩٠) المصدر السابق ١٠/٥٠ ، ١٢٢ •

قول جمع من العلماء الذى نص على انه مخالف للاجماع ثم قال (والحق عندي أن المسألة اجتهادية ، وثبوت الاجماع غير مسلم ولو كان ما كان خرقه الامام الشافعي واستدلاله على مدعاه على ما سمعت لا يخلو من متانة وقول الاصفهاني كما فى المستصفى ، أفحش الشافعي حيث خالف سبع آيات من القرآن ثلاث منها فى سورة الانعام الاولى (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) والثانية (ومالكم لا تأكلون مما ذكر اسم الله عليه) والثالثة (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وثلاث فى سورة الحج الاولى (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام) والثانية (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله عليها صواف) وآية فى المائدة (فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) من الفحش فى حق هذا الامام القرشي ، ومثاره عدم الوقوف على فضله ، وسعة علمه ، ودقة نظره)[٩١] .

وهنالك مسائل عدة يذهب فيها الآلوسي مذهب الامام الشافعي ففي تفسيره لقوله تعالى (ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قال (والمذكور فى معتبرات كتب الشافعية ، واليه أميل ان صوتهن ليس بعورة فلا يحرم سماعه الا ان خشى منه فتنة)[٩٢] . وفى مسألة العدة يذهب مع الامام الشافعي الى ان العدة تكون بالاطهار مخالفا للامام ابى حنيفة الذى يجعله فى الحيض[٩٣] . ونرى احيانا انه يزين بعض أقوال الامام الشافعي ، ويعرض أدلته بالتفصيل بما يشعر انه يميل اليه[٩٤] .

والدلائل تشير الى ان الآلوسي كان معجبا بمذهب الامام الشافعي ،

---

(٩١) المصدر السابق ٨/١٥ـ١٧ .
(٩٢) المصدر السابق ١٨/١٤٦ . ٢٤/١٠١ .
(٩٣) المصدر السابق ٢٨/١٢٩ .
(٩٤) المصدر السابق ٢٦/٤١ .

فكلما اتصل الامر بمسألة من مسائل فقهه وتابعيه من العلماء ، بسط أدلتهم ، وعظم قائليها ، واعترف بقوة تلك الادلة[٩٥] .

وللآلوسي نظرات محكمة في مسائل الفقه والاصول ، فهو يعتقد انه لا يشترط في الاجماع اتفاق كل الامة منذ مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة ، ولا عبرة بمخالفة الشذاذ والمبتدعين ، ففي شرح الآية الكريمة (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) اعتبر الاجماع قائما على الحصر في الاربع على الرغم من ذهاب آحاد من الناس على جواز الاطلاق[٩٦] . ويرد على الذين استدلوا بالآية الكريمة (واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله) على انكار القياس بقوله (والحق ان الآية دليل على اثبات القياس بل هي متضمنة لجميع الادلة الشرعية ، فان المراد باطاعة الله العمل بالكتاب وباطاعة الرسول العمل بالسنة وبالرد اليهما القياس . لان رد المختلف فيه الغير المعلوم في النفس الى المنصوص عليه انه يكون بالتمثيل والبناء عليه . وليس القياس شيئا وراء ذلك)[٩٧] . وفي آية تحريم الخمر عرض للخمر وأنواعه وبين آراء الفقهاء لابي حنيفة وابي يوسف ومحمد والشافعي والاوزاعي والمعتزلة ، وفي النبيذ وفيما طبخ نصفه أو ثلثاه فهم مختلفون في ذلك ، ثم بين رأيه فيما ذكر فقال (وعندي أن الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ان الشراب المتخذ مما عدا العنب كيف كن وبأي اسم سمي متى كان بحيث يسكر من لم يتعوده حرام ــ وقليله ككثيره ــ ويحد شاربه ويقع طلاقه ونجاسته غليظة) ثم ساق احاديث تؤيد وجهة نظره[٩٨] .

---

(٩٥) الاجوبة العراقية على الاسئلة الايرانية ١٦١ ، ١٦٣ .
(٩٦) روح المعاني ٤/١٩٢ .
(٩٧) المصدر السابق ٥/٦٦ ، ٦٧ .
(٩٨) المصدر السابق ٢/١١٢ ، ١١٣ .

وللآلوسي معالجات قوية لمشاكل تشريعية وقانونية برزت الى الوجود فى زمانه ، وهي احلال القوانين الاوربية محل الشريعة الاسلامية ، ورأيه ان ما يرجع من هذه القوانين الى ما يتعلق بسوق الجيوش وتعبئتهم وتعليمهم ما يلزم فى الحرب ، وما يتعلق باحكام المدن والقلاع ، ونحو ذلك لا بأس به فى أكثره ، وكذا ما يتعلق بجزاء ذوى الجنايات التى لم يرد فيها عن الشارع حد مخصوص بل فوض التأديب عليها الى رأي الامام كأنواع التعازير • واما ما يتعلق بالحدود الآلهية كقطع يد السارق ورجم الزاني المحض وما فصل فى حق قطاع الطرق من قطع الايدي والارجل من خلاف وغيره مما فصل فى آيتهم الى غير ذلك ، فظاهر أمره دخوله فى حكم المحربة لله ورسوله • واما ما يتعلق بالمعاملات والعقود فان كان موافقا لما ورد عن الشارع يسميه شرعا ولا يسميه قوانين واصولا ، وان لم يكن موافقا لذلك كالحكم فى اعطاء الربا لزعم أنه تتعطل مصالح الناس لو لم يحكم بذلك ، فهو حكم بغير ما انزل الله • ومجمل رأى الآلوسى ان ما كان موافقا لعمل الرسول وخلفائه الراشدين فذاك وما كان مخالفا لعمل الخلفاء الصادر منهم باجتهاد • فان كانت مخالفته الى ما هو اسهل وانفع للناس نظرا الى زمانهم فهو مما لا بأس فيه • وان كانت مخالفته الى ما هو اشق ففيه بأس • ولا يتردد فى ختام بحثه فى تكفير الذين يفضلون القوانين الجديدة فى زمانه على الشريعة(٩٩) •

وقد يسأل القارىء عن هذا التناقض الظاهري بين ادعاء الآلوسي انه حنفي المذهب وبين مناصرته للشافعي ودفاعه عنه ، وتقليده له فى عدد غير قليل من المسائل • والجواب ان الذى يقرأ تفسير الآلوسى يوقن انه لم يكن حنفيا ولا كان شافعيا ولا متبعا لمذهب معين ، وانما كان مستقل الرأى

---

(٩٩) المصدر السابق ٢٨/٢١ •

والتفكير يتبع اقوى الادلة عنده ، ولا يتعصب قط فى الحقيقة لمذهب بكامله وانما قد يتعصب للرأى الذى ظهرت صحته عنده من ذلك المذهب • ولذلك فانه يدافع مرة بحرارة عن رأى للحنفية ، ومرة اخـــرى يدافع عن رأى المشافعية وهكذا •

أما تظاهره باتبـاع الحنفية فيعود الى انــه كان مفتي الحنفية • مذهب الدولــة الرسمي ، فلم ير ـ تبعا لعــدم ايمانه بالتعصب لمذهب معين ـ بأسا فى ذلك •

والحق ان الآلوسي لم يخف اتجاهه الحقيقي فى تفسيره كونه مفتيـا حنفيا •

ان ظروف زمانه لم تسمح له باعلان تحرره من المذاهب المشهورة ، وانما ترك ذلك لفطنة القراء • وبناء على هذا فالذى يقرأ فقط الاجزاء الاولى من تفسيره يحكم بأنه حنفي المذهب نظرا لتظاهره بذلك ، وكنت عند قراءتي لتلك الاجزاء قد حكمت عليه بهذا وظننت انه كان حنفيا حقيقة ، ولكني كلما تقدمت فى قراءة تفسيره ظهرت لى الحقيقة وانكشفت امامي اجـــواء جديدة من اتجاهات هـــذه العقلية الناضجة ، فتراجعت عن الــرأى الذى كونته لنفسي على الاجزاء الاولى ، وبدأت اعتقد تماما ان رأيي السابق كان خطأ ، وان الصحيح هو ان الآلوسي كان متبعا للحق ، باحثا عنه ، لا يهمه ان وقع عليه فى هذا المذهب أو ذاك •

ان الآلوسي فى تفسيره غامض بعض الشيء لمن لا يمعن النظر فى ربط اجزاء التفسير بعضها ببعض • فهـــو يعرض الحق والباطل ، ولكن الباحث يستطيع الحكم بقليل من النظر المتفحص انه كان مع الحق ، يحبه ، ولكنه لا يستطيع اظهـاره فى كل حــين ، مع انه يزينه للمتأمل بصورة واضحة •

ان الذين تصدوا الى مذهب الآلوسي لم يصيبوا الهدف تماما ، لأنهم لم يقرؤوا تفسيره كله ، وهذا هو الخطأ في المنهج الذى اوقعهم فى خطأ آخر ، وهو انه كان شافعي المذهب اولا ثم تعصب للحنفية[١٠٠] .

ان دراسة الآلوسى القوية ، للاحاديث النبوية الشريفة من حيث الرواية والجرح والتعديل هي التي كونت عنده هذا الاتجاه ، ووضعت يده على مواضع الضعف والقوة فى آراء الفقهاء ، فأخذ ما أخذ عن اقتناع ، ورفض ما رفض عن بينة .

ان الآلوسي لو تأخر ظهوره ، وعاش فى ظروف غير الظروف التي عاش فيها لكان صريحا فى كل شيء . ولكنا نستطيع بسهولة أن نقول انه كان سلفى الاتجاه فى كل مسألة من مسائل الدين ، ولكن هذا الاتجاه عنده قد غلفه باسلوب معين منسجما مع ظروف زمانه ، واحوال مجتمعه .

١١ ـ موقفه من التصوف :

سبق أن أشرنا الى ان الآلوسي كان متصلا بالنقشبندية ، ودرس التصوف على شيخها خالد النقشبندى . ولذلك فانه فى تفسيره يتطرق فى مناسبات كثيرة الى التصوف ، وينقل عن كبار المتصوفين آراءهم فى مختلف نواحي الحياة الروحية وغيرها كالشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ ابن عربي والشيخ عبد الكريم الجيلي والامام الغزالي والجنيد البغدادى وشيخه خالد النقشبندى[١] .

---

(١٠٠) المنار ١/٩٠ وعلى الرغم من هذا فان صاحب المنار لا يسعه الا أن يعترف بان الآلوسي كان نزاعا الى استقلال الفكر فى كثير من مسائل الدين . انظر ١/٩٢ .

(١) روح المعاني ١/٨١ ، ١٧٠ . ٤/١٥٥ ، ١٥٦ . ٧/١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٣ . ٢٢/١٠١ .

والجدير بالذكر انه قد درس نتاج هؤلاء بعمق ، فهو يلخص اقوالهم فيعرضها باسلوب ينم على انه هضمها حتى ان القارىء قد يظن انها له وانما هي لهم تصرف فيها بمهارة(٢) •

والآلوسي يؤمن بالكشف طريقا من طرق المعرفة ، وهو من المعتقدين ان شيوخ التصوف وفى مقدمتهم الذين ذكرناهم ، لهـم اقوال ومقـامات تتكشف لهم فيها اسرار لا نستطيع انكارها • فقول ابن عربي ومن حـذا حذوه من الصوفية بعدم الخلود فى رأى الآلوسى بنى على تجل لم ينكشف له • لأن الكثيرين منهم يبنون كلامهم على اصطلاحات ورموز واشارات قد حال بيننا وبين فهمها العوائق الدنيوية والعلائق النفسانية ، وعلى الرغم من انه يعتقد بأن ادعاء عدم الخلود قد يؤدى الى نفي الاحكام الشرعية ، وتعطيل النبوات ، الا انـه لا يطعـن فى أقـوال من قل به من أهل التصوف ، لأن طريقتهم فى فهم حقائق الوجود فى نظره صحيحة • وكلما وجدنا لهؤلاء شيئا يجب ان نسلمه لهم بالمعنى الذى أرادوه مما لا نعلمه نحن(٣) •

ان الآلوسى يناقش المفكرين على من تحلى فى رأيه بالصفات الالهيـة فيقول (اذا سمعوا شيئا من اهل الله تعالى مخالفا لما عليه مجتهدوهم ردوه وقالوا زيغ وضلال واعتمدوا فى ذلك على مجرد تلك المخالفة ظنا منهم ان الحق منحصر فيما جاء به احد اولئك المجتهدين) ويضيف أن المجتهد له شروط معلومة تهيئه لاستنباط الاحكام كذلك هنالك مجتهد آخـر شرطه تصفية النفس وتزكيتها وتخلقها بالخلق الرباني وتهيؤها واستعدادها لقبول العلم من الله تعالى(٤) •

---

(٢) المصدر السابق ٥/٧٥ ، ٧٧ •
(٣) المصدر السابق ١/١٤٢ ، ١٤٣ •
(٤) المصدر السابق ١١/١٧٧ •

وهو جريا مع الصوفية يؤمن بما يسمونه الاقطاب والاوتاد والابدال والنقباء والنجباء[٥] وهو يؤمن بكرامة الاولياء ولا يشترط فى الولي صدور الكرامة منه كما يشترط فى الرسول صدور المعجزة ويكفيه الاستقامة كرامة ، والولي عنده هو المتبع للشريعة الغراء وسلوك المحجة البيضاء فمن خرج عنها قيد شبر بعد عن الولاية بمراحل ، فلا ينبغي ان يطلق عليه اسم الولي ولو أتى بألف ألف خارق[٦] . وهو يؤمن ايضا ان ما وقع للانبياء يقع للاولياء الكمل فتشكل الملائكة الذى وقع للرسول صلى الله عليه وسلم يقع مثله للاولياء على الرغم من كونه وراء العقل[٧] .

ويتكلم الآلوسى فى بعض المواضع عن نظرية وحدة الوجود ، فهي فى نظره ما وراء طور العقل ومن الاسرار الالهية التي حفظت عن رسول الله ، ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم اخفى شيئا مما لا يتعلق به مصالح العباد فى رأى الصوفية[٨] . وهذه النظرية لا تقتضي ترك الصلاة واتباع الشهوات وتعطيل الشرائع واستحلال المحرمات . والذين قالوا بذلك لم يفهموا مرام ما جاء فى كتب كبار الصوفية[٩] .

وعلى الرغم من هذا فانه ينبه على خطر القول بوحدة الوجود من حيث نتائجه ، فهو يقول (وهذه الوحدة هي التي حارت فيها الافهام وخرجت لعدم تحقيق امرها رقاب من ربقة الاسلام)[١٠] . وفى معرض استشهاده ببيتى ابن عربي :

---

(٥) المصدر السابق ١١/١٧٨ .
(٦) المصدر السابق ١١/١٧٩ .
(٧) المصدر السابق ١/٢٩٠ .
(٨) روح المعانى ٦/١٩٠ .
(٩) المصدر السابق ٧/٧ .
(١٠) المصدر السابق ٢٥/٨ .

ما آدم في الكون ما ابليس . ما ملك سليمان وما بلقيس
الكل اشارة وانت المعنى يا من هو للقلوب مغناطيس[11]

يقول (واكثر كلامه قدس سره من هذا القبيل بل هو أم وحدة الوجود وابوها وابنها وأخوها وأياك أن تقول كما قال ذلك الأجل حتى تصل بتوفيق الله الى ما اليه وصل[12] .

وقد نجد شيئا من التناقض في أقوال الآلوسي بشأن وحدة الوجود ، فهذه العبارة مثلا ينم ظاهرها على استنكاره الشديد لتلك النظرية (نسأل الله تعالى أن يمن علينا بصحيح الشهود . ويحفظنا بجوده عما علق بأذهان الملاحدة من وحدة الوجود)[13] .

ويدافع الآلوسي عن الصوفية ، ويرد على الذين قالوا ان مصطلحات الصوفية تحوم حول كلمات النصارى بقوله (ان هؤلاء لا اطلاع لهم على تحقيق كلامهم ولا ذوق لهم في مشاربهم . وينكر ان الصوفية قالوا بالتجسيم . ويقول بأن هنالك فرقا بين الحلول عند النصارى والمجلى له أو المظهر له عند الصوفية . واما ما وقع في كلامهم من الحلول فانه يرجعه الى ان للقوم مقامات واحوالا لا تصل اليه افهامنا[14] .

وايمان الآلوسي بالحقيقة المحمدية والتعين الأول واضح في تفسيره لبسم الله[15] . وظاهر كلامه انه من المؤمنين على ان لحروف كلمة (الله) اسرارا ورموزا لا يعرفها الا الصوفية الذين هم على حد زعمه أعرف منا بمثل هذه المعاني . وقد أعجب الآلوسي ايما اعجاب ببيان ابن عربي لأسرار

---

(١١) في البيتين خروج واضح على الوزن العروضي .
(١٢) المصدر السابق ٢٥/١٠ .
(١٣) المصدر السابق ٢٥/٨ .
(١٤) المصدر السابق ١٧/٦٩ ، ٧٠ .
(١٥) المصدر السابق ١/٥٢ .

هذه الحروف فى كتابه (الفتوحات المكية)[١٦] .

هذا هو رأي الآلوسي فى بعض النواحي النظرية من التفكير الصوفي ، أما من الناحية العملية فانه يشن حملة شديدة ضد طرق التصوف فى زمانه ففي تفسيره لقوله تعالى (ويقولون سيغفر لنا) قال (وهذا هو حال كثير من متصوفية زماننا فانهم يتهافتون على الشهوات تهافت الفراش على النار ويقولون ان ذلك لا يضرنا لأنا واصلون[١٧] .

ويقول الآلوسي (وذكروا أن فى الدنيا موازين ايضا واعظم موازينها الشريعة وكفتاة الكتاب والسنة ، ولعمرى لقد عطل هذا الميزان متصوفة هذا الزمان اعاذنا الله تعالى والمسلمين مما هم عليه من الضلال أنه عزوجل المتفضل بانواع الافضال)[١٨] . ويهاجم احيانا اصحاب طريقة معينة كما فعل فى المنتسبين الى الشيخ احمد الرفاعى ووصفهم بالفسق الذين كادوا لكثرة فسقهم ان يكونوا كفارا ، وانكر عليهم ما يأتون به من دخول النار والضرب بالسلاح)[١٩]

وكذلك يهاجمهم فى استعمالهم لبعض المصطلحات التى يعتبرها سوء أدب مع الله تعالى فيقول (واشنع من ذلك ما يفعله أبالسة المتصوفية ومردتهم انهم قبحهم الله تعالى اذا اعترض عليهم بما اشتمل عليه نشيدهم من الباطل يقولون نعنى بالخمر المحبة الالهية وبالسكر غلبتها وبمية وليلى وسعدى مثلا المحبوب الاعظم وهو الله عز وجل ، وفى ذلك من سوء الادب ما فيه (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى اسمائه)[٢٠]

---

(١٦) المصدر السابق ٥٨/١ .
(١٧) المصدر السابق ١١٠/٩ .
(١٨) روح المعانى ٥٧/١٧ .
(١٩) المصدر السابق ٦٩/١٧ ؛ ٧٠ .
(٢٠) المصدر السابق ٧٣/٢١ .

ويرد الآلوسى أقوال بعض الصوفية الذين قالوا ينبغي على الصوفي ان يكون ملبسه خشنا وطعامه لطيفا بانه خلاف المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار اصحابه رضى الله عنهم[٢١] .

ويفضح الآلوسى الذين يدعون الولاية بقوله (ولا اعني بالأولياء الكاملين سوى من تحقق لدى المنصفين موافقتهم للشرع فيما يأتون ويذرون دون الذين يزعمون انتظامهم فى سلكهم وهم اولياء الشيطان ، وحزبهم ، حزبه ، كبعض متصوفة هذا الزمان ، فان الزنادقة بالنسبة اليهم انقياء موحدون كما لا يخفى من سبر احوالهم)[٢٢] .

ويفند كذلك قول الصوفية بان هؤلاء يتصرفون فى الموجودات تصرف الذكور فى الاناث بقوله (كلام بشع تنقبض منه ككثير من كلام المتصوفة قلوب المقتفين للسلف الصالح[٢٣] .

والحق ان الباحث عن موقف الآلوسي من التصوف يجد شيئا من العسر فى تحديد موقفه هذا تحديدا دقيقا لانه خلط فى هذا الموضوع بين الحق والباطل ، فتارة يعظم ابن عربي وتارة يهاجمه ، ويؤمن ببعض آرائهم ويفند بعضها الآخر . ونحن فى سبيل تحديد هذا الموقف نحاول ان نفترض الافتراضات الآتية ثم نرجح الذى تقوم الادلة على ترجيحه :

١ ـ قد يقرأ انسان بعض نتائج الآلوسي ثم تقع عينه على احترامه الكبير لكبار مشايخ الصوفية ، وايمانه ببعض آرائهم ، وتأويله لبعضها الآخر ، فيقول ان الآلوسي كان صوفيا . وهذا الرأي مرفوض عندي تماما بعد أن قرأت تراث الآلوسي كله ، لان الآلوسي يرفض كثيرا من آراء متقدمي

---

(٢١) المصدر السابق ١٥/٢٦٠ .
(٢٢) المصدر السابق ١٤/٥٤ .
(٢٣) المصدر السابق ٢٢/١٠١ .

الصوفية كابن عربي وابن الفارض وغيرهما ، ويدعو الى عدم الخوض فيها ، ويشير ان أنّ نتائجها كانت سيئة على المجتمع الاسلامي • ثم انه يشن حملات شديدة على متصوفة زمانه ، ويرميهم بالكفر والفسق والضلالة ، ويستنكر التوسل بغير الله وزيارة القبــور كما تبين لنا ذلك فى موقف الآلوسي من مسائل الاعتقاد ومسائل التصوف •

٢ ـ أن نفترض أن الآلوسي لم يكن صوفيا اصلا ، ولم يكن يؤمن بشيء من آرائهم ، ولكنه تظاهر باحترام شيوخهم والتأويل لبعض آرائهم كي يشن عن طريقة أقوى الحملات ضد الصوفية ومقاومتها والقضاء عليها ، وابراز محاسن مذهب السلف عقيدة وشريعة ، وهذا الرأي على وجاهته لا أقول به ، لان هذا افتراض فقط ولا يسنده دليل مادي ، لان تأييــد الآلوسي لبعض افكار المتصوفين واضح وصريح ، فلا يحق لنا فى رأيي ان نحرف كلامه عن مدلوله •

٣ ـ ان نفترض ان الآلوسي كان سلفيا ومتبعا للكتاب والسنة ، الاّ انه نظرا لدراسته التصوف ، وانضمامه الى الطريقـة النقشبندية ، تأثر ببعض آراء المتصوفين تأثرا شعوريا قويا فى بادىء الامر ، ولا شـعوريا ضعيفا فيما بعد • ولذلك فانه نظر فى آرائهم فوجـد أن بعضها قابل للتـأويل وبعضها لا يخالف الشريعة فى رأيه فتقبلها ووجد أن أكثر ما يؤمن به الصوفية من آراء فى زمانه مخالف للشريعة مخالفة صريحة فحاربه واشتد فى تفنيـده ورده • وهذا ما اميل اليه ، لان حياته الاولى وتربيته تؤدي اليه • ولانه متفق مع استقلاله الفكري الذى لاحظناه ، ومنسجم مع طلبه الحق • فهو لم يتمذهب فى نضوجه بمذهب معين لا فى العقيدة ولا فى الشريعة ولا فى التصوف ولا فى الهيئة كما سنرى ، وانما كان يأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت ، ويرفض كل ما يعتقد انه مخالف للكتاب والسنة •

ان ما قدمناه من موقف الآلوسي الايجابي والسلبي من آراء الصوفية ،

يقوم دليلا على ما نذهب اليه هنا ، لانه يماشي منطق الالفاظ والمصطلحات التي نجدها في كتابات الآلوسي جميعها ٠

١٢ ـ موقفه من المسائل الكونية :

يعالج الآلوسي في تفسيره كثيرا من المسائل العلمية والكونية عند تفسيره للآيات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع ، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياءا والقمر نورا) ينقل أقوال أهل الهيئة في معنى الضوء والنور وبعض الظواهر الملحقة بهما كالكسوف والخسوف ٠ وهو لا يجزم بصحة هذه الاقوال ، وعنده ان القول به لا يضر بالدين لأن غالب الاخبار في ذلك لم تصل الى درجة الصحة ، ومع هذا فهي قابلة للتأويل بما لا ينافي كلام الفلاسفة[٢٤] ٠ وفي قوله تعالى (فالق الاصباح) ذكر كلاما طويلا حول معنى الاصباح وتقسيم الصبح الى صادق وكاذب ، وعرض آراء أهل الهيئة في تفسير ذلك علميا حاصله ان الصبح والشفق استنارة في كرة البخار لتقارب الشمس من افق المشرق وتباعدها عن افق المغرب ، ونقل رأي الامام الرازي وهو انكار كون الصبح الكاذب من أثر قرص الشمس ولا من جنس نوره ، وانما هو بتخليق الله تعالى ابتداءا ، ثم ذكر كلاما مفصلا له في شرح وجهة نظره ، وردوده على ابن الهيثم في كيفية انتشار الضوء على سطح الأرض وقت الاصباح ٠ وانتقل الآلوسي الى عرض آراء الفقهاء وبعض السلف في هذه المسألة كقولهم بان الصبح الكاذب شعاع يخرج من طباق بجبل قاف ، ولقد اعتبروا أن وراء أرضنا بحرا محيطا ثم جبلا يقال له قاف ثم ارضا ثم بحرا ثم جبلا وهكذا حتى عد سبعا ٠

ومن الواضح أن الآلوسي في تقريره هذه الامور الكونية يعتمد على أهل الهيئة ، فالخبر عن السلف بذلك إن صح فله حكم المرفوع مما ينبغي

(٢٤) روح المعاني ١١/١٧٠ ، ٦٩ ٠

تأويله . استمع اليه يقول (فان كثيرا من الناس قد قطعوا دائرة الأرض على مدار السرطان مرارا ولم يجدوا أثرا لهذا الجبل المحيط الشامل) ثم قال (والذى تميل اليه قلوب كثير من الناس من أمر الصبح ما ذكره أهل الهيئة)[٢٥] .

واذا اصطدمت مقررات علماء الهيئة مع الاحاديث الصحيحة رفضها ، فقد جاءت أحاديث تنص على ان احدى علامات يوم القيامة طلوع الشمس من المغرب فرفضها اصحاب الهيئة ، فلم يقبل ما قالوا لثبوت تلك الاحاديث عنده فهو يقول فى هذا (وأهل الهيئة ومن وافقهم يزعمون ان طلوع الشمس من المغرب محال ، ويقولون ان الشمس وغيرها من الفلكيات بسيطة لا تختلف مقتضياتها جهة وحركة وغير ذلك ولا يتطرق اليها تغير عما هي عليه ، وقد بنوا ذلك على مثل شفا جرف هار)[٢٦] .

ويرفض الآلوسي تأثير الكواكب والنجوم والظواهر الكونية فى حياة الانسان خيرها وشرها وصلاحها وفسادها ومدة لبث الجنين فى بطن امه وخروجه الى الدنيا وعمره ورزقه وشقاوته وحسنه وقبحه ، وأخلاقه وحذقه وبلادته وجهله وعلمه ، وانقسام الحيوان الى الطير وأصنافه ، والى الحيوان البحري ، وأنواعه ، والبري وأقسامه ، واختلاف صور الحيوانات فيقول (وهو مما لا يكاد يصح لان طريق صحته أما الخبر الصادق أو الحس الذى يشترك فيه الناس أو ضرورة العقل أو نظره . وشيء من هذا كله غير موجود) ثم ينتقل الى عرض كثير من الحوادث التاريخية لنقض هذا الرأي[٢٧] .

ولم يكن الآلوسي يعيش بمعزل عما يجري من تحقيق النظريات العلمية

---

(٢٥) روح المعانى ٧/٢٢٨ ، ٢٣٢ .
(٢٦) المصدر السابق ٨/٦٣ .
(٢٧) المصدر السابق ٢٣/١٠٥ .

في الغرب ، فقد كان مطلعا على كثير من جوانب علم الفلك الحديث ، ففي تفسيره لقوله تعالى (لا تفتح لهم أبواب السماء) يقول : وظاهر كلام أهل الهيئة الجديدة جواز الخرق والالتئام على الافلاك[٢٨] • وفي تفسيره لقوله تعالى (كل في فلك يسبحون) عرض لنظريات القدماء ، ثم قال (وقد ذهب الى خلافه أهل لندن وغيرهم من أصحاب الارصاد اليوم)[٢٩] • وفي تفسيره لقوله تعالى (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) قال (وقد تكلم في ذلك أهل الهيئة الجديدة المتداولة اليوم في بلاد الروم وما قرب منها ، فقالوا في كيفية انفجار الصاعقة ، من المعلوم ان انطلاق الكهربائية التي في السحاب وهي قوة مخصوصة في الاجسام نحو قوة الكهرباء التي بها تجذب التبنة ونحوها اليها انما يحصل باتحاد كهربائية الاجسام مع بعضها فاذا قرب السحاب من الاجسام الارضية طلبت الكهربائية السحابية ان تتخذ بالكهربائية الارضية فتنبجس بينهما شرارة كهربائية فتصعق الاجسام ، وتتفاوت قوة الصاعقة باختلاف الاستحالة البخارية ، فليست في جميع البلاد والفصول واحدة واوضحوا ذلك بكلام طويل من اراده فليرجع اليه في كتبهم[٣٠] •

ويتحدث الآلوسي في تفسيره لبعض الآيات عن قوانين الجاذبية وغيرها[٣١] • وكان يرصد النجوم بنفسة عن طريق بعض الآلات • فعند كلامه عن مجموعة من النجوم يقول انه رأى منها ما يزيد على ثلاثين كوكبا[٣٢] •

وهو يقف امام النظريات العلمية الحديثة موقفا ينم عن قوة شخصيته

---

(٢٨) المصدر السابق ١١٨/٨ •
(٢٩) المصدر السابق ٤٣/١٧ •
(٣٠) روح المعاني ١١٤/٢٤ •
(٣١) المصدر السابق ٧/٢٩ •
(٣٢) المصدر السابق ١٧/٢٣ •

العلمية ، وعمق تفكيره ، فهو يسلم ببعضهما ويرفض بعضها الآخر[٣٣] كدأبه في كل ما يعالج من الآراء قديمها وحديثها • ولذلك فانه يرفض قاعدة تطبيق الآيات القرآنية على النظريات العلمية لان هذه النظريات لا تقوم على الأدلة القطعية[٣٤] •

١٣ ـ موقفه من اهل الفرق والملل :

يوضح الآلوسي موقفه من أهل الفرق والملل عند تعرضه لآرائهم ومناقشته لها ، وردوده عليها ، وتأتي الشيعة في مقدمة من يرد عليهم الآلوسي عقيدة وشريعة وتاريخا • ولو اننا جمعنا ردود الآلوسي هذه على الشيعة لحصلنا على مجلد كبير معالجة موضوعية مركزة ، بعيدة عن الاسراف والتعصب ، ففي قوله تعالى (لا ينال عهدي الظالمين) استدل بعض الشيعة بها على نفي امامة الصديق وصاحبيه رضي الله تعالى عنهم ، حيث انهم عاشوا مدة مديدة على الشرك (ان الشرك لظلم عظيم) والظالم بنص الآية لا تناله الامامة • قال الآلوسي (غاية ما يلزم أن الظالم في حال الظلم لا تناله ، والامامة إنما نالتهم رضي الله تعالى عنهم في وقت كمال ايمانهم وغاية عدالتهم ، انهم اتصفوا بالتوبة الصادقة ، والعدالة المطلقة والايمان الراسخ ، والامام لا بد ان يكون وقت الامامة كذلك • ومن كفر أو ظلم ثم تاب وأصلح لا يصح ان يطلق عليه انه كفر أو ظالم في لغة وعرف وشرع)[٣٥] •

ورد الآلوسي عليهم في استدلالهم بواقعة الغدير التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) فرجع الى أقوال المحدثين ونقل الواقعة بطرق متعددة ثم بين ان الشيعة أضافوا اليها أشياء نثرا وشعرا مما لم يثبت اصلا • وفصل القول في كلمة (مولى) وانها بمعنى المحبة

---

(٣٣) المصدر السابق ١١/٧١ ، ٧٢ ، ١٥/٩٥ •
(٣٤) المصدر السابق ٢٩/٨ •
(٣٥) المصدر السابق ١/٣٧٧ •

وليست بمعنى (الأولى) كما زعمت الشيعة ، واستند على بعض أقوال الحسن المثنى بن السبط فى ان الرسول لم ينص على خلافة علي ، ولو نصه نقاله صريح[٣٦] • وردهم ايضا فى استدلالهم بالآية الكريمة (انما انت منذر ولكل قومهاد) على أن المقصود ب (هاد) علي كرم الله وجهه[٣٧] •

ومن هذه الردود رده عليهم فى قولهم بالتقية ، وزعمهم أن عليا وبنيه كانوا يتقون بما جاء من أقوال وروايات فى كتبهم كما يأتي :

١ ـ قال علي فى نهج البلاغة (علامة الايمان ايثارك الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك) •

٢ ـ هنالك روايات تاريخية تقول ان عليا رفع صوته على عمر وعارضه •

٣ ـ نقل عن الكليني الشيعي ان الله عز وجل أنزل على نبيه كتابا مع جبريل وصية للنجباء ، وهم علي وبنوه ، أمر فيه بعضهم ان يخرجوا بقومهم الى الشهادة وآخرين بان يحدثوا الناس ويفتوهم وينشروا علوم أهل البيت ، ويصدقوا اباءهم الصالحين ، ولا يخافوا احدا الا الله • ويقول ان هذه الرواية عنهم واضحة ان هؤلاء ليس دينهم التقية كما تزعم الشيعة •

٤ ـ لو كان علي يتقي لما توقف عن بيعة ابي بكر رضي الله تعالى عنه ستة أشهر • واما بالنسبة للانبياء فيرد عليهم بقوله تعالى (الذين يبلغون رسالات الله ، ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله ، وكفى بالله حسيبا) وقوله (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس) •

ومن ردوده القوية عليهم فيما زعموا فى فهم الآية (يوصيكم الله في

---

(٣٦) روح المعانى ١٩٢/٦ ، ١٩٦ •
(٣٧) المصدر السابق ١٠٨/١٣ •

أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) العموم وعدم الاستثناء ، وطعنوا على ذلك أبا بكر الصديق فى عدم توريثه فاطمة لقوله صلى الله عليه وسلم (نحـن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة) بوجهين :ـ

١ ـ الحديث لم يروه غيره ، وبتسليم انه رواه غيره فهو من الآحاد ، ولا يجوز تخصيص الكتاب بخبر الآحاد •

٢ ـ ان مما يدل على كذب الخبر قوله تعالى (وورث سليمان داود) وقوله سبحانه حكاية عن زكريا عليه السلام (هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب) فإن ذلك نص صريح فى أن الانبياء يرثون ويورثون•

أجاب الآلوسي عن الاعتراضين بما يلي :

١ ـ ان الخبر المذكور رواه حذيفة والزبير وأبو الدرداء وأبو هريرة والعباس وعلي وعثمان وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ونقل البخاري ان عمر أشهد أكثر هؤلاء على الحديث فى جماعة فشهدوا •

٢ ـ ان فى كتب الشيعة ما يؤيده فقد روى الكليني فى الكافي عـن جعفر الصادق انه قال (ان العلماء ورثة الانبياء وذلك ان الانبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا وانما ورثوا أحاديث فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ بحظ وافر) وكلمة انما مفيدة للحصر قطعا باعتراف الشـيعة فيعلـم ان الانبيـاء لا يورثون غير العلم والاحاديث •

٣ ـ ثبت الاجماع على ان جماعة من المعصومين عنـد الشـيعة كعلي والحسن والحسين وعلي بن الحسين بن الحسن رضي الله تعالى عنهم عملوا بموجبه ، فان تركة النبي لما وقعت فى ايديهم لم يعطوا منها العباس ولا بنيـه ولا الازواج الطاهرات شيئا ولو كان الميراث جاريا فى تلك التركة لشاركوهم فيها قطعا • وهذه الامور تدل على التواتر •

٤ ـ ولو افترضنا ان الخبر بقى احادا ، فانه فى هذه الحالة يخصص

العموم وعليه الائمة الاربعة ، والشيعة انفسهم خصصوا عمومات فى القرآن باخبار آحاد تفردوا بروايتها مع ان عموم الآيات بخلاف ذلك كعدم وراثة الزوجة من العقار وتخصيص اكبر ابناء الميت من تركته بالسيف والمصحف والخاتم واللباس بدون بدل •

٥ ـ ان ما زعموه من دلالة الآيتين على كذب الخبر فى غاية الوهن لان الوراثة فيهما وراثة العلم والكتاب والكمالات النفسانية • وأطال الالوسي فى هذه النقطة كثيرا ، وردهم بادلة عقلية وتاريخية تثبت استحالة ارادة وراثة المال بين هؤلاء الانبياء •

٦ ـ اجمع أهل الاصول من أهل السنة والشيعة على ان تقسيم الخبر الى المتواتر وغيره بالنسبة الى من لم يشاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم • وسمعوا الخبر بواسطة الرواة ، لا فى حق من شاهد النبي وسمع منه بلا واسطة ، فخبر (نحن معاشر الانبياء لا نورث) عند ابى بكر قطعي ، لانه فى حقه متواتر بل أعلى كعبا منه ، والقطعي يخصص القطعي اتفاقا(٣٨) •

ويدخل الآلوسي فى مناقشات حامية مع الشيعة الامامية فى مسائل فقهية مختلفة عليها بينهم وبين أهل السنة ، وخاصة فى قضية المسح على الارجل فى آية الوضوء • فلقد ذكر اولا القراءتين المتواترتين النصب والجر فى قوله تعالى (وأرجلكم الى الكعبين) ثم نقل آراء العلماء فى توجيه قراءة الجر ، فهي قد جاءت اما على المجاورة كقوله تعالى (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) أو قول العرب (جحر ضب خربٍ) • ثم استشهد بالسنة المروية عن طريق أهل السنةان المراد الغسل لا المسح ، ثم فصل الاستشهاد بما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة عن طريق الشيعة انفسهم بأسانيد صحيحة بحيث لا يمكن تضعيفها ولا الحمل على التقية لأن

---

(٣٨) روح المعانى ٤/٣١٧ ـ ٣٢١ •

المخاطب بذلك شيعي خاص • وانتقل الآلوسي الى تفنيد نسبة الجواز والتمييز بين الامرين لابى العالية وعكرمة الشعبي والحسن البصري والطبري ، وأكد ان رواة الشيعة هم الذين نشروا هذه الاكاذيب المختلفة فتلقفها منهم بعض أهل السنة ممن لم يميزوا بين الصحيح من السقيم من الاخبار بلا تحقق ولا سند • ثم قال لعل محمد بن جرير القائل بالتخيير هو محمد بن جرير بن رستم الشيعي لا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري لان المذكور فى تفسيره هو الغسل فقط لا المسح ولا الجمع والا التخيير • ويستغل الآلوسي مثل هذه المناسبة ليؤكد ان من وقف على أحوال رواتهم لم يعول على خبر من أخبارهم • فأخبار الشيعة عن أهل البيت أو هن من بيوت العنكبوت وهم بيت الكذب على حد تعبيره[٣٩] •

اما ردوده على الصوفية فكثيرة ، فهو مثلا يرد قولهم بتقديم اولياء هذه الامة على الانبياء مجتمعين بما روى عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني (يا معاشر الانبياء الفرق بيننا وبينكم بالالقاب وأوتينا ما لم تؤتوه) وببعض عبارات ابن عربي التي تنطق بذلك يقول الآلوسي (ان التزام هذا القول خرق لاجماع المسلمين ، ومصادم للادلة القطعية على أفضلية الانبياء على سائر الخلق أجمعين ، ويوشك القول به ان يكون كفرا) ويقول ان ما روي عن الشيخ الجيلاني لم يثبت نقله عنه فى كتاب يعول عليه ، وما يعزى الى الشيخ ابن عربي تعارضه عبارات له أخر • ويضيف انه حتى لو صحت هذه العبارات عنهم يجب ان يحمل على انها قيلت فى أثناء فناء هؤلاء الذوات فى الحقيقة المحمدية ، فالقول حينئذ قولها[٤٠] •

ولا يخفى ما في قول الآلوسي من مجانبة للحق ، وحمل الكلام على

---

(٣٩) روح المعانى ٦/٧٣ ـ ٧٨ • ،،/٣٣ • ١٦/٢٤١ • اذا أردت الاطلاع على ردوده الاخرى عليهم فراجع ٥/٦ـ٩ • ٥/٢٤٤ـ٢٤٥ • ٤/١٠ ، ٥ •

(٤٠) المصدر السابق ٣/٢٨ •

ما لا يطيق ، وذهاب مع ما ذهب اليه هؤلاء المتصوفة من أوهام وخيالات سموها الفناء في الحقيقة المحمدية التي دخلت كفلسفة الى المجتمع الاسلامي من الامم التي الهت انبياءها ورسلها[٤١] .

ثم لا أدري لم لا يرفض هذه الاقوال اصلا ، اذ ليست لقائليها صفة العصمة والقداسة الدينية ، من يقول ان كل ما صدر عن هؤلاء صحيح ، عجبا للآلوسي يرفض بعض اقوال ابن عربي ثم يحاول ان يوجه كلامه هنا توجيها غير مقبول عقلا ونقلا .

وعند تفسيره لقوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال (وايا ما كان فليس المراد به ما زعمه بعض الملحدين مما يسمونه بالكشف والشهود وقالوا ان العبد متى حصل له ذلك سقط عنه التكليف بالعبادة وهي ليست الا للمحجوبين ، ولقد مرقوا بذلك من الدين وخرجوا من ربقة الاسلام وجماعة المسلمين)[٤٢] .

والآلوسي حريص على رد زنادقة الصوفية في كل مجال ففي تفسيره لقوله تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) قال : والآية دليل على أن النبوة عطائية ، كما هو المذهب الحق ، ويرد بها ايضا على بعض المتصوفة القائلين بانه لا حاجة للخلق الى ارسال الرسل عليهم السلام قالوا الرسل سوى الله تعالى ، وكل ما سواه سبحانه حجاب عنه جل شأنه ، فالرسل حجاب عنه تعالى وكل ما هو حجاب لا حاجة للخلق اليه ، فالرسل لا حاجة اليهم ، وهذا جهل ظاهر ، ولعمري انه زندقة والحاد وفساده مثل كونه زندقة في الظهور ، ويكفي في ذلك منع الكبرى القائلة بان كل ما سواه سبحانه الخ فان الرسل وسيلة الى الله تعالى والوصول اليه

---

(٤١) هذه هي الصوفية ٧٤ .

(٤٢) روح المعاني ١٤/٨٧ .

عز وجل لا حجاب وهل يقبل ذو عقل أن نائب السلطان فى بلاده حجاب عنه ؟ وهب هذا القائل امكنه الوصول اليه سبحانه بلا واسطة بقوة الرياضة والاستعداد والقابلية ، فلسواد الاعظم الذين لا يمكنهم ما امكنه كيف يصنعون) ثم انتقل الآلوسي الى بيان عقيدة البراهمة فى انكار النبوة فكأنه يشير ضمنا الى ان هؤلاء أخذوا عقيدتهم هذه منهم(٤٣) .

اما المعتزلة فان الآلوسي يناقشهم ويرد عليهم فى كثير من المواطن ، فهو عند تفسيره للآيات يذكر ما قاله مفسروا المعتزلة وفى مقدمتهم الزمخشري فى توجيه الآيات أو ما استدلوا بها على رأي من آرائهم ثم يعقب عليها بالرفض والتفنيد ، ويشير الى ان هؤلاء ما دعاهم الى القول بهاتيك المعاني الا اعتزالهم(٤٤) . وقد مرت بنا من قبل نماذج متعددة فى هذا الموضوع عند معالجتنا لموقفه من المسائل الاعتقادية .

وله ردود اخرى على الجهمية مثلا فى قولهم ان الجنة والنار ستفنيان مستدلين بالآية الكريمة(هو الأول والآخر) فالأول السابق لجميع الاشياء والآخر الباقي بعد فناء هذه الاشياء ، بن الأول يعني لا ابتداء له ، والآخر لا انتهاء له من ذاته(٤٥) . وكذلك رد على أقوال اطلقها بعض المفسرين مثل انكار ابى مسلم خلق حواء من ضلع آدم لانه تعالى قادر على خلقها من تراب ، فاي فائدة فى خلقها ذلك ورد عليه الآلوسي (ان فائدة ذلك سوى الحكمة التي خفيت عنا اظهار أنه سبحانه قادر على أن يخلق حيا من حي لا على سبيل التوالد ، كماانه قادر على أن يخلق حيا من جماد كذلك)(٤٦) .

---

(٤٣) روح المعانى ٩٤/١٤ .
(٤٤) المصدر السابق ٨٩/٦ . انظر ايضا ٤٩/٣ ، ٢٠٥/٣ ، ٢٥٢/٧ .
(٤٥) المصدر السابق ٢٠٥/١ .
(٤٦) المصدر السابق ١٨٢/٤ .

ويرد الآلوسي على الطبيعيين فى انكارهم ان يخرج ماء كثير من الحجر المشار اليه فى قوله تعالى (فاضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) بقوله : ان هؤلاء غاب عنهم ان فى الطبيعة اسرارا منهـا ان حجـر المغناطيس يجذب الحديد ، والحجر الحلاق يحلق الشعر والحجر الباغض للخل ينفر منه • فاذا لم يكن مثل ذلك منكرا عندهم ، فليس يمتنع ان يخلق الله فى حجر آخر قوة فى جذب الماء من تحت الارض ، ويكون خلق تلك عن ضرب العصا أو يحتمل ان يقلب الله تعالى بواسطة قوة اودعهـا الحجر الهواء ماءا بعد ازالة اليبوسة عن أجزائه ، وخلق الرطوبة فيها • والله تعالى على كل شيء قدير[٤٧] •

وردود الآلوسي على النصارى ردود فى غاية الموضوعية والروعة ، فهو فى محاججته لهم لا يستند الا على كتبهم وأقوالهم ، يرتكز عليهـا فى فى تفنيد عقائدهم • ففي قضية الصلب أورد ادلة من الاناجيل الموجودة نختار منها دليلا واحـدا ليكون نموذجا لكيفية رده ومناقشته فقـال (ان ما يدعونه من الصلب اما ان تكون عن طريق رواية الآحاد أو التواتر ، فان قالوا بالآحاد لم تتم بذلك حجة ، اذ الآحاد لم يؤمن عليهم الغفلة والتواطؤ على الكذب • فان قالوا بالتواتر كذبوا الاناجيل التي بين ايديهم لانها تنص على أن بطرسا وحده تبع المسيح حيث أخذوه الى مجلس الكهنة فعرفته فتـاة فحلف انه لا يعرف المسيح فتركوه فذهب ، اذن فتلامذته لم يشهدوا صلبه بشهادة الانجيل • واما اليهود فكانوا احادا ويمكن تواطؤهم على الكذب فيما زعموا من قتل المسيح ليصلوا الى أغراضهم ، فالمخبرون اذن لم يبلغوا درجة التواتر[٤٨] •

---

(٤٧) المصدر السابق ١/٢٧٣ •

(٤٨) روح المعانى ٣/١٧٩ ، ١٨٠ •

وفى الآية الكريمة (ولا تقولوا ثلاثة) استعرض الآلوسي آراء الفرق المسيحية واختلافهم فى طبيعة المسيح وامه كالملكانية والنسطورية واليعقوبية ثم رد أقوالهم قولا قولا ، داخلا معهم فى مناقشات لاهوتية حامية ، ورادا عليهم ردودا منطقية قوية ، فهو يناقشهم فى الاقانيم الثلاثة وماهياتها ، ويبين تناقضهم فى مزاعمهم واضطرابهم فى مقالاتهم وتهافتهم فى توجيهاتهم ، وهو ايضا يناقشهم فى القديم والحديث والجوهر والعرض واختلاط الناسوت باللاهوت وبيان فساد رأيهم وبطلان أقوالهم ، ثم ينتقل الى أقوال بعضهم بانه اله من اله ، ويحاججهم على سقوط ذلك بالأدلة الفلسفية والمنطقية وانقل هنا نموذجين من هذه الردود يدلان على قـدرة الآلوسي فى المحاججة • واطلاعه الواسع على مقالاتهم وهضمها للاهوتهم ، واتقانه لمباحث الفلسفة واستعمال قوانين المنطق قال فى الاول (واما قول بعض اليعقوبية ان الكلمة انقلبت لحما ودما وصار الاله هو المسيح ، فهو اظهر بطلانا مما تقدم وبيـانه من وجهين : الاول انه لو جاز انقلاب الاقنوم لحما ودما مـع اختـلاف حقيقتيهما لجاز انقلاب المستحيل ممكنا والممكن مستحيلا والواجب ممكنا أو ممتنعا والممكن أو الممتنـع واجبـا ولم يبق لأحـد وثوق بشيء من القضايا البديهية ، ولجاز انقلاب الجوهر عرضا والعرض جوهـرا واللحـم والدم اقنوما والاقنوم ذاتا والذات اقنوما والقديم حادثا والحادث قديما ولم يقل به أحد من العقلاء • والثاني انه لو انقلب الاقنوم لحما ودما فاما أن يكون هو عين الدم واللحم الذى كان للمسيح أو زائدا منضما اليه ، والاول ظاهـر الفساد والثاني لم يقولوا به[٤٩] • ويقول بعد مناقشات لهم (واما قولهم ان اللاهوت حل بالناسوت فصار هو هو ، فاما أن يريـدوا به ان اللاهـوت صار عين الناسوت كما يصرح به قولهم هو هو ، فيرجع الى تجويز انقلاب الحقائق وهـو محال كما علمت ، واما أن يريدوا بـه ان اللاهوت اتصف

(٤٩) المصدر السابق ٦/٣٠ •

بالناسوت فهو ايضا محال لما ثبت من امتناع حلول الحادث بالقديم أو ان الناسوت اتصف باللاهوت وهو ايضا محال لامتناع حلول القديم بالحادث[٥٠] . كما ويرد الآلوسي على النصارى في بعض مطاعنهم في الرسول صلى الله عليه وسلم ككثرة زواجه . ويبين جهنهم بمراتب الكمال الانساني ، وحكمة زواجه صلى الله عليه وسلم بأكثر من واحدة[٥١] .

وفي اعتقادي ان ردود الآلوسي على النصارى نفيسة جدا ، ينبغي الرجوع اليها عند التعرض لمناقشة عقائد النصارى من قبل الباحثين المختصين.

ب ـ الآراء التي انفرد بها :

المتأمل في تفسير الآلوسي يجد شخصيته فيه واضحة ، فهو يعرض توجيهاته الخاصة ، وآرائه الذاتية ، كلما حشد الآراء ودخل في مناقشات مع أصحابها ، أو كلما تألق بريق فكرة الثاقب ، وهو يفسر آية من الآيات ، وسنعرض هنا مجموعة من آرائه في مختلف الموضوعات يمكن أن تنير طريقنا في معرفة عقليته ، وشخصيته العلمية ، وتحدد لنا مكانته بين المفسرين . وتثبت لنا أن الآلوسي لم يكن جامعا للآراء وانما كان مفسرا كبيرا آتاه الله موهبة في الاستنباط ، وذوقا في فهم المعاني .

١ ـ في قوله تعالى (واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء تساءل المفسرون عن سبب تأخير انزال الماء من السماء عن الفلك التي تجري في البحر مع كونه أعم منها نفعا . وقيل ان المقصود الاستدلال بالبحر وليس الفلك والكلام في الحقيقة على العجائب التي في البحر ، فذكر الفلك ذكر لجميعها ، فتقديمه

---

(٥٠) المصدر السابق ٣١/٦ .
(٥١) المصدر السابق ٦٤/٢٢ .

على المطر والسحاب لأنه منشأ لهما . وهذا التفسير عند الآلوسي هو قلب للنظم القرآني بغير داع اليه ، اذ النتيجة تؤول الى تقدير (والبحر الذى تجري فيه الفلك بما ينفع الناس) ووجه الترتيب فى رأي الآلوسي شيئان اولهما انه سبحانه وتعالى ذكر اولا خلق أمرين علوي وسفلي ، واختلاف شيئين بمدخلية أمرين سماوي وارضي . وثانيهما أن الليل والنهار كل منهما سابح فى لجة الفلك الدوار المسخر بالجريان فيه ذهابا وايابا ، والفلك تجري فى البحر وتسبح بين امواجه سائرة على قانون كثافة الماء والتعقيب بعد ذلك بما يشترك فيه العالم العلوى والعالم السفلي وفى ذلك النفع العام(٥٢) .

٢ ـ قال تعالى (وانزل التوراة والأنجيل من قبل) قالوا والتصريح به مع ظهور الأمر للمبالغة فى البيان . اما الآلوسي فيقول : وأنا أقول التصريح به للرمز الى ان انزالهما متضمن للارهاص لبعثته صلى الله عليه وسلم حيث قيد الانزال المقيد بمن قبل قوله تعالى (هدى للناس) أى هداية لهم الى الحق ومن جملته الايمان به صلى الله عليه وسلم(٥٣) .

٣ ـ قال تعالى (فمستقر ومستودع) قال الآلوسي بعد أن عرض رأي المفسرين (وأنا أقول لعل حمل المستودع على الصلب باعتبار ان الله تعالى بعد أن اخرج من بني آدم عليه السلام من ظهورهم ذريتهم يوم الميثاق واشهدهم على انفسهم وكان ما كان ردهم الى ما اخرجهم منه فكأنهم وديعة هناك تخرج حين يشاء الله تعالى ذلك(٥٤) .

٤ ـ قال تعالى على لسان موسى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فأغفر لنا وأرحمنا

(٥٢) روح المعانى ٢/٣١ـ٣٢ .
(٥٣) المصدر السابق ٣/٧٧ .
(٥٤) المصدر السابق ٧/٢٣٦ .

وأنت خير الراحمين ، واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي أصيب بها من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) المفسرون على ان الله تعالى لم يستجب لموسى سؤاله فى قومه ، وانه علق الرحمة بثباتهم على الايمان وعدم دوامهم على ما هم عليه من ذميم الافعال ، وان عذاب الله تابع لمشيئته فان هم عرضوا انفسهم لهذه المشيئة لم ينفعهم دعاؤه ، ويقول الآلوسي (ولا يفهم من كلامه انه طلب للقوم كيف كانوا وفى أي حالة وجدوا وعلى أى طريقة سلكوا فان ذلك مما لا يكاد يقع ممن له ادنى معرفة بربه ، فضلا عن مثله عليه السلام ، وانما هذا الطلب من حيث انهم تائبون راجعون اليه عز شأنه . ولا يبعد ان يقال باستجابة دعائه ، بل هو أمر مقطوع بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم ، وكيف يشك فى انه غفر له ورحمه وأوتى خير الدارين وهو هو ، واما بالنسبة الى قومه فالظاهر أن التائب منهم أوتي خير الآخرة ، لأن هذه التوبة ان كانت هي التوبة بالقتل فقد جاء عن الزهري ان الله تعالى اوحى الى موسى بعد أن كان ما كان ما يحزنك ؟ اما من قتل منكم فحي يرزق عندي واما من بقى فقد قبلت توبته فسر بذلك موسى وبنو اسرائيل ، وان كانت غيرها فمن المعلوم أن التوبة تقبل بمقتضى الوعد المحتوم ، وخير من قبلت توبته فى الآخرة كثير ، واما حاضر الدنيا فقد نطقت الآيات بأن القوم غرقى فيه ، ويكفي فى ذلك قوله تعالى (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين) وبعد ذلك قال الآلوسي (وحينئذ يمكن أن يقال فى توجيه الجواب أنه سبحانه وتعالى أجاب طلبته بأسلوب عجيب وطريق بديع غريب فقال سبحانه له (عذابي) أى الذى تخشى أن تصيب بعض نباله التي أرميها بيد جلالي عن قسي ارادتي من دعوت له اصيب به من أشاء فلا يتعين قومك الذين تخشى عليهم ما تخشى لأن يكون غرضنا له بعد أن تابوا من الذنب وتركوا فعله

« (ورحمتي وسعت كل شيء) انسانا كان أو غيره مطيعا كان أو غيره ، فما من شيء الا وهو داخل فيها سابح فى تيارها أو سابح فى فيافيها بل ما من معذب الا ويرشح عليه ما يرشح منها ولا أقل من اني لم أعذبه بأشد مما هو فيه مع قدرتي عليه ، فطب نفسا وقر عينا فدخول قومك فى رحمة وسعت كل شيء ولم تضق عن شيء أمر لاشك فيه ولا شبهة تعتريه كيف وهادوا الي ووفدوا علي ، أفترى اني اضيق الواسع عليهم ، وأوجه نبال الخيبة اليهم ، وأردهم بخفي حنين ، فيرجع كل منهم صفر الكفين ، لا أراني افعل بل اني سأرحمهم واذهب عنهم ما اهمهم واكتب الحظ الأوفر من رحمتي لاخلافهم الذين يأتون آخر الزمان ويتصفون بما يرضيني ويقدمون باعباء ما يراد منهم والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (فسأكتبها للذين يتقون) وهو اتباعهم الرسول الامي الذين يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل [٥٥].

٥ ـ قال تعالى (اولم يروا من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله) العلماء لهم كلام طويل فى افراد اليمين وجمع الشمائل ، فلقد ذكر بعضهم ان العرب اذ ذكرت صيغتي جمع عبرت عن احداهما بلفظ المفرد كقوله تعالى (جعل الظلمات والنور) وقيل اذا فسرنا اليمين بالمشرق كان النقطة التي هي مشرق الشمس واحدة بعينها فكانت اليمين واحدة ، واما الشمائل فهي عبارة عن الانحرافات الواقعة فى تلك الأظلال بعد وقوعها على الارض وهي كثيرة فلذلك عبر عنها بصيغة الجمع وقيل اليمين مفرد لفظا لكنه جمع معنى فيطابق الشمائل من حيث المعنى ، وقيل جمع الشمال لان غالبية المعمورة شمالى الى غير ذلك من الاقوال [٥٦] • وبعد عرض هذه الآراء قال « ويخطر لى وجه آخر فى الافراد والجمع مبني على أن المراد باليمين

---

(٥٥) روح المعانى ٩/٧٦ ـ ٧٨ •

(٥٦) روح المعانى ١٤/١٥٥ ـ ١٥٦ •

جهة المشرق وبالشمال جهة المغرب ، وهو انه لما كانت الجهة الاولى مطلع النور والجهة الثانية مغربه ، ومظهر الظلمة ، افرد ما يدل على الجهة الاولى كما افرد (النور) فى كل القرآن ، وجمع ما يدل على الجهة كما جمع الظلمة كذلك[٥٧] . ولا يدعى الآلوسى ان رأيه هذا هو الصواب اذ يقول (وبعد لمسلك الذهن اتساع فتأمل فلعل ما ذكرته لايرضيك) .

٦ - قال تعالى (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر ، فاردت ان اعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ، واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا . فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما ، واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما صالحا فأراد ربك ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا) وقيل فى وجه تغاير الاسلوب الاول شر فلا يجوز اسناده اليه سبحانه وان كان هو الفاعل جلا وعلا ، والثانى ممتزج خيره وشره فاسند الى الله تعالى والى نفسه ، وقيل انه تفنن فى التعبير فحسب وقيل اسناد الاول الى نفسه من باب الأدب مع الله ، لان الاعابة لاتسند الى الله . واما اسناد الثانى الى - نا - فالظاهر انه من باب خواص الملك امرنا بكذا ، وانما يعنون أمر الملك العظيم وقيل اختلاف الاسلوب لاختلاف حال العارف بالله سبحانه ، فانه فى ابتداء امره يرى نفسه مؤثرة فلذا اسند الأرادة اولا الى نفسه ، ثم يتنبه الى انه لايستقل بدون الله تعالى ، ثم يرى انه لا دخل له فى الأمر وانما المؤثر هو الله تعالى . ثم عرض الآلوسى رأيه فقال (والذى يخطر ببال العبد الفقير انه روعى فى الجواب حال الاعتراض وما تضمنه واشار اليه ، فلما كان الاعتراض الأول بناء على ان لام (لتغرق) للتعليل متضمنا اسناد ارادة

---

(٥٧) المصدر السابق ١٥٦/١٤ .

الاغراق الى الخضر عليه السلام ، وكان الانكار فيه دون الانكار فيما يليه بناء على ما اختاره المحققون من أن (نكرا) ابلغ من (امرا) ناسب ان يشرح باسناد ارادة التعيب الى نفسه المشير الى نفى ارادة الاغراق عنها التى يشير كلام موسى عليه السلام اليها • وان لا يأتى بما يدل على التعظيم أو ضم أحد معه فى الأرادة لعدم تعظيم امر الانكار المحوج لان يقابل بما يدل على تعظيم ارادة خلاف ما حسبه عليه السلام وانكره •

ولما كان الاعتراض الثانى فى غاية المبالغة والانكار هناك ناسب ان يشير الى ان ما اعترض عليه وبولغ فى انكاره قد اريد به أمر عظيم ولو لم يقع لم يؤمن من وقوع خطب جسيم ، فلذا اسند الخشية والارادة الى ضمير المعظم نفسه أو المتكلم ومعه غيره ، فان فى اسناد الارادة الى ذلك تعظيما لامرها وفى تعظيمه تعظيم لامر المراد ، وكذا فى اسناد الخشية الى ذلك تعظيم أمرها وفى تعظيمه تعظيم امر المخشى ، ولما كان الاعتراض الثالث هينا جدا حيث كان بلفظ لا تصلب فيه ولا ازعاج فى ظاهره وخافيه ، ومع هذا لم يكن على نفس الفعل بل على عدم أخذ الاجرة عليه ليستعان بها على أقامة جدار البدن وازالة ما اصابه من الوهن ، فناسب ان يلين فى جوابه المقام ولا ينسب لنفسه استقلالا أو مشاركة شيئا ما من الافعال ، فلذا اسند الارادة الى الرب سبحانه ، ولم يكتف بذلك حتى اضافه الى ضميره عليه السلام(٥٨) •

٧ ـ جاءت الاخبار المروية من ائمة الحديث بطرق متعددة عن ابى ذر انه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم عند غروب الشمس فقال يا اباذر أتدرى أين تذهب هذه الشمس؟ فقال الله تعالى ورسوله اعلم قال هذه تجرى حتى تنتهى الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة • فيقف الآلوسى هنا ليحكم ان ظاهر النصوص تخالف ظاهر المعقول من حيث الأدلة قائمة

---

(٥٨) روح المعانى ١٦/١٥ ـ ١٧ •

على انها لا تسكن عند غروبها ، ويقول إنه سأل كثيرا من علماء عصره عن ذلك فلم يفز منهم بما يروى الغليل ثم يعرض رأيه محاولا التوفيق بين المنقول والمعقول ، ولكن بكثير من التكلف فيقول (والذى يخطر بالبال فى حل ذلك الاشكال والله تعالى اعلم بحقيقية الحال ان الشمس وكذا سائر الكواكب مدركة عاقلة كما ينبيء عن ذلك قوله تعالى الآتي (كل فى فلك يسبحون) حيث جيء بالفعل مسندا الى ضمير جمع العقلاء وقوله تعالى انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) لنحو ما ذكر يدل ، وعليه ظاهر ما روى عن ابى ذر من انها تسجد وتستأذن . فان المتبادر من الاستئذان ما يكون بلسان القال دون لسان الحال) ويقول الآلوسى متأثرا بآراء الحكماء والصوفية (فيمكن ان يقال ان للشمس نفسا مثل تلك الانفس القدسية وانها تنسلخ عن الجرم المشاهد المعروف مع بقاء نوع من التعلق لها به ، فتعرج الى العرش فتسجد تحته بلا واسطة . وتستقر هناك وتستأذن ، ولا ينافى ذلك سير هذا الجرم المعروف وعدم سكونه[٥٩] .

٨ ـ قل تعالى (والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا) الصافات ، قالوا الملائكة القائمات صفوفا للعبادة أو الصافات اقدامها للصلاة . وقيل المراد بالصافات الطير والزاجرات ايضا الملائكة ، وقيل هى آيات القرآن لتضمنها النواهى الشرعية ، وقيل كل ما زجر عن معاصى الله عزوجل . التاليات ذكرا الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن ، وفسره بعضهم بالآيات والمعارف الآلهية وقيل آيات الله وكتبه المنزلة . وقال قتادة بنو آدم يتلون كتابه تعالى المنزل . وجوز ان يكون الله تعالى اقسم بنفوس العلماء العمال الصافات انفسها فى صفوف الجماعات أو بطوائف قواد الغزاة فى سبيل الله تعالى التى تصف الصفوف فى مواطن الحروب . وجوز ان يكون أقسم

---

(٥٩) المصدر السابق ٢٣/١٢ ـ ١٤ .

سبحانه بطوائف الاجرام الفلكية المرتبة كالصفوف المرصوفة بعضها فوق بعض • قال الآلوسى ويجوز عندى والله تعالى اعلم أن يراد بالصافـات المصطفون للعبادة من صلاة ومحاربة كفره مثلا ، ملائكة كانوا ام اناسى أم غيرهما وبالزاجرات الزاجرون عن ارتكاب المعاصى باقوالهم أو بافعالهم كائنين من كانوا وبالتاليات ذكرا التالون لآيات الله تعالى على الغير للتعليم أو نحوه • ولا عناد بين هذه الصفات ، فتجتمع فى بعض الاشخاص • ولعل الترتيب على سبيل الترقى باعتبار نفس الصفات فالاصطفاف للعبادة كمال والزجر عن ارتكاب المعاصى اكمل والتلاوة لآيات الله تعالى للتعليم لتضمنه الأمر بالطاعات والنهى عن المعاصى والتخلى عن الرذائل والتحلى بالمعارف الى امور اخرى اكمل واكمل • وجعل الصفات المذكورة لموصوف واحد من الملائكة على ما مر بان تكون جماعات منهم صافات انفسها فى سلك الصفوف بالقيام فى مقاماتها المعلومة أو القائمات صفوفا للعبادة • والتاليات ذكرا بمنى تاليات الآيات بطريق الوحي على الانبياء عليهم السلام لا يخلو عن بعد فيما ارى ، على ان تعدد الملائكة التالين للوحي سواء كان صنفا مستقلا ام لا مما يشكل عليه ما ذكره غير واحد أن الأمين على الوحى التالى للذكر على الانبياء هو جبريل عليه السلام لاغير •



الفصل الرابع

مكانــة تفســيره

١ ـ آراء العلماء فيــه ٠

٢ ـ منزلته بين كتب التفسير الاخرى المشهورة ٠

٣ ـ تأثيره فيمن جاء بعده من المفسرين ٠

٤ ـ ما له وما عليه ٠

١ ـ آراء العلماء فيه :

لم يكن تفسير الآلوسى اعتياديا ككثير من التفاسير ، وانما كان يعبر عن حاجة عصره الى تفسير جديد يلم شتات التفاسير ، ويعالج بعض المسائل التى استحدثت فى العالم الاسلامى ويوجه نص القرآن الكريم الى محـــاربـة الفلسفات الدخيلة ، والاوضاع الاجتماعية الفاسدة •

يقول الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور فى كتابه ـ التفسير ورجاله ـ عند بيان الأسباب التى دفعت الآلوسى الى تأليف هذا التفسير فيقول (اننـا اذا نظرنا الى التفاسير التى كانت تروج فى العالم الاسلامى فى ذلك القـــرن وجدناها ثلاثة اصناف ، الصنف الاول منها التفاسير العلمية السنية مثل تفسير البيضاوى وتفسير ابى السعود ، وهى مصوغة فى قالب التحرير المدقق الذى يتطلب بيان المراجع ، وبسط المقاصد ، بطريقة تجعل الدروس الطويلة ، مركزة على الكلمات القليلة ، وتبرز البحوث والتقارير فى صورة التعاليق والحواشى • والصنف الثانى من التفاسير التى كانت رائجة فى عصر الآلوسى ، التفاسير العلمية الشيعية ، وهى على منهج التفاسير الا ان اسلوبها مبنى عـلى الافاضة والبسط والافصاح مثل تفسير الطوسى وتفسير القمى وتفســير الطبرسى ، وهى فى اسلوبها اقرب الى اسلوب الفخر الرازى ، ومع ما اشتملت عليه ، من ايضاح علمى وبحث نظرى ، فانها قد اشتملت على ما لا تقـــره المذاهب غير الشيعية وخاصة ما يرجع الى المحامل الباطنية لمعانى الآيات • والصنف الثالث من التفاسير الرائجة قبل تفسير الآلوسى : صنف التفاسير الصوفية • التى تعتمد على أذواق غير متقيدة بالطرائق العلمية ، ولا محكمة الاستخراج على قواعد اللغة وعلومها • واكثرها تداولا يومئذ بين ايـــدى الناس احدثها ظهورا ، واقربها الى مسايرة الطريقة العلمية : وهو تفســير العالم التركى الشيخ اسماعيل حقى من اهل القرن الثانى عشر • فكـــان الملاحظ ان الصنف الاول من هذه الاصناف الثلاثة وهو صنف التفاســير

العلمية السنية ، لم يكن له مرجع كاف واف يقوم بنفسه متكفلا ببسط البحوث والانظار ، وابراز المعانى ، وتحليل مآخذها ، الا بالجمع بين الاصول وحواشيها ، وضم الحديث من ذلك الى القديم . فكانت تلك الثغرة هي التي تلفت نظر من يريد ان يبدى فى تفسير القرآن شيئا جديدا ذا بال كما اراد الآلوسى ، لاسيما وان الاذواق فى ذلك العصر قد كانت متشربة روح المناهج الصوفية والافكار العلمية كانت قد تقبلت شيئا كثيرا من منازع الصوفية وانظارهم ، فراقت بذلك التفاسير المشتملة على المحامل الباطنية والمنازع الذوقية بما جعل تفاسير الصنف الثانى وهى التفاسير الشيعية والصنف الثالث وهى التفاسير الصوفية تجد لها من كيفيات النفوس والافكار مساغا لاتجده تفاسير الصنف الأول ، وهى التفاسير العلمية السنية ، على ما فيها من صعوبة تحول بين الناس وبين مطالعتها بغير دراسة وجهد)[1] .

واضيف ان خطر انتشار المذهب الشيعى فى العراق وميل الشيعة الى مناصرة الدولة الايرانية حاملة لواء مذهبها ومقاومة الدولة العثمانية ، حاملة لواء المذهب السنى أدى بالآلوسى الى التفكير الجدى فى تأليف هذا التفسير الذى قارع فيه الحجة بالحجة . وفند عقائد الشيعة ، وردهم فى المسائل التى اثاروها فى التاريخ الاسلامى ، ومطاعنهم فى الصحابة الكرام . ولقد بينا موقفه منهم من قبل ، ووجدنا كيف ان مباحثه فى هذه الردود يمكن ان تكون بحثا مستقلا فى ذاته .

ان استقبال العالم السنى فى ذلك الوقت لهذا التفسير كان انسجاما طبيعيا مع كتاب عبر عن مستوى تفكيرهم ، وجدد لهم دارس ثقافتهم ، وقارع حجج مخالفيهم ، وناصر اسس دولتهم فما ان طلع هذا الكتاب الا وتلقاه العلماء بالقبول ، ورحبوا به اعظم الترحيب ، فوضعوه بين التفاسير

---

(١) ص ١٤٥ ـ ١٤٧ .

المشهورة ، واطروا كثيرا في مدحه وتقريظه ، ورضوا عن طريقة مؤلفه ، واعترفوا بتعمقه في العلوم التي يحتاج الى معرفتها المفسر المعتبر • فممن كتب عنه وقرظه العلامة محمد سعيد افندى المفتى السابق الذى وصفه بدائـــرة معارف للعلوم والعلامة محمد افندى الطبقجلى الذى اعتبره خاتما للتفاسير ، والعلامة محمد امين افندى واعظ الحضرة القادرية الذى وصفه بجامع ما تفرق في كتب شتى • والعالم الشاعر محمد افندى العمرى الذى اعتبره مجددا لما درس من آثار العصام والرازي وابى السعود ، والسيد كاظم الرشتي الذى وصفه بانه لم ينسج ناسج على منواله ، والعلامة عبد الغفور افندى الذى وصفه بانه لا يغادر كبيرة ولا صغيرة الا احصاها • والعلامة محمد أفندي بن حسين آل عبداللطيف الراوى الذى وصفه بانه أجاد بالمسائل لكل سائل • والشاعر عبدالغفار الاخرس الذى وصفه بانه الآية الكبرى على اطـــلاع صاحبه وعلو شأنه في العلوم وارتفاعه • والعلامة محمد فيضى الزهـــاوى مفتي العراق الذى وصفه بقصيدة مشهورة قال فيها •

لئن كان في التفسير قصدا مؤلفا   فقد حققت فيه العلوم كما يحرى

ولقد حاز تفسير الآلوسى على اعجاب المتأخرين كما حاز على رضـــا وتقدير المعاصرين • فقد مر بنا في وصف المجلد الاول المخطوط كيف انه لما وصل الى مصر نال استحسان العلماء • فهذا الشيخ الازهرى يوسف النابلسى الحنبلى يقدمه الى المصريين • ويدعوهم الى طبعه لجلالة قدره ، ودقة ما فيه ، وهذا الشيخ محمد الاشمونى يقرظه فيقول (وبعد فهـذا كتاب جليل في بابه ، عديم المثيل • وقد شهدت له الافاضل ، واذعنت جميعا بانه الفاضل) [٢] •

أما السيد رشيد رضا ، فقد اعتبره من اجل التفاسير ، وهو أحـــد

---

(٢) روح المعانى ١/١ المقدمة •

مصادر تفسيره المشهور بـ (المنار) يستشهد به ناقدا ومعجبا ، واعتبر صاحبه عقلية كبيرة ، وعالما ذكيا وسنبسط هذا بالتفصيل عند الكلام عن اثر روح المعاني فى التفاسير التى جاءت بعده • وللدراسين المحدثين للتفاسير وعلوم القرآن آراؤهم فى هذا التفسير ، يجمع كلها على الاعتراف بمكانته الممتازة بين كتب التفاسير الجيدة • ويقول الشيخ العلامة قاسم القيسى مفتى بغداد (ت ١٩٥٥م) فى كتابه (تاريخ التفسير) ما نصه (واما تفسير العلامة محمود شهاب الدين ابى الثناء الآلوسى المسمى بروح المعاني ، فليس لـه فى الجمع والتحقيق ثاني، اشتمل على تسعة مجلدات ضخام حوت من الدقائق والحقائق ما لايسع شرحه كلام ، وهو خال عن الاباطيل والاسرائيليات ، والروايات الواهية والخرافات ، وجامع للمعقول والمنقول بتفصيل وسط مقبول)[٣] • ويقول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى صاحب كتاب (مناهل العرفان فى علوم القرآن) ما نصه فى تفسير الآلوسى (وهذا التفسير من أجل التفاسير واوسعها واجمعها ، نظم فيه روايات السلف بجانب آراء الخلف المعقولة ، والف فيه بين ما يفهم بطريق العبارة وما يفهم بطريق الاشارة)[٤] • ويقول الشيخ محمد حسين الذهبى فى كتابه (التفسير والمفسرون) فى هذا التفسير ما نصه (وجملة القول فروح المعانى للعلامة الآلوسى ليس الا موسوعة تفسيرية قيمة ، جمعت جل ما قاله علماء التفسير الذين تقدموا عليه ، مع النقد الحر ، والترجيح الذى يعتمد على قوة الذهن ، وصفاء القريحة ، وهو وان كان يستطرد الى نواح علمية مختلفة ، مع توسع يكاد يخرجه عن مهمته كمفسر الا انه متزن فى كل ما يتكلم فيه ، مما يشهد له بغزارة العلم على اختلاف نواحيه ، وشمول الاحاطة بكل ما يتكلم فيه)[٤] ويقول الشيخ ابن عاشور فيه وفى منهجه بعد كلامه على ثقافة صاحبه ما نصه (فبهذه

---

(٣) ص ١٤٤ •
(٤) ص ٥٥٢ •

الثروة الواسعة من المعارف ، وبالاسلوب الجامع بينها فى الدراسة على الطريقة العثمانية الجديدة التى كانت قوام البيئة العلمية فى بغداد ، تقدم الشيخ محمود الآلوسى لتحرير تفسيره الذى جاء فى تسعة مجلدات ضخمة تتألف من اكثر من خمسة الاف صفحة مطبوعة من القالب الكبير ، فسلك فيه مسلك التفسير اللغوى ، يهتم اولا ببيان موقع المفرد او المركب من جملة الكلام ، معتمدا على قواعد الاعراب ، واستعمالات البلاغة ، معتصما بانسجام المعانى ، وتسلسل الاغراض ، ويخطط بذلك منهجه لاستخراج المعنى المراد ، معتمدا على الشواهد ، الا انه يغرق اغراقا قد يسرف فيه فى مسائل الاشتقاق حتى يتجاوز محل البيان الى القواعد والمباحث • ومن البحث اللغوي ينتقل الىٰ المفاد معتمدا على الاحاديث وأسباب النزول متحريا فى ذلك اكثر من الزمخشرى والبيضاوى ، فلا يزال يتجنب الاخبار الواهية ، ويحرص على الاسناد المعتد به ، وربما بنى بحوثه مع صاحب الكشاف على الاستناد الى نقد الاسانيد ، وفى تحصيل المفاد القرآنى يحرص على ايراد الانظار الاصلية والفرعية فيناقش الاستدلالات ، ويتعقب الاقوال ، ويعتمد على مقابلة الرأى بالرأى ، ممسكا فى الغالب بما فى تفسير الطبرسى من محامل غير سنية ليناقشها بقواعد الاصول ومقتضيات التراكيب البلاغية وآخذا على الامام فخر الدين الرازى تمسكه بنصرة مذهب الشافعى ، فيناقش كلامه بما للفقهاء والاصوليين من الحنفية فى تلك المسائل من انظار فى رد حجج الشافعية ، ومناقضتها أو متجنبا طريقة الرازى فى ترجيح مذهب الاشعرى ، آخذا بترجيح مذهب السلف • وهو فى كل هذه المباحث يجرى فى مجال واسع من الانظار والمعارف ، حتى انه كثيرا ما ينشد الشعر الفارسى من مثنوى جلال الدين الرومى أو من ديوان المولى جامى ، وكثيرا ما يخوض المباحث الفلسفية أو الرياضية او الطبيعية لمناقضة المذاهب غير الاسلامية ، معتمدا فى

---

(٥) ١/٣٦١ •

ذلك على أحدث ما انتهت اليه المعارف فى بيئته ، ونازعا المنازع العجيبة فى الاستلالال) (٦) .

٢ ـ منزلته بين كتب التفسير الاخرى المشهورة :

لتفسير الآلوسى منزلة عظيمة بين كتب التفسير المشهورة التي تمثل مدارس التفسير المختلفة ، ولا يمكن الاستغناء عنه ، عند دراسة تفسير القرآنالكريم وتطوره ، سواء من حيث المادة التي يحتوى عليها أو من حيث المرحلة التاريخية التى يمثلها فى تاريخ التفسير .

وانى مقتنع تماما استنادا على قراءتى لهذا التفسير بكامله ، وقراءتى لتفسير آيات أو سور من التفاسير الاخرى كتفسير الطبرى والزمخشرى وابى حيان والرازى والقرطبى وابن كثير والطبرسى وابى السعود وغيرهم، وكذلك مستنيرا بدراسات معينة كتبت حول اكثر التفاسير المذكورة ، ان تفسير الآلوسى هو من اعظم التفاسير قدرا ، واغزرها علما ، واكثرها فائدة، اذا لم أقل انه اعظم تفسير الى حد زمانه ، وذلك للاسباب الآتية :ـ

١ ـ ان تفسير الآلوسى جمع لنا المادة الاساسية المهمة من جميع التفاسير المتقدمة ، ومن كتب التراث الاسلامي المتنوعة ، بحيث لا يمكن فى اغلب الاحيان للباحث ان يطلع عليها جميعها ، والاطلاع عليها عند فرض وجود هذه التفاسير كلها فى متناول يده ، يضيع عليه وقتا طويلا فى تفسير آية واحدة . فيقرأ عشرات الصفحات بل مئاتها فى سبيل الحصول على المراد ، بينما عن طريق هذا التفسير يستطيع ان يقع على ما يريد بمدة وجيزة ، لما يتمتع به من موسوعية تسهل على القارىء كثيرا من المشاق ، ونحن فىهذا العصر احوج ما نكون الى مثل هذهالمؤلفات الموسوعية الجامعة فى مختلف انواع العلوم والآداب والفنون .

---

(٦) التفسير ورجاله ١٥٣ .

٢ ـ ان الآلوسى لا ينقل الآراء فقط ، وانما ينصب نفسه حكما عدلا الى حد كبير بين الآراء مناقشا ومنفذا ومرجحا ، فيتيح الفرصة للقارىء ان يميز الحق من الباطل فى كثير من القضايا تساعده فى ذلك شخصيته التي تكون مستقلة فى كل شىء • وهذا الاستقلال فى رأيى يعطي لتفسيره قيمة علمية كبيرة •

٣ ـ ان الآلوسى فى تفسيره صاحب عقلية متنورة ، فهو يرفض الاخبار السقيمة والقصص الاسرائيلية والآراء الضعيفة ، ومع تمسكه الشديد برأى السلف الا انه يستعمل عقله فى سبيل الوصول الى الحق •

٤ ـ ان الآلوسى استفاد من التطور العلمي الذى وصل اليه زمانه فى تفسير الآيات الكونية بصورة خاصة ، وهذه ميزة تعطى لتفسيره مكانة خاصة بين كتب التفسير القديمة •

٥ ـ ان الآلوسى الى حد ما يظهر بمظهر المصلح فى تفسيره ، بجانب كونه مفسرا فقط ، أى انه بدأ يفكر فى الاعتماد على القرآن الكريم ، والسنة النبوية فى معالجة التخلف فى العالم الاسلامى عقيديا وسياسيا واجتماعيا وعلميا • وهذا الاتجاه يعطى لتفسيره ايضا مكانة محترمة ، باعتبار ان التفسير يجب ان لا يكون لأجل التفسير ، وانما لأجل خدمة المجتمع الانسانى الذى نزل القرآن الكريم من اجل اصلاحه وتنظيفه ، وتوجيه طاقاته الى بناء المادة والروح • وعلى الرغم أن ظروف زمانه لم تسمح له بالأفصاح فى كل شىء الا انه يلمح فى كثير من المواطن ، واللبيب يفهم الاشارة[٧] •

٣ ـ تاثيره فيمن جاء بعده من المفسرين :

التأثير فى نظرى تأثيران فى مثل هذا المجال ، فكاتب معين ـ مثلا ـ

---

(٧) روح المعانى • انظر على سبيل المثال ١٧٧/٨ ، ٤٣/٩ ، ٢٥/١٠ ، ٧٩/١٠ •

يؤثر فيمن يأتون بعده تأثيرا واضحا ، ويوجههم توجيها قويا ، بل يسيطر احيانا سيطرة كبيرة ، بحيث يكون لنفسه منهم مدرسة واضحة المعالم ، محددة الاتجاهات ، فلا يتصدون لشيء الا وينطلقون من أسس مدرستهم ، ولا يتحركون الا في حدود اطارها العام • وكاتب آخر يقتصر تأثيره على الجزئيات ويمهد الطريق للآخرين ، فلا يكون مدرسة ، ولا ينشأ طريقة ، وانما يقتصر الذين يأتون بعده ، على الاعجاب ببعض آرائه ، والاقتباس منها ومناقشة البعض الآخر • وقد يدخل في ذلك أن يكون كتاب ذلك الكاتب مصدرا من المصادر الكثيرة للذين يبحثون في الموضوع نفسه ، وبالمعنى الاول أؤكد أن الآلوسي لم يؤثر فيمن جاء بعده من المفسرين • ولم يكون مدرسة نستطيع ان نسميها بمدرسة الآلوسي ، وانما اقتصر تأثيره على النوع الثاني وهو التأثير الجزئي الذي ينصب على الاعجاب بغزارة علمه ، والشهادة بجودة تفسيره والاقتباس منه ، ونقل بعض آرائه وأفكاره تقوية لرأي صاحب التفسير الذي ينقل عنه[8] •

وقد يتساءل القاريء فيقول لم يؤثر هذا التفسير العظيم التأثير الاقوى ؟ ولم لم يكون مدرسة تفسيرية معينة ؟ والجواب على ذلك أن المجتمع الاسلامي في زمن الآلوسي كان قد بلغ الغاية القصوى في التأخر الحضاري، وبدأت طلائع المستعمرين تغزو بلاد الاسلام وتحاول احتلالها واخضاعها ، الامر الذي تنبه اليه المسلمون ، فبدأوا يستيقظون على أصوات طلقات مدافعهم ليجدوا أنفسهم بعيدين عن الاسلام الحق ، متأخرين حضاريا يفتك بهم الجوع والجهل والمرض ، فكان لا بد لهم أن يستيقظوا ، وكان لا بد لهم ان ينطلقوا بقوة في جميع مجالات الحياة ، وكان لا بد لهذه الحركة الجديدة من أساس قوي ينطلقون منه ، ويبنون عليه ، فلم يجدوا هذا الاساس الا في

---

(٨) تفسير المراغي ٥/٢٤ • حيث يقوى رأيه في انكار الاستغاثة وبعض بدع المتصوفة برأى الآلوسي في هذا الباب •

القرآن الكريم ، ولكنهم رأوا انهم لا يفهمون قرآنهم لان المسائل النحوية والبلاغية والفقهية الخلافية والكلامية الجدلية قد حجبت نوره عنهم ، وحالت بينهم وبين فهم مراد الله ، ومنعتهم من أن يستخرجوا منه السنن الاجتماعية ، ويستنبطوا منه النظم الحيوية . فكان لا بد من تفسير جديد ينفخ الحيــاة فى المسلمين ، ويدفعهم الى حركة مقاومة قوية لعوامل التخلف والانحطاط فى الداخل والخارج . اجل كان لا بد من تفسير جديد حقيقي لكتاب الله ينقذ القرآن الكريم من الاغلفة اللغوية والكلامية ، كي يرى المسلمون أنفسهم وجها لوجه امام خطاب الله ، ومواعظه ، وسننه ، فيصلحوا مـن حياتهم ، ويرفعوا من انحطاطهم ، ويستعيدوا حضارتهم ، ويهيئوا صفوفهم لجهـاد المستعمر المحتل ، والقضاء على عوامل التدهور المخيف ، ومع ان تفسـير الآلوسي قد حمل معه بذور جوانب من هذا الاصلاح ، لكنها لم تكن كافية ، فقد كانت هنالك حاجة ماسة الى انطلاقة كبيرة فى تفسير القرآن الكريم تمثلت فيما بعد اجلى تمثيل فى تفسير مدرسة الشيخ محمد عبده التي دفعت التفسير القرآني خطوات الى الامام ، وانقذته من ركامات القرون السابقة ، وربطته بالحياة ربطا محكما قويا بعيدا عن تصنع الالفاظ ، ومجادلات الفقهاء ، ومناقشات الكلاميين ، وترهات علماء الهيئة ، والقصص والاخبار الاسرائيلية ، وعالجت مشاكل المسلمين ، واثبتت أن القرآن الكريم يساير تطور الحياة ، ويمـدها بكل ما تحتـاج اليهـا ، وناقشت شـبهات المستشرقين والمبشـرين وتلامذتهم من المسلمين ، وردتهم ردودا قوية مفحمة[٩] .

اذن فالمنهج الذى سار عليه الآلوسي من اهتمام باللغة ودقائقها ، والفقه ومذاهبه ، والكلام وطرقه ، والهيئة ونظرياتها ، لم يعد له مكان كبير فى حياة المسلمين المضطربة القلقة الطامحة فى بناء حضارة جديدة مبنية على الايمان

---

(٩) التفسير والمفسرون ٣/٢١٤ .

والعلم ، ومجتمع قوي متحرر من الجهل والجوع والمرض •

ان هذا التفسير وان أفاد العلماء فى نواحي كثيرة ، واختصر لهم كثيرا من الوقت والجهد لم يؤثر تأثيرا كبيرا عمليا فى حياة المسلمين ، ولم يقـم بانقلاب فى الفكر الاسلامي كما فعلته مدرسة محمد عبدة ، لأن الظروف التي كانت سائدة فى العالم الإسلامي قبل مجيء الآلوسي كانت تنتظر مثـل تفسيره الجامع الذى غدا بحق الحلقة التي تربط بين جميع التفاسير القديمة والمرحلة الجديدة من التفسير التي ولدتها الظروف الحيوية الجديدة للامة الاسلامية •

لقد تساءلت مراراً ترى هل اطلع محمد عبدة على تفسير الآلوسي وتأثر به ، وأدرك ما فيه من بذور اصلاحية ، ومعالجة وسطية لتفسير الآيات القرآنية ، دون تأثير كبـير بالآراء والمذاهب مع استعمال للعقل على نطـاق واسع ، واستغلال للعلم الحديث أو جوانب منه فى تفسير الآيات الكونيـة بصورة خاصة ؟ وفى الجواب عن هذا التساؤل أقول ان كل ما قرأته لمحمد عبدة من تفسيره لجزء عم ، وما نقله عنه السيد رشيد رضا فى المنـار فى أجزائه الاولى ، وما كتب من كتب عدة لم يقم دليلا عندى على تأثره بـه ، فلمحمد عبدة طريقته الخاصة فى التفكير والتفسير • وليس بعيدا مع ذلك انه اطلع على تفسير الآلوسي ضمن ما اطلع عليه من كتب التفسير ، وليس منطقيا أن نفترض أن محمد عبدة لم يطلع على هذا التفسير ، لأنه ليس من من المعقول بالنسبة لمفسر عظيم مثله ، ان نفترض انه لم يكن قد اطلع على جميع التفاسير أو المشهورة المهمة ، ويأتي تفسير الآلوسي فى المقـدمة من تلك التفاسير ، وخاصة انه طبـع فى مصر واشتهر بين علمائه منـذ بداية القرن الرابع عشر الهجرى •

ان من المؤكد الواضح ان المفسرين الذين جاءوا بعد محمد عبدة ، والذين رموا من ذات قوسه قد عرفوا تفسير الآلوسي معرفة جيدة ، واتخذوه

مصدرا مهما من مصادر تفاسيرهم ، وبما ان السيد رشيد رضا تلميذ الاستاذ الامام هو أشهر مفسر ظهر بعـــده ، فمن الممكن أن نتخذه مـدار بحثنا ، لنتوصل الى مقدار تأثره بتفسير الآلوسي ليبرز امامنا جيدا مكانة هذا التفسير فى تفكير مفسري العصر الحديث .

ان تفسير الآلوسي هو أحد مصادر تفسير المنار ، استشهد به صاحبـه كثيرا فى مختلف الموضوعات . فهو ينقل عنه ـ مثلا ـ اوصافا لمفاسد اجتماعية كاللجاج والحلف الكاذب والغفلة عن الله بسبب الشطرنج واللواطة[١٠] . ويعتمد فى نقل اسباب النـزول على سياق الآلوسي اكثـر من اعتماده على السيوطي ، لأنـه يختصر اختصارا يوهـم احيـانا بينمـا الآلوسي يفصل ويوضح[١١] . وينقل آراءه اللغوية ، واستخراجاته النحوية ، على أساس ان لرأي الآلوسي قيمة فى هذا الباب . فهو المفسر اللغوي المرن الذى انتبه لقضية تطور اللغة وعدم الجمود فى مسائلها[١٢] . وينقل رأيه فى حكمة اخفاء الساعة[١٣] ، ودلالة الآية الكريمة (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) على العموم[١٤] . وينقل رأيـه فى الآية الكريمة (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) وظاهر كلامه أنه يؤيده فى ما ذهب اليه[١٥] . ويستشهد بآرائه فى البـدع واستنكارها ونعى حالة المسلمين بسببها كي يسند رأيه فى محاربة المتصوفة الذين وقفوا بوجهه[١٦] .

---

(١٠) المنار ٦٢/٧ . ٥٢٠/٨ .
(١١) المصدر السابق ٣٤٧/٢ـ٣٤٨ ، ٥٣٧/٧ ، ٥١٤/٨ .
(١٢) المصدر السابق ٤٨٥/١٠ ، ٤٨٦ . راجـع ايضا ٣٣٦/٧ ، ٣٩٧ ، ٤٤٢ ، ٦٥٤ .
(١٣) المنار ٤٣٢/٩ .
(١٤) المصدر السابق ٧/١٠ .
(١٥) المصدر السابق ١٦٥/٥ ، ١٦٦ .
(١٦) المصدر السابق ٣٤٠/١١ ، ٣٤١ ، ٣٧٩ .

وينقل صاحب المنار عن الآلوسي فصولا كاملة فى موضوعات عدة كنقله عنه فصلا طويلا فى مسألة النفس الناطقة عند الحيوانات ، وكونها مكلفة مخاطبة من عند الله ويجعله تحت عنوان (مسألة مستنبطة من الآية منقولة عن روح المعاني)[17] .

وينقل الفصل الذى كتبه الآلوسي فى رد الشيعة فى دلالة الآيةالكريمة (ثاني اثنين) على فضل الصديق رضى الله تعالى عنه[18] . وينقل عنه ما أورد من روايات الشيعة بشأن قراءة النصب والجر فى الآية الكريمة (.. وأرجلكم)[19] . وينقل عنه صفحات عدة عما لخصه الآلوسي عن السكاكي وغيره فى بلاغة آيات الطوفان منسورة هود عليه السلام[20].

ومع اعجاب السيد رشيد بتحقيقات الآلوسي وغزارة علمه ، ينقده فى تأييده لمذهب القائلين من المتكلمين والفلاسفة أن الاسم يطلق على نفس الذات والحقيقة والوجود والعين ، وهي عندهم اسماء مترادفة . قال السيد (وهذا القول ليس من اللغة فى شيء ولا هو من الفلسفة النافعة بل من الفلسفة الضارة)[21] . ويناقشه فى ردوده على الرازي الذى جاء بسبع عشرة حجة فى تفسيره فى اثبات كون البسملة من الفاتحة محاولا دحضها تعصبا لمذهبه ، وهو القول بان البسملة آية من القرآن الكريم وليست من الفاتحة ، ويقول السيد (وهو من تمحل الجدل فلا معنى لكونها آية مستقلة فى القرآن الكريم الحقت بسوره كلها الا واحدة وليست فى شيء منها ولا فى فاتحته التي اقتدوا بها فى كتبهم كلها[22] .

---

(١٧) المصدر السابق ٧/٣٩٨ـ٤٠٢ .
(١٨) المصدر السابق ١٠/٤٢٥ـ٥٢٣ .
(١٩) المصدر السابق ٦/٢٣١ـ٢٣٣ .
(٢٠) المصدر السابق ١٢/٩٢ـ١٠١ .
(٢١) المصدر السابق ١/٤٠ .
(٢٢) المصدر السابق ١/٩٠ .

وينقده السيد كذلك فى بعض تقولاته المبتورة غير الواضحة تماما عن النووي[٢٣] ، وفى عدم ضبطه فى نقل بعض الأحاديث[٢٤] • وفى استساغته آراء بعض المفسرين المتكلفة[٢٥] •

٤ ـ ما له وما عليه :

قمين بي بعد هذه الجولة الطويلة فى دراسة مختلف نواحي هذا التفسير أن أعود من جديد الى تقويمه بصورة واضحة هذه المرة ، بعد أن لمس القارىء رأيي فى جميع مواضيعه اثناء عرضها وشرحها • وطبيعي أن يتناول هذا التقويم ما له وما عليه ، اذ الكمال لله وحده ، وليس هنالك كتاب يقبل كله ، أويرفض كله ، فلابد من جوانب قوية يعجب الانسان بها ، وجوانب اخرى ضعيفة يحاول أن ينبه عليها كي تكون درسا للآخرين فى معالجة أي موضوع • ولقد ذكرنا عند كلامنا على منزلة تفسير الآلوسي بين كتب التفسير الاخرى ما لتفسير الآلوسي من مميزات جعلته جنبا الى جنب مع أحسن التفاسير وأعظمها ، وهي موسوعيته المركزة الموفقة ، وتنصيبه نفسه حكما عدلا بين مختلف الآراء ، واستعماله عقله المتنور فى الاختيار والفهم ، واستفادته من التطور العلمي الحديث ، وظهوره الى حد ما بمظهر المصلح الذى يحاول أن يربط القرآن الكريم بواقع الاوضاع الحيوية المتنوعة ، وأضيف هنا الى النقاط ما يلى :

١ ـ انه غالبا ما يختار من الروايات والتفاسير الأقرب الى الواقع وأدنى الى قوانين العلم والعقل ، وأوفق بالاحاديث الصحيحة ، والاخبار الصادقة ، فهو يقول مثلا (ونوح كما قال الجواليقي أعجمي معرب ، زاد الكرماني

---

(٢٣) المصدر السابق ٧/٥١٠ •
(٢٤) المصدر السابق ٧/٥٤١ •
(٢٥) المصدر السابق ٧/٥٣٢ •

ومعناه بالسريانية الساكن ، وقال الحاكم في المستدرك انما سمي نوحا لكثرة بكائه على نفسه ، واسمه عبدالغفار ، والأول أثبت عندي(٢٦) .

٢ ـ ومن مآثر الآلوسي في تفسيره انه لا يكتفي باطلاق القول جزافا ، وانما يبحث ويدقق عن الأدلة النقية في مسألة من المسائل الدقيقة ، فان لم يجد يلجأ الى العقل ، فان اطمأن اليها قال بها ، والا اعترف بعدم اقرارها نهائيا . وهذا دليل على ان الآلوسي كان دقيقا في اسلوب تفكيره ، موضوعيا في اقرار كثير من مسائل هذا الوجود أو عدم اقرارها(٢٧) .

٣ ـ ان الآلوسي في تفسيره ، يفسر الآيات القرآنية في حدود مفاهيم العرب الذين نزل فيهم لا في حدود المصطلحات التي نتجت من امتزاج الثقافات المتنوعة(٢٨).

٤ ـ من مميزات هذا التفسير ان صاحبه يمحص فيه الروايات ، ويدقق فيه الاخبار فيرفض الاسرائيليات رفضا باتا ، وقد ظهرت لنا هذه الناحية واضحة جلية في اكثر من مكان في هذه الـ سالة .

ومع كل تلك الميزات فان هنالك ثغرات مهمة في تفسير الآلوسي كنا نود أن لا نراها فيه لانها تكدر صفاءه ، وتشوه جماله ، وهي في نظري كما يأتي :

١ ـ من عيوب هذا التفسير انه يستطرد في معاني بعض الآيات الى موضوعات كان يستطيع الاستغناء عنها ، لان عدم معرفتها لا يدخل ضمن المفهوم العام للآية الكريمة . ففي قوله تعالى ـ جعل الظلمات والنور ـ أنشا كلاما فيزيائيا طويلا حول حقيقة النور والظلمة قائما في أساسه على وجهات

---

(٢٦) روح المعاني ٢١١/٧ .
(٢٧) المصدر السابق ١٨٢/٢٢ .
(٢٨) المصدر السابق ١٠٩/٢٤ .

النظر القديمة التى لا يقرها العلم الحديث . وكذلك فعل فى تفسيره لقوله تعالى ـ وكان عرشه على الماء ـ اذ نقل كلاما طويلا جدا فى حقيقة العرش والماء ، وخلق احدهما قبل الآخر ، وهل بينهما خلاء ام لا ؟ وعرض لمناقشات بعض المتكلمين حول رأيين فى هذا الموضوع أبداهما القاضي البيضاوي وشيخ الاسلام ابو السعود[٢٩] ان الذى يقرأ هذا البحث يفوته كثير من الخير فى تذوق القرآن الكريم ، اذ هو بحث فلسفى محض قائم على الفرضيات اكثره مخالف لمقررات العلم الحديث .

وللآلوسى استطرادات اخرى فى موضوعات عدة كالموضوعات النحوية والكلامية ، يشعر القارىء اثناء قراءته للتفسير انها تماما زائدة ، ولا علاقة لها بالآيات من قريب ولا من بعيد .

٢ ـ يضيق صدر الآلوسى احيانا امام مخالفيه . فهو مثلا فى رده على ابن حزم فى اعتراضه على الامام الشافعى فى مسألة فقهية معينة يقول ما نصه (وشنع ابن حزم الضال عليه) وعلى الرغم من أن هجوم ابن حزم القاسى على الشافعى هو الذى دفع الآلوسى الى هذا ، الا انه لايمكن ان يقوم هذا حجة فى تبرئته ، وكذلك يستعمل اقسى الكلمات ضد المعتزلة وعلمائهم وخاصة الزمخشرى الذى مع اعترافه بامامته فى العربية وغزارة علمه ينال منه بكلمات جارحة .

٣ ـ ورغم عقلية الآلوسى المتنورة ، فلم يسلم من ابداء آراء فى غاية البعد كقوله (والحكمة فى انه تعالى جعل نصيب الاناث من المال اقل من نصيب الذكور نقصان عقلهن ودينهن)[٣٠].

٤ ـ اننى آخذ على الآلوسى تظاهره بالتمذهب بالحنفية والدفاع عنها

---

(٢٩) روح المعانى ١٢/١٠ .
(٣٠) المصدر السابق ٤/٢٧ .

بعصبية مصطنعة فى مسائل متعددة على الرغم من انه فى الحقيقة لم يكن متمذهبا بمذهب معين كما ذهبت اليه عند دراستى لنواحى الفقه فى تفسيره مما دفع مفسرا كالسيد رشيد رضا الى اتهامه بالتعصب للمذهب وعدم طلب الحق لذاته[٣١] . والحال ان الآلوسى ليس كذلك فى حقيقة الأمر ، بل هو الذى اقام على نفسه الحجة بدفاعه المصطنع عنهم[٣٢] .

٥ يجد القارىء شيئا من الغموض فى شخصية الآلوسي العقلية فى تفسيره ، وعلى الرغم من اشارتى من قبل لهذه النقطة ، وقولى ان الظروف التى سادت عصره هى التى دفعته الى سلوك هذا المسلك ، أرجع فاقول انه كان يجب ان يكون صريحا وجريئا ، فالعالم الذى يتصدى لتفسير القرآن الكريم عليه ان يرتفع فوق الظروف والاعتبارات ، ويجب الا يخاف الا من الله ، والا يقول الا الحق الذى يعتقده ، ولو كلفه ذلك ما كلفه .

٦ ـ ومن مآخذى على الآلوسى فى تفسيره هذه التفسيرات الاشارية الباطلة فى معظمها والتى ليست الا من تأثير الافكار الباطنية التى وجدت لها مسارب فى عقول كثير من العلماء والمفكرين بصورة غير مباشرة والتى حطمت القوى المحركة فى المجتمع الاسلامى ، فنحن فى غنى عن خيالات التفسير الاشارى . وان تسجيل الضلالات والترهات بدعوى تسجيل نتاج الفكر الاسلامى ـ هذا ان احسنا الظن بالآلوسى ـ يجب ان ننزه تفسير القرآن الكريم عنها ، لان ادخال هذه الأمور الظنية الخيالية الباطلة الى التفسير يسىء كثيرا الى فهم المسلمين للقرآن الكريم اشد الاساءة ، وتحجب عنهم تعاليمه الواضحة ، وتشريعاته الحكيمة ، وتبطل عند كثير من الجهلة العمل بظاهره البين .

---

(٣١) المنار ١/ ٩٠ .
(٣٤) روح المعانى ٦/ ٨٠ .

٧ ـ ان الظروف الحيوية السيئة التى كانت سائدة فى زمن الآلوسى فى المجتمع الاسلامى كانت قمينة فى دفع المفسر الى توجيه التفسـير الى الاصلاح الاجتماعى فالقرآن الكريم كتاب هداية وثورة على تلكم الاوضاع • وكان المسلمون فى حاجة ماسة الى هذا النوع من التفسير المتضمن على بيان السنن الكونية ، وعوامل التقدم وظروف الهداية ، وكيفية النهوض • وعلى الرغم من اننا نجد فى تفسير الآلوسى معالجات قصيرة وملاحظات عرضيـة حول تلك النواحى ، الا انه مع ذلك لم يوجه تفسيره بكليته الى هذه الناحية مع شعوره ـ كما ارى ـ الاكيد بفساد الحالة ، ورغبته فى الاصلاح •

ولكن هذا كله لا يقف دون مكانة هذا التفسير ، ولا يفرط فى قيمته العلمية الكبيرة فى عالم التفسير ، ولا يحول بيننا وبين اعظم الفوائد الكامنـة فيـــه •

الخاتمـة

كان لزاما عليّ في اول هذا البحث ان اعرض مناهج المفسرين قديما وحديثا ، كي يستطيع القارىء أن يأخذ فكرة صحيحة عنها ، ويحدد مكانة الآلوسى بين هذه المناهج المتعددة المختلفة • وكان من الضرورى فى بدايـة الفصل الاول من الباب الاول ان اعرج على ظروف مجتمعالآلوسى السياسية والعقلية ، لان معرفة هذه الظروف تلقى اضواء كشافة على الكاتب ، وتعين على فهم انتاجه بصورة أدق • وانتهيت من ذلك الى ان العراق كان مرتبطا بالدولة العثمانية شكلا ، وكان الحكم الحقيقي بيد المماليك ، يستبدون به • وادى الاصطدام بينهم وبين دار الخلافـة الى سفك دماء كثيرة •ولـم تكن علاقة العراق مع جاراته حسنة • وقامت ثورات فُردية وجماعية فى هـذه الفترة أهمها خروج العشائر عـلى الدولـة ، وقيـام الشيعة بحركتهم فـى كربلاء • وفي هذا العصر بدأ النفوذ الاجنبي فى شؤون العراق وخاصـة النفوذ الانجليزى •

أما الناحية العقلية والادبية • فقد ظهرت فى هذا العصر بوادر نهضة فكرية أدبية بتشجيع من الولاة للثقافة والعلم ، وفتحهم المكتبات والمدارس • فظهرت نتيجة لذلك بيوتات علميـة مشهورة برز فيها علماء وأدباء وشعراء شاركوا فى هذه النهضة العلمية • ومن جهة اخرى فان المدارس الملحقـة بالمساجد قادت الحركة العلمية ، وثقفت الطلبة بالثقافتين النقلية والعقلية • وساعد على ذلك انتشار المكتبات الخاصة والعامة المزودة بعشرات الالوف من مختلف أنواع الكتب • وعلى الرغم من ان الدراسات الادبية لم تكن ضمن المناهج الدراسية ، فقد ظهرت طائفة من الشعراء والكتاب ، نشروا وعياً ادبيا شعريا رصينا •

وبعد تقديم هذه الدراسة للعصر بدأت دراسة حياة الآلوسي ، وتوصلت

الى انه كان ينتمي الى اسرة علمية عريقة ينتهي نسبها الى الرسـول الاعظم صلى الله عليه وسلم من جهة الأب والأم • فتربى فى أحضانها تربية دينيـة صالحة على يد أب عالم عابد • وفتـح عينيه على القـرآن الكريم وأحبه ، واستظهر مبادىء العلوم صبيا ، وقرأ كتبا متعددة فى مختلف العلوم قبـل البلوغ • ودرس على يد كبار علماء عصره ، وهضم العلوم النقلية والعقلية • وانتشر صيته بين الناس ، فاعترفوا بعلمه وفضله ، وعين مدرسـا فى عـدة جوامع كان خلال تدريسه بها مثالا للمـدرس النشيط الموجـه الواعـظ الخطيب • مما أدى الى جلب حسد الحساد عليه ، فرشـقوه بانواع التهـم والاباطيل ، فتعرض الى الايذاء والسجن والفصل من وظائفه • ولما اطلع الوزير علي رضا على منطقه العذب ، وعلمه الغزير ، وشخصيته الفـذة • عينه مفتيا فى بغداد ، ولم يكن يتولى هذا المنصب الا أعلم علماء العصر • ولما جاء الوزير نجيب باشا نجح حساد الآلوسي فى اقناعه بعزله ، فعزل من منصبه ، وقطع عنه مصدر رزقه فى أوقاف المدرسة المرجانيـة • فسافر الى اسطنبول لعرض مظلمته ، فاستقبل استقبالا عظيما من قبل الوزراء والقواد والعلماء ، واعترفوا من علمه ، وطلبوا منه البقاء فرفض • وفى طريق عودته أصيب بالحمى ، فلم تزل تدب فى عروقه الى ان توفاه الله سنة ١٢٧٠ هـ •

اما أساتذته وشيوخه ، فقد كانوا نخبة ممتازة من علماء العراق ، تتلمذ عليهم ، ولازمهم • فتلقى عنهم العلوم النقلية والعقلية التي كانت تدرس فى ذلك الزمان • ومن الجدير بالذكر ان كلا منهم كان بارزا فى ناحية مـن النواحي •

وفى هذا الفصل تعرضت ايضا لمصادر ثقافته ، فانتهيت الى انه كان مطلعا اطلاعا واسعا على العلوم النقلية والعقلية ، وكتب أهل الكتاب من اليهود والنصارى وتواريخ الامم والشعوب ، والتصوف ونظرياته ، ومارسه عمليا ضمن الطريقة النقشبندية • وكان يجيد اللغة الفارسية والتركية ، وعـلى

اطلاع جيد بعلم الجغرافيا وبعض نتاج العلم الحديث • ولقد أكسبه تجواله خبرة عميقة صبها في كل ما كتب من كتب ورسائل •

وبعد الانتهاء من هذه الجولة ، فصلت القول في ملامح شخصيته الاجتماعية والعقلية ، فوجدت أن شخصيته كانت عبقرية ، برزت مبكرا ، وهضمت المعارف الانسانية في زمانه ، فتسنمت بذلك أرقى المناصب ، مما جلبت عليه الحسد ثم الاضطهاد • وكان مؤمنا بالمثل التي جاء بها الاسلام متمسكا بها عمليا • فلقد كان متواضعا لا يدعي علما ، عفوا ، كريم الطبع ، راعيا للحقوق ، وفيا ، صادقا صابرا ، كثير الصدقات والصلاة والاستغفار •

اشترك في النشاط الاجتماعي في زمانه بقسط كبير •

وكان الآلوسي من أشد انصار الدولة العثمانية ، يدعو لتثبيت أركان دولتها في كتاباته ، بسبب العدو الخارجي ، والخوف من سيطرة الشيعة في العراق على الدولة • وعلى الرغم من تأييده للدولة نبه المسؤولين الى النقائص التي كانت موجودة وخاصة في العراق ، فلفت الانظار في كتبه ورسائله الى كثير من العيوب الاجتماعية • وكان معتدلا غير متطرف ، يجهر بالحق ولا يألو •

اما مكانته العلمية ، فقد كانت ظاهرة بين علماء عصره ، قدموه وعظموه ، وبالغوا في اكرامه ، وكان موضع تبجيل الجميع في كل مكان •

وفي الفصل الثاني من الباب الاول عالجت تراث الآلوسي ، ففي آثاره العلمية صنفت كتبه الى المجموعات التالية :ـ

اللغة والادب :ـ

وتدل هذه الكتب على احاطة الآلوسي بمسائل النحو وعلله ، وتعمقه في فهم أسرار اللغة ، والتفريق بين المعاني ، وطول باعه في النقد اللغوي ثم كتب البحث والمناظرة :ـ

وتظهر من هذه الكتب غزارة علم الآلوسي ، وقدرته الفائقة على الحجاج المنطقي ، والمجادلات الدامغة ، ودفاعه القوي عن مصالح الاسلام كدولة ، ودعوته المسلمين الى الجهاد ، ومناصرته لمذهب أهل السنة والجماعة ، ومناقشة الشيعة فى هجماتهم على الصحابة الكرام .

ثم كتب الرحلات :ـ وهي (غرائب الاغتراب) و (نشوة الشمول فى السفر الى اسلامبول) و (نشوة المدام فى العود الى مدينة السلام) وفيها سجل الآلوسي رحلته الى دار الخلافة ، ونجد فيها جوانب طريفة لحياته ، وتحليلات رائعة لنواقص مجتمعه ، ومقابلات علمية مفيدة مع علماء عصره ، ووصفاً أدبياً رائعاً لكل ما صادفه من مظاهر الطبيعة الجميلة فى الطرق التي سلكها ، وتصويرا صادقا لاهل المدن والقرى التي رآهم فيها ، واستمع اليهم ، ولقى منهم الجفاء حينا ، والحفاوة أحيانا . وهذه الكتب تقوم وثيقة تاريخية للمؤرخين لاستخلاص جوانب من ملامح الحياة فى عصر الآلوسي .

ثم التراجم :ـ وله كتاب واحد فى ترجمة شيخ الاسلام أحمد عارف حكمت ، وهو وثيقة تاريخية جيدة لجوانب معينة من حياته ، تفيد من يحاول دراسته أو دراسة العصر الذى عاش فيه .

ثم مقاماته : وقد سجل فيها جوانب من حياته ، ونظرته الى الناس وشكواه من الزمان ، وحاول فيها لفت أنظار الناس الى نواقص نخرت مجتمعه ، باسلوب أدبي رصين مسجوع احيانا ومرسل حينا آخر .

وبعد هذه الدراسة فى كتبه ، قدمت دراسة فنية لاسلوبه الادبي ، فظهر لي أن الآلوسي كان كاتبا كبيرا ، لم يكن يقل فى موهبته الادبية عن كبار كتاب العرب . قيدت روح العصر اتجاه اسلوبه بالسجع . ولكنه كان يتحرر أحيانا فينطلق مترسلا ، وخاصة فى تفسيره .

ومع ذلك فان سجعه خفيف الروح ، بعيد في أكثر الاحيان عن التصنع ، قريب الى الروح الشاعرية . وله خيال بارع في الوصف ، وغرام باستعمال الاستعارات وتوليدها . وأوصافه رائعة في مختلف مظاهر الطبيعة ، وتحديد ملامح الشخصيات .

أما اسلوبه العلمي فانتهيت منه الى ان اسلوبه الادبي ظاهر على اسلوبه العلمي . وهو في تقريره للحقائق لا يدع لعاطفته سبيلا . ويعتمد في تقريره للافكار على الظروف والقواعد التي قيدت أصحابها . وفي سبيل معرفة حقيقة أو فكرة يرجع الى كتبها الاصلية . ويبسط جميع الآراء ولا يتعصب عموما . وهو في اسلوبه العلمي غير مغلق على الفهم .

اما اسلوبه في ردوده فيعتمد على استنباط ادلة الالزام اولا من كلام خصمه . واما شعره فلم تُتح له ظروف حياته العلمية والعملية الصقل الكامل ، وانما بقيت قابليته الشعرية خبيسا تتحرك في اطار معين .

وفي الباب الثاني درست تفسير الآلوسي (روح المعاني) . ففي الفصل الاول عالجت تاريخ كتابته للتفسير ، والمراحل التي مرت بها ، والمدة التي استغرقتها ، والنسخة التي أعداها ، ثم قدمت وصفا عاما لهذا التفسير شمل مقدمته التي تتحدث عن جوانب كثيرة تتعلق بالتفسير وتاريخه ومسائل متصلة بالدراسة البلاغية للقرآن الكريم . وقد لاحظت ان الاجزاء الاولى أصعبُ الاجزاء ، وأعمقُها معالجة ، واكثرُها تفصيلا . والتفسير مركز ، فما يذكره في آية لا يعيده في آية اخرى . وعقليته في تطور مستمر . وقد رأيت أن هذا التفسير مجمع التفاسير ، اتبع فيه الآلوسي المنهج الجمعي أو الموسوعي . وهو طالب حق ، فما يقرره في مكان يتراجع عنه في مكان آخر اذا ما ظهر له الحق . ومن الجدير بالذكر انه يدل على مصادره والكتب التي اعتمد عليها في معظم الاحيان .

وبعد ذلك قدمت وصفا مفصلا النسخ المخطوطة والمطبوعة .

وفى الفصل الثاني عالجت منهجه فى كيفية تناول الآيات ، وكشفت عما يمتاز به من خصائص ، فهو يفسر القرآن بالقرآن وبالحديث مع اهتمام بالجرح والتعديل ، وقدرة على التحقيق والتدقيق مما جعلنا نطمئن اليه فى هذه الناحية الخطيرة • وهو يفسر باللغة وله نظرات دقيقة فى هذا المجال • فهو يعتقد ان القرآن الكريم يجب أن يفسر فى حدود المفاهيم اللغوية التي سادت فى عصره • ويطيل الآلوسي فىعرض المسائل النحوية ، وهو لا يأخذ بمذهب معين ، وانما يأخذ من جميع المدارس • وهو يعالج النواحي البلاغية المختلفة فى الآيات لاثبات اعجاز القرآن ، وتبرير تركيب آياته • ويهتـــم ببيان أسباب النزول لانها مفتاح فهم الآية فى كثير من الاحوال • وهو فى بيانه ذلك يوضح وينسق ويختار • ثم ينتقل الى تفسيرات اشارية تبعـــد القارىء عن الجو القرآني الرائع • ولا ينسى الكلام عن فضائل الســـور والآيات والمشاكل التي أثيرت حول بعض الآيات القرآنية • وتوضيح المعاني بطائفة من أجمل الاشعار ، وتقديم كلام موجز عن المعاني العامة للآيات ، مع عدم اخضاعها الى المقاييس المنطقية •

وفى الفصل الثالث تناولت موقفه منآراء القدماء • ففي تناوله لحروف الهجاء فى أوائل السور ، يعتقد أنها أمور غيبية لا يعرفها الا الله والعارفون •

ويعتقد ان جميع ما قيل وما يقال صحيح فى معانى هـــذه الحروف • وفى تناوله للقسم يتبع العلمـــاء والمفسرين السابقين فى انـــه قســـم حقيقى مقصود لاغراض معينة • وفى تناوله للفواصل يعتقد ان التزامها لغاية بلاغية جمالية • وفى تناوله للمتشابه ، يذهب مذهب السلف، وهو الايمان بالظاهر وارجاء الامر كله الى الله سبحانه • وفى النسخ يبين انواعه وحكمة وجوده شرعا • وفى الاعجاز يذهب الى الجمع بين الآراء ، ويقدم نماذج عمليـــة تقوم دليلا على الاعجاز القرآني ، ويقف مواقف بلاغيـــة تحليلية رائعة من الآيات القرآنيـــة متأثرا بعلماء المدرسة البيانية فى التفسير وعلى رأسهم

الزمخشري • وفى القـراءات يعرض الوجوه المختلفة ، ولا يلتزم برأى جمهور القراء ، ويثق ثقة كاملة بتواترها ، ويدافع عنه دفاعا قويا ، ويحشد الأدلة المتنوعة على صحتها • ويشن حملات عنيفة عـلى بعض علماء اللغة والتفسير الذين ضعفوا قراءات معينة ، ويرميهم بالجهل • وموقفه هذا لم يمنعه من نفى بعض القراءات الشاذة جدا • واما الاسرائيليات فهو يرفضها، ويشدد النكير عليها ، ويرد أخبار القصص ، وينقد العلماء الذين نقلوها • وفى المسائل الاعتقادية يتبع السلف الذين يبقون الآيات على ظواهرها بـلا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل • ولا يبيح المجاز الا اذا اتفق مـع أساليب العرب فى الكلام ، ويدخل فى معارك حامية مع المعتزلة ، فيفنـد عقائدهم • ثم يلتفت الى متصوفة زمانه ، فيرميهم بالجهل والشرك والفسق ، والخروج على الاسلام ، بما ابتدعوه من الاستغاثة بغير الله وعبادة القبور ، وضرب السيوف ، واستعمال الدفوف •

واما فى الفقه فهو يعرض آراء مدارسه وعلمائه مع احترامه لهم جميعا ، ومع تظاهره بالحنفية الا انه لا يتعصب لمذهب معين • والآلوسي لا ينسى المشاكل الفقهية والقانونية التي اثيرت فى زمانه • وفى التصوف يعرض أقوال كبار الصوفيين فى وحدة الوجود وغيرها ، ويعتبرها أقوالا فوق طور العقل ، لا يجب ان نشغل انفسنا بها ، ويحذر الناس منها • وهو على الرغم من اتباعه مذهب السلف متأثر بنزعتهم ، كثير الاحترام لمشايخهم ، مع فضحه لمتصوفة زمانه • وفى المسائل الكونية يأتي الى الآيات فيفسرها ويبين رأي العلمـاء فيها ، فيقبل ما يقبل ويترك ما يترك • وهو يستعين بنتاج العلم الحديث الذى انتقل عن طريق الترجمات من اوربا • اما موقفه من أهل الفرق والملل ، فهو موقف الرد القوي على الشيعة ، والتفنيد لآرائهم وعقائدهم ، يدخل معهم فى مناقشات نقلية وعقلية • وله ردود عـلى الصوفيـة والمعتزلـة والنصارى ومزاعمهم فى المسيح عليه السلام • وفى القسم الثاني من هـذا الفصـل

استعرضت نماذج من آراء الآلوسي وتوجيهاته فى آيات معينة ، وهي تبرز شخصيته العلمية التي لا تقف عند الجمع والتنسيق ، وانما تتجاوزهما الى الاستقلال بالرأي ، والانفراد بالتوجيه •

وفى الفصل الرابع عرضت طائفة من آراء العلماء المعاصرين للآلوسي والمتأخرين عنه ، حيث اجمعوا على الاشادة بتفسيره ، ووضعه فى مقام بارز بين التفاسير المشهورة •

اما منزلة تفسيره بين كتب التفسير المشهورة فهي منزلة محترمة ، لموسوعيته المركزة ، وعقلية صاحبه المستنيرة ، وأحكامه العادلة فى العرض والترجيح ، واستفادته من التطور العلمي الحديث ، وظهوره بمظهر المصلح •

وأما تأثيره فيمن جاء بعده من المفسرين ، فلم يكن تأثيرا اساسيا موجّها لتبدل ظروف العصر ، ولكنه كان تأثيرا علميا • ومن الذين استفادوا من تفسيره السيد رشيد رضا فى المنار والامام المراغي فى تفسيره • وقد أخذت الاول مدار بحثي ، وعرضت لجوانب هذا النوع من الاستفادة •

وبعد تلخيص مزايا هذا التفسير عرضت الثغرات التي وجدتها فيه ، كأستطراداته العلمية والفلسفية ، وضيق صدره أحيانا أمام مخالفيه ، وابداء آراء غريبة ، وتظاهره بالتمذهب بالحنفية ، وغموض شخصيته بعض الشيء ، وتفسيراته الاشارية •

نتائج البحث :

استطيع أن أقول ان بحثي هذا فى مجموعه لم أسبق اليه حسب ما أعلم ، فنتائجه لا بأس بها • فقد حللت شخصية الآلوسي الاجتماعية والعقلية ، ودرستها ككل ، فظهرت لي فيها جوانب القوة ، وجوانب الضعف ، وهي طفيفة مما تنير الطريق أمام الدارسين لتفسيره ، والقارئين لتراثه •

ودرست تراث الآلوسي كتابا كتابا ، وصنفت كتبه الى مجموعات ،

وبينت مزايا كل مجموعة منها •

ودرست مزايا اسلوب الآلوسي العلمي والادبي والشعري •

كما قدمت وصفا علميا عن تفسير الآلوسي وظهر لي ان منهج الآلوسي هو منهج جمعي أو موسوعي ، أي انه لم يخضع لمنهج واحد بعينه ، ولذلك رفضت الاقوال التي تجعل من تفسير الآلوسي تفسيرا بالرأي تارة وبالاشارة اخرى ووضعت نسخ تفسير الآلوسي المخطوطة فى مكتبات بغداد واسطنبول وصفا تفصيليا جزءا جزءا •

وتكلمت على مصادر تفسير الآلوسي ، وقمت باحصائية شاملة لعدد المرات التي استشهد فيها بكل مفسر ، وبذلك حددت بصورة علمية اتجاه تفسيره من حيث تأثره بالتفاسير التي سبقته • ودحضت القول الذى اطلقه بعض الباحثين ، والذى ينص على ان تفسير الآلوسي انما هو صورة مصغرة مبتورة من تفسير الرازي •

وقمت باحصائية مناسبة بأشهر الذين اعتمد عليهم الآلوسي فى العلوم النقلية والعقلية •

واستخلصت مواقف الآلوسي التفصيلية من المدارس الفكرية المتنوعة فى التراث الاسلامي •

وظهر لي من دراسة تفكير الآلوسي فى تفسيره انه كان مستقل التفكير فى معظم المسائل ، وقد استطعت ان أضع يدي على استقلاله هذا تحت انقاض من ركامات تظاهره بتقليد الحنفية ، أو التشبع لافكاره الصوفية أو هجماته على بعض العلماء •

واستطعت ان أصل الى ان الآلوسي لم يكن جامع آراء فى تفسيره ، وانما كان صاحب رأي ، وله نظرات شخصية فى كثير من الآيات القرآنية •

واستخلصت من تفسيره خصائص اسلوبه فى تناوله للآيات القرآنية وحددت بصورة علمية مستندا على دراسة التفسير نفسه ، مكانته بين تفاسير العلماء •

ودرست مقدار تأثيره فيمن جاء بعده ، واتخذت من تفسير المنار ميدانا لهذه الدراسة .

وحددت بموضوعية مجردة عن الهوى ما لهذا التفسير من فضائل وما فيه من نواقص .

واستخلصت من مجموع هذه الدراسة ان الآلوسي أديب من كبار ادباء العربية وعالم من كبار علماء الاسلام ، ومفسر من مشاهير المفسرين ، وأن تفسيره من التفاسير المهمة الذى لا يستغني عنه الدارس والباحث .

انتهى

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

شكر

أشكر الاستاذ النجيب حازم هاشم الآلوسي على معاونته لي في الاطلاع على كثير من المخطوطات المتصلة بهذه الدراسة ، المحفوظة في مكتبة المرحوم والده .

وأشكر الاستاذين الجليلين منير القاضي ومحمد بهجة الأثري على تهيئتهما لي فرصة المناقشة معهما في بعض موضوعات هذا الكتاب .

وأشكر الاستاذ عبدالله الجبوري أمين مكتبة الاوقاف في بغداد على معاونته لي فيما كنت أطلبه من مخطوطات ومطبوعات .

وأخيراً أشكر صاحب مطبعة المعارف في بغداد وجميع المسؤولين فيها على ما بذلوه من جهد في اخراج هذا الكتاب .

المؤلف

المصادر والمراجع

١ ـ ابن تيمية ـ مقدمة فى اصول التفسير ـ

٢ ـ ابن الجزري ـ النشر فى القراءات العشر ـ مطبعة مصطفى محمد ـ القاهرة •

٣ ـ ابن خلدون ـ المقدمة ، بتحقيق الدكتور علي عبدالواحد وافي ـ لجنة البيان العربي القاهرة ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٥ م •

٤ ـ ابن كثير ـ التفسير ـ عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة •

٥ ـ أحمد أمين ـ ضحى الاسلام ـ السادسة ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦١ م •

٦ ـ أحمد خليل ـ نشأة التفسير فى الكتب المقدسة والقرآن ـ الاولى ـ الاسكندرية ١٣٧٣ هـ •

٧ ـ أحمد مصطفى المراغي ـ التفسير ـ الثانية ـ البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٧٣ هـ •

٨ ـ الآلوسي (محمود شهاب الدين) ـ الاجوبة العراقية على الاسئلة اللاهورية ـ الحميدية بغداد ١٣٠١ هـ •

٩ ـ الآلوسي (محمود شهابالدين) ـ الاجوبة العراقية للاسئلة الايرانية ـ مخطوطة الاوقاف العامة بغداد • رقم ٥٣٤٥ •

١٠ـ الآلوسي (محمود شهابالدين) ـ التبيان شرح البرهان فى اطاعة السلطان • مخطوطة الاوقاف العامة • بغداد • رقم ٥٦١٦ •

١١ـ الآلوسي (محمود شهابالدين) ـ حاشية عبدالملك بن عصام فى علم الاستعارة ـ مخطوطة بمكتبة المرحوم هاشم الآلوسي • بغداد •

١٢ـ الآلوسي (محمود شهابالدين) ـ حواشي شرح القطر ـ الاولى ـ القاهرة ١٣٢٠ هـ •

١٣ـ الآلوسي (محمود شهاب الدين) ـ الخريدة الغيبية فى شرح القصيدة العينية ـ مصر ١٢٧٠ هـ .

١٤ـ الآلوسي (محمود شهاب الدين) ـ رسالة بخطه فى مكتبة هاشم الآلوسي ـ بغداد .

١٥ـ الآلوسي (محمود شهاب الدين) ـ روح المعاني فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ـ الاولى ـ بولاق ـ القاهرة ١٣٠١ هـ .
الثانية ـ المنيرية ـ القاهرة .

١٦ـ الآلوسي (محمود شهاب الدين) ـ سفرة الزاد لسفرة الجهاد ـ دار السلام ـ بغداد ١٣٣٣ هـ .

١٧ـ الآلوسي (محمود شهاب الدين) ـ شجرة الانوار ـ مخطوطة مكتبة المتحف ـ بغداد رقم ١١٠٣ .

١٨ـ الآلوسي (محمود شهاب الدين) ـ شهى النغم فى ترجمة شيخ الاسلام عارف الحكم ـ مخطوطة الاوقاف العامة . بغداد رقم ٥٩٣٣ .

١٩ـ الآلوسي (محمود شهاب الدين) الطراز المذهب فى شرح قصيدة الباز الاشهب ـ الفلاح ـ مصر ١٣١٧ هـ .

٢٠ـ الآلوسي (محمود شهاب الدين) غرائب الاغتراب ونزهة الالباب ـ الشابندر ـ بغداد ١٣٢٧ هـ .

٢١ـ الآلوسي (محمود شهاب الدين) ـ الفوائد السنية فى الحواشي الكنبوية ـ مخطوطة الاوقاف العامة رقم ٦٥٢٣ .

٢٢ـ الآلوسي (محمود شهاب الدين) ـ الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد ـ الكستلية مصر ـ ١٢٧٨ هـ .

٢٣ـ الآلوسي (محمود شهاب الدين) كشف الطرة عن الغرة ـ الاولى ـ دمشق ١٣٠١ هـ .

٢٤ـ الآلوسي (محمود شهاب الدين) المقامات ـ حجرية ـ كربلاء ١٢٧٣ هـ .

٢٥ـ الآلوسي (محمود شهاب‌الدين) ـ نشوة الشمول فى السفر الى اسلامبول ـ الولاية ـ بغداد ١٢٩٣ هـ •

٢٦ـ الآلوسي (محمود شهاب‌الدين) ـ نشوة المدام فى العود الى مدينة السلام ـ الولاية ـ بغداد ١٢٩٣ هـ •

٢٧ـ الآلوسي (محمود شهاب‌الدين) ـ النفحات القدسية فى الرد على الامامية ـ مخطوطة بمكتبة هاشم الآلوسي ـ بغداد •

٢٨ـ الآلوسي (محمود شهاب‌الدين) ـ نهج السلامة الى مباحث الامامة ـ مخطوطة الاوقاف العامة رقم ٦٧٨/٤ ب •

٢٩ـ الآلوسي (محمود شكري) ـ مساجد بغداد ـ الاولى ـ دار السلام ـ بغداد ١٣٤٦ هـ •

٣٠ـ الآلوسي (محمود شكري) ـ المسك الاذفر ـ الآداب ـ بغداد ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٣٠ م •

٣١ـ البستاني ـ دائرة المعارف ـ بيروت ١٩٥٦ م •

٣٢ـ جرجي زيدان ـ مشاهير الشرق والغرب فى القرن التاسع عشر ـ الهلال • القاهرة ١٩٠٢ •

٣٣ـ جولدزيهر ـ مذاهب التفسير الاسلامي ـ ترجمة عبدالحليم النجار ـ السنة المحمدية ـ القاهرة ١٣٧٤ هـ •

٣٤ـ الحريري ـ المقامات ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة •

٣٥ـ خيرالدين الزركلي ـ قاموس الاعلام ـ الثانية ـ كوستاتسوماس ـ القاهرة ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م •

٣٦ـ داود سلوم ـ تطور الفكرة والاسلوب فى الادب العراقي ـ المعارف ـ بغداد ١٩٦١ م •

٣٧ـ الرازي ـ مفاتيح الغيب ـ الاولى ـ الشرقية ـ القاهرة ١٣٠٨ هـ •

٣٨ـ رشيد رضا ـ تفسير المنار ـ الرابعة ـ دار المنار ـ القاهرة ١٣٧٣ هـ •

٣٩- الزرقاني - مناهل العرفان في عوم القرآن - الثانية - عيسى البابي الحلبي ١٣٦١ هـ •

٤٠- الزركشي - البرهان في علوم القرآن - الاولى - عيسى البابي الحلبي - القاهرة •

٤١- الزمخشري - الكشف - الثانية - الاستقامة - القاهرة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م •

٤٢- سليمن فائق - تاريخ بغداد - الاولى - المعارف - بغداد ١٩٦٢ م •

٤٣- السيوطي - الاتقان في علوم القرآن - الثالثة - البابي الحلبي - القاهرة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م •

٤٤- الشاطبي - الموافقات - المكتبة التجرية - القاهرة ١٩٥٦ م •

٤٥- شوقي ضيف - البلاغة تطور وتاريخ • دار المعارف • القاهرة ١٩٦٥ •

٤٦- شوقي ضيف - الفن ومذاهبه في النثر العربي - بيروت ١٩٥٦ م •

٤٧- صالح القزويني - الديوان - مخطوطة في مكتبة المتحف - بغداد • رقم ١٨٩٢ •

٤٨- صبحي الصالح - مباحث في علوم القرآن • الثالثة - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٤ م •

٤٩- صديق حسن خان - التاج المكلل - بومباي ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م •

٥٠- صفي الدين البغدادي - مراصد الاطلاع - القاهرة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م •

٥١- طنطاوي جوهري - الجواهر - البابي الحلبي - مصر ١٣٤٣ هـ •

٥٢- عباس العزاوي - تاريخ العراق بين احتلالين - الاولى - بغداد ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م •

٥٤- عباس العزاوي - ذكرى ابي الثناء الآلوسي - شركة التجارة - بغداد ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م •

٥٥ـ عبدالباقي العمري ـ الترياق الفاروقي • مطبعة أمين أفندي اسطنبول ١٣١٦ هـ •
٥٦ـ عبدالرزاق الحسني ـ البابيون والبهائيون حاضرهم وماضيهم ـ العرفان صيدا ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م •
٥٧ـ عبدالرزاق الهلالي ـ تاريخ التعليم في العراق ـ الاولى ـ بغداد ١٩٥٩ م •
٥٨ـ عبدالرحمن الوكيل ـ هذه هي الصوفية ـ السنة المحمدية ـ الثالثة ـ مصر ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م •
٥٩ـ عبدالغفار الاخرس ـ الطراز الانفس ـ طبعة اسطنبول ١٣٠٤ هـ •
٦٠ـ عبدالفتاح الشواف ـ حديقة الورود ـ مخطوطة مكتبة هاشم الآلوسي •
٦١ـ عبدالقادر المغربي ـ تفسير جزء تبارك ـ الشعب ـ القاهرة •
٦٢ـ علي حسب الله ـ اصول التشريع الاسلامي • الثالثة ـ دار المعارف ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م •
٦٣ـ علي حسين الخربوطلي ـ غروب الخلافة الاسلامية ـ التقدم ـ القاهرة
٦٤ـ قاسم القيسي ـ تاريخ التفسير ـ المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٦٦
٦٥ـ لونكريك ـ أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ـ ترجمة جعفر الخياط ـ الاولى ـ التفيض ـ بغداد ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١ م •
٦٦ـ محمد أمين زكي ـ مشاهير الكرد والكردستان ـ التفيض ـ بغداد ١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٥ م •
٦٧ـ محمد بهجة الاثري ـ اعلام العراق ـ السلفية ـ القاهرة ١٩٤٥ هـ •
٦٨ـ محمد بهجة الاثري ـ محمود شكري الآلوسي ـ الدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٥٨ م •
٦٩ـ محمد حسين الذهبي ـ التفسير والمفسرون ـ الاولى دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م •

٧٠ـ محمد الخال ـ البيتوشي ـ الاولى ـ المعرف ـ بغداد ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م .
٧١ـ محمد الخال ـ الشيخ معروف النودهي ـ الاولى ـ التمدن ـ بغداد ١٣١٨ هـ ـ ١٩٦١ م .
٧٢ـ محمد الخال ـ مفتي زهاوي ـ المعارف . بغداد ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣ م
٧٣ـ محمد عبده ـ تفسير جزء عم . الثالثة ـ مطبعة مصر ـ القاهرة ١٣٤١ هـ .
٧٤ـ محمد الفاضل ابن عشور ـ التفسير ورجاله ـ دار الكتب الشرقية ـ تونس ١٩٦٦ م .
٧٥ـ محمد القزلجي ـ التعريف بمساجد السليمانية ـ النجاح ـ بغداد ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٨ م .
٧٦ـ محمد مهدي البصير ـ نهضة العراق الادبية ـ الاولى ـ المعارف ـ بغداد ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م .
٧٧ـ مصطفى جواد ـ المباحث اللغوية فى العراق ـ الدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٥٥ م .
٧٨ـ مصطفى الصاوي الجويني ـ منهج الزمخشري فى تفسير القرآن ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٥٩ م .
٧٩ـ منير القاضي ـ ورقة بخط يده محفوظة فى مخطوطة (دقائق التفسير) بمكتبة هشم الآلوسي ـ بغداد .
٨٠ـ الهمداني ـ المقامات ـ منشورات المكتبة الازهرية ـ القاهرة ـ ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٣ م .
٨١ـ ياقوت الحموي ـ معجم الادباء ـ دار المأمون ـ القاهرة ـ ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م .
٨٢ـ ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ـ الاولى ـ السعادة ـ مصر ١٣٢٤ هـ ـ ١٩٠٦ .
٨٣ـ يوسف عزالدين ـ الشعر العراقي ـ فى القرن التاسع عشر ـ الاولى بغداد ـ الزهراء ١٩٥٨ م . الثانية ـ الدار القومية ـ القاهرة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م .

فهرس الموضوعات

الموضــــوع	الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـــة

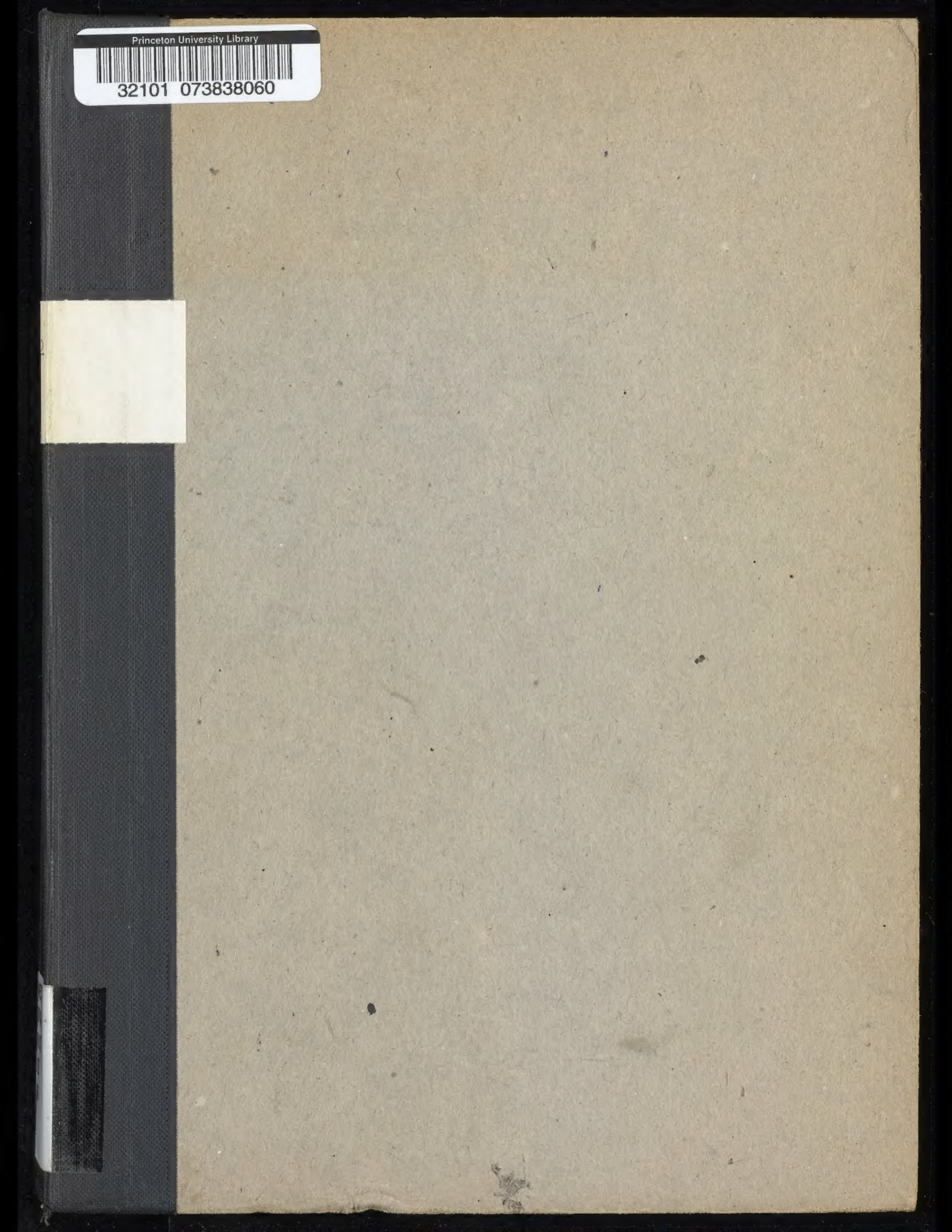
فهرس الاعلام



١٩٦٩/١٠٠٠/٦٧






Princeton University Library
32101 073838060